جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الرقابة الإدارية في الدولة الإسلامية منذ نشأتها وحتى نهاية العصر الأموي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب
خوجلي أحمد صديق محمد

١٠٠٤٥٩٨
جامعة أم القرى / مكتبة المركزية
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إشراف الدكتور
إبراهيم نجيب محمد عوض

١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يهدف هذا البحث الى التعريف بالرقابة الادارية وبيان مدى معرفة الادارة الاسلامية بها ومباشرتها لها .

فقد تحدثت فى الباب الاول منه عن الرقابة فى الاسلام وبينت اقوال الفقهاء المسلمين وآراءهم فى هذا المجال كما تطرقت بالحديث الى اقوال هؤلاء العلماء وآرائهم فى مجالات الاختيار للوظيفة العامة فى الدولة الاسلامية وتوجيه الموظفين ومحاسبتهم .

اما الباب الثانى والذى جعلت عنوانه الرقابة الادارية فى عصر النبوة والراشدين فقد تحدثت فيه عن ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين للرقابة الادارية اختيارا وتوجيهها ومحاسبة . وقد تطرقت لشروطهم فى الاختيار وأساليبهم فى التوجيه والمحاسبة .

وفى الباب الثالث تعرضت للرقابة الادارية فى الدولة الاموية وتناولت بالحديث اختيارات الخلفاء الامويين للموظفين والعمال وتوجيههم ومحاسبتهم .

ثم تحدثت بعد ذلك عن اجهزة الرقابة فى الدولة الاسلامية حيث شمل الحديث موضوع الحسبة ودورها الرقابى وقضاء المظالم ودوره فى الرقابة اضافة الى دور ديوان البريد فى عملية الرقابة .

وخرج هذا البحث بنتائج عامة واخرى تفصيلية ، تحدثت النتائج العامة عن الرقابة ومعرفة الادارة الاسلامية لها اما النتائج التفصيلية فقد تحدثت عن ماتوصل اليه البحث من نتائج فى مجالات الاختيار والتوجيه والمحاسبة .

عميد الكلية
د. عايد الضياني

المشرف
د. ابراهيم نجيب

الطالب
خوجلي أحمد حمدي

كلمة الشكر

كلمـــة الشـــكر

عملاً بقوله تعالى " واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابـــى لشديد ".

فأنى أحمد الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه على نعمه الكثيرة ومننه الوفيرة حمـــداً كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

ومن بعد شكر الله سبحانه وتعالى أتقدم بالشكر لادارة جامعة أم القرى ممثلة فـى شخص مديرها معالى الدكتور راشد الراجح على تفضلهم بالسماح لى ولزملائى من أبناء العالم الاسلامى بتلقى العلم فى هذه المؤسسة الرائدة فلهم منا الشكر والثناء .

وأشكر القائمين بأمر كلية الشريعة والدراسات الاسلامية وعلى رأسهم الدكتور عايد السفيانى عميد الكلية الحالى ومن سبقه من عمداء على سهرهم وتعبهم من أجل توفيـر الجو المناسب لنا لتلقى العلم ، فجزاهم الله عن طلاب العلم خير الجزاء .

والشكر أيضا لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ممثلا فى رئيسه سعـــادة الدكتور يوسف الثقفى على اهتمامهم بنا ورعايتهم لنا .

وأخص بالشكر استاذى الكريم سعادة الدكتور ابراهيم نجيب محمد عوض الرئيـــس الأسبق لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية والذى كان لجهوده المتواصلـــة وعلمه الثر الفضل فى اخراج هذا البحث بصورته هذه فجزاه عنى الله كل خير .

وأخيرا فأنى أتقدم بالشكر لكل من أسدى لى نصحاً أو قدم لى معروفا من أخوتـــى الكرام وزملائى الأفاضل راجياً أن يجعل الله تعالى كل ذلك فى موازين حسناتهم انـه نعم المولى ونعـــم النصير .

المقدمة

المقدمـــــة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونصلى على من أرسله الله هدى ورحمة للعالمين ، سلاماً كما يحب ربنا ويرضى .

وبعـــد . .

فأن الصحوة التى يعيشها العالم الاسلامى اليوم لها كثير من الآثار المباركة ، لعل من أهمها ان لم يكن أبرزها رجوع المسلمين الى مصادر دينهم وتاريخهم يبحثون فيها عن حلول لمشكلاتهم ، فازدهرت كثير من العلوم بسبب العودة الى المنابع الأصيلة ومن هذه العلوم على سبيل المثال لا الحصر علم الاقتصاد وعلم الاجتماع والعلوم التربوية والسلوكية . ومنها كذلك علم الادارة الذى ظن كثير من المسلمين أنه من معطيات هذه الحضارة المعاصرة . وبرجوع أبناء الاسلام الى مصادرهم وجدوا أنها قد استوعبت جميع الايجابيات التى ذكرتها الحضارة المعاصرة باعتبار أنها من بنات أفكارها ، كما أنها تجنبت السلبيات النظرية والتطبيقية فى علم الادارة الحديث وفوق ذلك وجد أبناء الاسلام أن مصادرهم تعرضت لجوانب مهمة أغفلتها الادارة المعاصرة .

ومساهمة منى فى هذه النهضة الحضارية رأيت أن أتناول بالبحث موضوعاً مهماً من موضوعات الادارة الاسلامية وعرضه من خلال الواقع النظرى والتطبيقى . وقد وقع اختيارى على موضوع الرقابة الادارية .

فهذا الموضوع رغم أهميته القصوى لم يأخذ حظه من البحث والعرض فلم يوله أحد من الباحثين اهتماماً يتناسب مع مايشتمل عليه من فائدة كبيرة للدولة والمجتمع .

وقد لجأت الى المخطوطات والمصادر والمراجع الحديثة لعلى أعثر على مؤلف أو بحث فى هذا الموضوع فلم أجد الا بعض المقالات والندوات التى لا تشفى الغليل .

ففى المصادر لم أجد الا اليسير مما هو متناثر فى كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ والأدب . كما وجدت محاولات من بعض الكتاب المحدثيين عالجوا فيها بالبحث بعض موضوعات الادارة الاسلامية ولكنى لم أجد أحداً قام بتناول موضوع الرقابة الادارية فى الاسلام ببحث مستقل الا بحثاً بعنوان " الرقابة على أعمال الادارة فى الشريعة الاسلامية والنظم المعاصرة" نال به صاحبه الدكتور سعيد عبد المنعم الحكيم المحامى درجة الدكتوراه فى القانون ، فقد اطلعت على هذا البحث فوجدته قد غلب عليه الطابع القانونى بحكم تخصص صاحبه ، فقد تناول فيه خضوع الادارة للقانون ومصادر الشرعية المكتوبة وغير المكتوبة كما تحدث فيه عن رقابة الشعب المتمثلة فى رقابة الرأى العام والصحافة والأحزاب السياسية . . . الخ . فالبحث كما هو واضح يختلف فى معظم محتوياته عن موضوعى الذى يتناول رقابة المسئولين فى الادارة الاسلامية على أعمال مرؤسيهم .

كما اطلعت على بحوث وأوراق ندوة النظم الاسلامية التى عقدت فى أبى ظبى فى الفترة من ١٨ - ٢٠ صفر سنة ١٤٠٥هـ / ١١ - ١٣ نوفمبر سنة ١٩٨٤م والتى نظمها مكتب التربية العربية لدول الخليج العربى وقد اشتملت على بحث صغير تقدم به للندوة الدكتور محمد الطاهر عبد الوهاب عن الرقابة الادارية فى النظام الادارى الاسلامى تحدث فيه عن ملامح الرقابة الادارية فى النظام الاسلامى وتطبيقات هذه الرقابة وأجهزتها المتخصصة .(١)

ولما كان هذا البحث لصغره لا يحيط بالموضوع ولا يوفيه فقد اخترت أن يكون موضوع " الرقابة الادارية فى الدولة الاسلامية منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الاموية"

---

(١) نشر هذا البحث فى مجلة رسالة الخليج العربى ع ١٩ - ١٤٠٦هـ ص ١٩٧ - ٢٧٧

عنواناً لبحثى الذى أتقدم به لنيل درجة الدكتوراه وقد دفعتنى لاختيار هذا الموضوع الأسباب التالية : -

١ - تأصيل مفهوم الرقابة الادارية فى الفكر الاسلامى وبيان مدى معرفة الاسلام لها .

٢ - اظهار الدور الرائد للحضارة الاسلامية فى مجال الادارة عامة والرقابة الادارية بصفة خاصة خدمة لهذه الحضارة وتبياناً لفضلها على البشرية .

٣ - تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التى وقع فيها بعض أبناء المسلمين نتيجة للهجمة الحضارية الغربية والتى جعلتهم يعتقدون أن علم الادارة بصفة عامة والرقابة الادارية على وجه الخصوص من مبتكرات الحضارة المعاصرة .

وقد اشتملت خطة هذا البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة . ففى المقدمة تحدثت عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره . أما الباب الاول وعنوانه الرقابة فى الشريعة الاسلامية فقد احتوى على فصلين : الفصل الأول بعنوان مفهوم الرقابة الادارية وأنواعها . والفصل الثانى بعنوان اختيار المسئولين وتوجيههم ومحاسبتهم فى النظام الاسلامى .

الباب الثانى وعنوانه الرقابة الادارية فى عصر النبوة والراشدين وقد جاء فى ثلاثة فصول كما يلى :-

الفصل الأول : الاختيار فى عصر النبوة والراشدين .

الفصل الثانى : التوجيه فى عصر النبوة والراشدين .

الفصل الثالث : المحاسبة فى عهد النبوة والراشدين .

أما الباب الثالث فقد كان بعنوان الرقابة الادارية فى الدولة الاموية وقد جاء فى أربعة فصول كما يلى :-

الفصل الأول : الاختيار فى الدولة الأموية .

الفصل الثانى : التوجيه فى الدولة الأموية .

الفصل الثالث : المحاسبة فى الدولة الاموية .

الفصل الرابع : أجهزة الرقابة وتطورها فى الدولة الأموية .

أما الخاتمة فقد ضمنتها النتائج التى توصلت اليها من خلال هذا البحث .

أسأل الله تعالى أن يوفقنى فيما قصدت اليه وان يجنبنى الذلل فى القول والعمل

آمين . . .

الباب الأول

الرقابة الإدارية في الشريعة الإسلامية

ويشتمل علي فصلين :

١ - الفصـــل الأول : مفهوم الرقابة الإدارية فى الإسلام وأنواعها

٢ - الفصـــل الثاني : إختيار المسؤولين وتوجيههم ومحاسبتهم فى النظام الإسلامي

الفصل الأول

مفهوم الرقابة الإدارية في الإسلام وأنواعها

ويشتمل علي المباحث التالية :

١ - المبحث الأول : الرقابة فى اللغة وفى الإ صطلاح

٢ - المبحث الثاني : مشروعية الرقابة فى الإسلام

٢ - المبحث الثالث : أنواع الرقابة

الفصـــل الأول

مفهوم الرقابة الادارية فى الاسلام وأنواعها

تعتبر الرقابة ركناً مهماً من أركان الادارة، وهى قديمة قدم الادارة نفسهـــا وقد عرّفها علماء الادارة بتعريفات مختلفة، ولذلك أرى لزاما علىّ فى بداية هـــذا البحث أن أذكر فى مبحث أول المعانى اللغوية والاصطلاحية للرقابة ، ثم اتعـــرض بعد ذلك لمشروعيتها فى الاسلام وعند فقهاء المسلمين فى مبحث ثان وفى المبحث الثالث أتناول بالحديث أنواع الرقابة .

المبحث الأول

الرقابة فى اللغة وفى الاصطـــلاح

اتفقت معظم معاجم اللغة العربية على أن معنى كلمة " رقابة " أو تصريفـــات الفعل " رقب" تعنى الحفظ والانتظار والخوف.

جاء فى القاموس المحيط: " الرقيب الله والحافظ والمنتظر والحارس وأمين أصحاب الميسر، ونجم من نجوم المطر يراقب نجماً آخر. ورقبة رقبة ورقبانا بكسرهما ، ورقوبـــا بالضم ورقابة ورقوبة ورقبة بفتحهن انتظره ، كترقبه وارتقبه حرسه كراقبه مراقبة ورقبا (١)

---

(١) انظر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى - القاموس المحيط - المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت ج ١ ص٧٧ وانظر كذلك محمد مرتضى الزبيدى - تـــاج العروس من جواهر القاموس - المطبعة الخيرية بجمالية مصر - الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ ج ١ ص ٢٧٤ .

وجاء فى المصباح المنير اضافة الى المعانى السابقة " الرقوب وزن رسول مـــن الشيوخ الذى لا يستطيع الكسب ولا كسب له ، سمى بذلك لأنه يرتقب معروفا وصلـــة والرقوب أيضاً الذى لا ولد له والمرقب المكان المشرف يقف عليه الرقيب. وراقبت اللـــه خفت عذابه . وأرقبت زيداً الدار - ارقاباً والاسم الرقبى وهى من المراقبة لأن كل واحد يرقب موت صاحبه لتبقـــى له . انظر أحمد بن على الفيومى - المصباح المنير فـــى غريب الشرح الكبير للرافعى - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ج ١ ص٢٣٤ . وينظـــر ابن منظور لسان العرب اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى - دار لسان العـــرب بيروت ج ١ ص ١٢٠٤ - ١٢٠٥ كما ينظر اسماعيل بن حماد الجوهرى - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين بيـــروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ج ١ ص ١٢٧ .

وقد جاء فى الأثر قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه " ارقبوا محمداً فى آل بيته "(١) بمعنى احفظوه فيهم .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم " مامن نبى الا أعطى سبعة نجباء رقباء "(٢) بمعنى حفظة يكونون معه .(٣)

أما معنى الانتظار فالشاهد عليه من القرآن الكريم قول الله تعالى : " فأصبح فى المدينة خائفاً يترقب "(٤) ومعنى يترقب فى هذه الآية أنه ينتظر المكروه من أعدائه أو الفرح بنجاته .(٥)

وقد جاء فعل الأمر " ارتقب " بمعنى انتظر فى قوله تعالى : " فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين "(٦) والمعنى انتظر لهم يامحمد يوم تأتى السماء بدخان مبين وقيل أن المعنى هو احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتى السماء بدخان مبين .(٧)

وكذلك قوله تعالى " فارتقب انهم مرتقبون "(٨) بمعنى فانتظر مايحل بهم .

---

(١) أحمد بن على بن حجر العسقلانى - فتح البارى شرح صحيح البخارى - رقمه وبوبه محمد فؤاد عبد الباقى وأشرف على طبعة محب الدين الخطيب - دار المعرفة لبنان - باب مناقب قرابة رسول الله ج ٧ ص ٧٧ .

(٢) الامام أحمد بن حنبل - مسند الأمام أحمد - دار الفكر - ج ١ ص ٨٨ .

(٣) انظر ابن منظور - لسان العرب - مصدر سابق ج ١ ص ١٢٠٤ .

(٤) القصص الاية ١٨

(٥) انظر محمد بن على الشوكانى - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير - شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده - الطبعة الثانية ج ٤ ص ١٦٤ .

(٦) الدخان الآية ١٠

(٧) انظر الشوكانى - فتح القدير - مصدر سابق ج ٤ ص ٥٧١ .

(٨) الدخان الاية ٥٩

جامعة الملك سعود
مركز الوثائق
KING SAUD UNIVERSITY

هذا وقد جاءت كلمة " رقوب " فى السنة على غير ماهو شائع فى اللغة .(١)

أما فى الاصطلاح فقد عرّف علماء الادارة الرقابة الادارية بأنها :

" متابعة عمليات التنفيذ لتبين مدى تحقيق الأهداف المراد ادراكها فى الوقت المحدّد ، وتحديد مسئولية كل سلطة، والكشف عن مواطن العيب والخلل حتى يمكن تفاديها والوصول بالادارة الى أكبر كفاءة ممكنة ."(٢)

فالرقابة فى مفهومها العام عملية متابعة دائمة ومستمرة تقوم بها الادارة بنفسها أو بتكليف غيرها للتأكد من أن مايجرى عليه العمل داخل الوحدة الادارية أو الاقتصادية يتم وفقاً للخطط الموضوعة والسياسات المرسومة، والبرامج المعدة ، وفى حدود القوانين والقواعد والتعليمات المعمول بها لتحقيق أهداف معينة .(٣)

" فالهدف الأساسى للرقابة الادارية هو تحقيق مصلحة الادارة نفسها بالمحافظة على حسن سير المرافق العامة ، وكفالة تنفيذ القوانين واللوائح والتزام حدودها وضمان نزاهة الموظفين وكفاءتهم . كماتستهدف أيضاً حماية حقوق وحريات الأفراد من اعتداء رجال الادارة"(٤)

---

(١) انظر صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار احياء التراث العربى باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وذلك حين سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه : ماتعدون الرقوب فيكم ؟ قالوا : الذى لا يبقى له ولد . قال : بل الرقوب الذى لم يقدم من ولده شىء . وقد شرح ابن الاثير هذا الحديث بقوله " الرقوب فى اللغة الرجل والمرأة اذا لم يعش لهما ولد لأنه يرقب موته ويرصده خوفاً عليه فنقله النبى صلى الله عليه وسلم الى الذى لم يقدم من الولد شيئاً أى يموت قبله ، لأن الأجر والثواب لمن قدم شيئاً من الولد وأن الاعتداء به أعظم والنفع به أكثر - انظر لسان العرب المجلد الاول ص ١٢٥ .

(٢) د . ماجد راغب الحلو - علم الادارة العامة - مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ص ٢٢٩ .

(٣) انظر محمد عبد المنعم خميس - الادارة فى صدر الاسلام ، دراسة مقارنة مطابع الأهرام التجارية القاهرة ١٩٧٤م ص ١٤٣ .

(٤) د . سعيد عبد المنعم الحكيم - الرقابة على أعمال الادارة فى الشريعة والنظم المعاصرة - دار الفكر العربى - ١٩٧٦م ص ٣٢٠

ولكن الاستعمال الشائع لمعانى الفعل " رقب " وتصريفاته هو الحفظ والانتظار والشاهد على ذلك من القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه موسى عليه السلام عندما خاطب أخاه هارون : " ولم ترقب قولى "(١) بمعنى لم تحفظ قولى حين استخلفتك فى بنى اسرائيل (٢) .

وكذلك قوله تعالى " لا يرقبون فى مؤمن الاً ولا ذمة "(٣) بمعنى أنهم لا يحفظون فى مؤمن عهداً ولا ميثاقاً .(٤)

وقد وردت كلمة رقيب بمعنى حفيظ فى ثلاث آيات من كتاب الله تعالى ، احداها قول الله سبحانه حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام " فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم "(٥) أى كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم (٦) .

أما الآية الثانية فهى قوله تعالى " إن الله كان عليكم رقيبا "(٧) يعنى حافظا .(٨)

والآية الثالثة هى قول المولى سبحانه وتعالى " مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد "(٩) بمعنى ملك حافظ يكتب قوله (١٠) .

---

(١) طه الآية ٩٤ .
(٢) انظر الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - تحقيق محمد ابراهيم البنا واخرين - طبعة دار الشعب القاهرة ج٥ ص ٣٠٥ .
(٣) التوبة الآية ١٠
(٤) انظر أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى - الجامع لأحكام القرآن دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٧ - ١٩٦٧م ج ٨ ص ٧٩
(٥) المائدة الآية ١١٧ .
(٦) انظر أبو القاسم جار الله محمود الزمخشرى - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - شركة ومطبعة مصطفى الحلبى ج ٢ ص ٩٥ .
(٧) النساء الاية ١
(٨) انظر القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - مصدر سابق ج ٥ ص ٧ - ٨ .
(٩) ق الاية ١٨
(١٠) انظر قاضى القضاة الامام أبى السعود محمد بن محمد العمادى - تفسير ابى السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم - دار المصحف القاهرة ج ٨ ص ١٢٩ .

وقد أجمل بعض الباحثين المحدثين أغراض الرقابة الادارية فى الآتى :- (١)

١ - التأكد من تطبيق النظم والقواعد المقننة للعمل .

٢ - معرفة المعوقات التى تواجه التنفيذ .

٣ - التأكد من سلامة الاجراءات المالية .

٤ - اكتشاف مواطن الضعف والخلل عند العاملين .

٥ - التأكد من حصول الموظف على المميزات المشروعة وأنه لا يوجد تعسف من جانب السلطة .

٦ - ضبط الانفاق الحكومى وتجنب الاسراف .

٧ - التأكد من أن الخدمات تؤدى للناس دون تفرقة ، طبقاً لسياسة الدولة .

فالرقابة اذن هى التأكد والتحقق من أن تنفيذ الأهداف المطلوب تحقيقها يسير سيراً صحيحاً حسب الخطة والتنظيم والتوجيه المرسوم . (٢)

وتتم الرقابة عبر ثلاثة مراحل هى :-

أ - الاختيار الجيد للوظيفة .

ب - التبصير بالمهام وحدود الوظيفة .

جـ - المحاسبة والتقويم .

والرقابة بهذا المفهوم قديمة قدم الادارة نفسها كما سبقت الاشارة ومما يؤكد ذلك أن الدول التى سبقت الاسلام فى ظهورها مثل الفرس والروم ، عرفت بعض مظاهر

---

(١) انظر صالح بن محمد الفهد - كسب الموظفين وأثره فى سلوكهم - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . شركة العبيكان للطباعة والنشر - الرياض ص ٣١٥ كما ينظر كذلك عبد الكريم درويش وليلى تكلا - أصول الادارة العامة - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٧م ص ٥١٠ - ٥١١ .

(٢) انظر د . عبد الرحمن الضحيان - الادارة فى الاسلام ، الفكر والتطبيق - دار الشروق - جدة - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ص ١٢٧ .

الرقابة على الادارة والموظفين (١)

فالفرس قد عرفوا الرقابة الادارية اختياراً وتوجيهاً ومحاسبة فأبرويز (٢) ملك الفرس قد وجه كاتبه بما يلى : " اكتم السر واصدق الحديث واجتهد فى النصيحة واحترس بالحذر فأن لك على الا أعجل بك حتى أستأنى لك ، وأقبل عليك قولا حتى استيقن ولا أطمع فيك فتغتال . لا تدعن أن ترفع الى الصغير فأنه يدل على الكبير هذب أمورك ثم القنى بها " (٣)

ففى هذه الكلمة نجد تحديداً واضحاً للمهمة وتبصيراً ببعض الأعمال والأفعال .

ويذكر ان أبرويز هذا قد كتب الى ابنه شيرويه (٤) . " اجعل عقوبتك على اليسير من الجناية كعقوبتك على الكثير منها ، فأذا لم يطمع منك فى الصغير لم يجترأ عليك فى الكبير ، وأبرد البرد فى الدرهم ينقص من الخراج " (٥) .

ومن رقابة أردشير (٦) على عماله أنه كتب الى بعضهم : " بلغنى أنك تؤثر اللين على الغلظة والمودة على الهيبة والجبن على الجرأة ، فليشتد أولتك وليلن

---

(١) انظر أبو عمر الجاحظ - التاج فى أخلاق الملوك - تحقيق الاستاذ أحمد زكى باشا - المطبعة الأميرية القاهرة - الطبعة الاولى ١٣٣٢هـ ص ٦٨ .
وينظر كذلك شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى - المستطرف من كل فمن مستظرف - تحقيق د . مفيد قميحة - دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ج ١ ص ١٩٩

(٢) هو كسرى بن هرمز - تولى الملك سنة ٥٨٩ م - لجأ الى الامبراطور البيزنطى الذى ساعده على تولى العرش . اشتهر ببطشه ونفاذ رأيه - قتله ابنه شيرويه - أنظر ابو جعفر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم دار سويدان - بيروت ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون - التذكرة الحمدونية - تحقيق د. احسان عباس معهد الانماء العربى بيروت ١٩٨٣ المجلد الأول ص ٣٣٥ .

(٤) هو كسرى الثانى . خلع أباه وقتله . مات بالطاعون سنة ٦٢٩هـ وخلفه ابنه اردشير الذى كان عمره انذاك سبع سنوات - انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٢ ص ٢١٨ .

(٥) ابن حمدون - التذكرة الحمدونية - مرجع سابق ص ٢٩٥ .

(٦) هو أردشير بن شيرويه - تولى وعمره سبع سنوات . قتله القائد الفارسى شهريراز ونصب نفسه ملكاً سنة ٦٣٠م ولكن الجيش ثار عليه وقتله ونصب پوران بنت كسرى ملكة على الفرس . انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٢ ص ٢٣٠

آخرك، ولا تخليني قلباً من هيبة ولا تعطلنه من مودة، ولا يبعد عليك ما أقول لك فأنهما يتجاورا "(١).

أما الرومان فقد دلت أوراق البردى المكتشفة بمصر على معرفتهم أنواعاً من الرقابة الادارية، وذلك أثناء حكمهم لمصر قبل الاسلام فقد وجدت تقارير ادارية تشير الى بعض مظاهر الرقابة عندهم.(٢)

ولا يستبعد أن يكون الفاتحون المسلمون قد استفادوا من بعض مظاهر الرقابة التى وجدوها فى البلدان المفتوحة، وليس فى ذلك من حرج لأن الحكمة هى ضاله المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها كما يشير الى ذلك الحديث الشريف(٣).

" واذا كان البعض يشير الى أن بعض نظم الادارة فى النظام الادارى الاسلامى ومن بينها بعض مظاهر الرقابة، قد نقلت عن النظم الادارية التى كانت تسود بعض دول العالم عند قيام الاسلام، كالفرس والرومان وغيرهما، فالواقع أنه ليس فى ذلك ما يقلل من قدر النظام الادارى الاسلامى أو يحط من شأنه، لأن العلم ملك للبشرية جمعاء والأخذ والعطاء والتفاعل والتواصل بين الثقافات والحضارات أمر مقرر وملاحظ فى حين كان الخطأ فى الانغلاق دون تجارب الآخرين، بل ان الملاحظ الثابت أن الملامح الخاصة للرقابة الادارية فى النظام الاسلامى، كانت تحكم ما تم نقله فى هذا المجال والذى لا يعدو أن يندرج تحت باب التطبيقات التى يرد عليها عادة التعديل والتغيير بحسب تغيير ظروف الزمان والمكان، فى حين تبقى الأصول والأسس هى الحاكمة لكل تعديل أو تغيير فى التطبيق"(٤).

---

(١) أردشيرين بابك - عهد أردشير - حققه وقدم له د. احسان عباس - دار صادر بيروت ١٩٦٧ ص ٩٦.

(٢) انظر آدولف جروهمان - أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية - ترجمة الى العربية د. حسن ابراهيم حسن وراجعه عبد الحميد حسن - مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٥ ج ٣ ص ١-٦٤

(٣) انظر الحافظ أبى عبد الله بن ماجة - سنن ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار الفكر. باب الحكمة كتاب الزهد ج ٢ ص ١٣٩٥

هذا ولا يوجد نظام محدّد للرقابة ، فهى تختلف باختلاف النظم الاجتماعية والسياسية والادارية ، كما تختلف من مرحلة زمنية الى أخرى . (١)

---

(١) انظر د . عبد الكريم درويش وليلى تكلا - أصول الادارة العامة - مرجع سابق ص ٥٠٥

المبحث الثانـــــى

مشروعية الرقابة فى الاســـلام

على الرغم من حداثة مصطلح الرقابة الادارية، الا أن الاسلام قد عرف أنواعاً مـن الرقابة الادارية فاقت ماعرف من أنواعها وأشكالها فى العصور السابقة.

فقد اقتضى النظام الادارى الذى أقامه الاسلام" قيام هيئة للاشراف على الـولاة والعمال يمكن أن نسميها على حد المصطلح الشائع فى الوقت الحاضر بالرقابة الادارية ومهمتها التوجيه والاشراف ومنع وقوع الخطأ، وفى نفس الوقت توقيع الجزاء الادارى على المخطىء والمنحرف (١)".

ومشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام تنبع من نصوص القرآن الكريم وعمل الرسـول صلى الله عليه وسلم وخلفائه المهديين من بعده، كما تنبع من النظام الادارى الاسلامى نفسه فهو نظام فريد فى خصائصه (٢).

فقد أمر الاسلام بأداء الأمانة، قال تعالى: "ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" (٣)

والوظيفة أياً كان نوعها فهى أمانة وأداؤها يفرض على المسلم العامل أن يتقى اللـه فى عمله وأن يحاسب نفسه ويراقب الله سبحانه وتعالى فى ذلك. يقول عمر بن الخطاب (٤) رضى الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنـــوا أعمـالكم قبـل أن

---

(١) د. ابراهيم العدوى - النظم الاسلامية مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية فى صدر الاسلام والعصر الأموى - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ ص ٢٠٤

(٢) انظر د. مصطفى كمال وصفى - النظم الاسلامية الأساسية - عالم الكتب ص ٤٦.

(٣) النساء الآيـة ٥٨.

(٤) هو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى. أبو حفص. أمه ختمه بنت هاشم. كـان من أبطال قريش وأشرافهم ومن أصحاب السفارة فيهم. أسلم قبل الهجرة. ولقبه النبى صلى الله عليه وسلم بالفاروق. ثانى الخلفاء الراشديـن تمت فى أيامه فتوح الشام والعراق ومصر. له أوليات كثيرة فى الفقه والسياسـة والادارة. انظر أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى - المعارف - دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ص ١٠٤ - ١٠٨ والطبـرى ج ٤ ص ١٩٥ - ٢٠٠ وابن سعد - الطبقات الكبرى دار صادر بيروت ج ٣ ص ٣٦٥

تـــوزن عليكـــــم " (١)

ويقول المولى سبحانه وتعالى : " وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج لـــه يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (٢) .

فالرقابة فى الاسلام حق لجميع أفراد الأمة تبدأ عندما تنتهى الأمة من اختيـــار قيادتها السياسية حيث تقوم الأمة بمهمة مراقبة الحاكم وأعوانه . (٣)

فالأمة ممثلة فى أهل الحل والعقد الذين " يباشرون مراقبة رئيس الدولة وأعوانـــه للتأكد من وفائهم بعقد الولاية العامة وفق المنهج الاسلامى وتطبيق سائر الأحكـــام الشرعية " (٤) .

فقد منح الاسلام كل فرد الحق فى المراقبة، بل ان من أهم صفات المؤمنين أنهم يجهرون بالحق ولا تأخذهم فيه لومة لائم ونبع هذا الحق من طبيعة علاقة الفرد بمـــن يتولى أمور الدولة، ومسئولية الفرد تجاه المجتمع المسلم والرسول صلى الله عليه وسلـــم يقول : " الدين النصيحة. قال أصحابه: لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمـــة المسلمين وعامتهم " (٥)

وفى حديث آخر يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " لتأمرن بالمعروف ولتنهـــون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتفسرنه على الحق قسرا أو ليضربن الله بقلـــوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم " (٦)

---

(١) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى - سنن الترمذى - تحقيق أحمـــد شاكر - دار احياء التراث العربى - بيروت لبنان ج ٤ ص ٦٣٨ كتاب صفـــة القيامة باب ٢٥ .

(٢) الاسراء الايـــة ١٣ .

(٣) انظر د . عبدالله فهد النفيسى - فى السياسة الشرعية - دار الدعوة. الكويـــت الطبعة الأولى ١٩٨٤م ص ٨١ .

(٤) المرجع السابق ص ١٠١

(٥) صحيح مسلم - كتاب الايمان باب بيان أن الدين النصيحة ج ١ ص ٧٤ .

(٦) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى - سنن أبى داود - تحقيق محمـــد محى الدين عبدالحميد - دار الفكر - كتاب الفتن والملاحم باب الأمر والنهى ج ٤ ص ١٢٢ وابن ماجه ج ٢ كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف ص ٣١٥ .

ويقول فى حديث آخر: "إن الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب" (١)

من كل هذه النصوص التى سبقت ندرك مدى حرص الاسلام على اعداد الفرد المسلم القوى الذى لا يسمح للفساد أن يستشرى ولا للانحراف أن يقوم. (٢)

ويرى بعض الباحثين أن مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام تنبثق من خلال القواعد والمبادئ الآتية. (٣)

أ - قاعدة التوبة التى بمقتضاها يوجب الاسلام على الفرد المسلم بصفة عامة مراجعة نفسه ومحاسبتها ليتدارك أخطاءه قبل مساءلته أمام الله سبحانه وتعالى أولاً ثم أمام الناس ثانيةً.

ب - مسئولية ولى الأمر ومعاونيه، حيث أن مسئولية ولى الأمر عن مرؤسيه تأتى انطلاقاً من ظاهرة التدرج فى السلطة التى تسود المجتمع الاسلامى بصفة عامة والنظام الادارى الاسلامى بصفة خاصة ومايخوله هذا النظام للرئيس الادارى من سلطات على مرؤسيه "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" (٤) وبالطبع فأن هذه السلطات ليست مطلقة وانما هى مقيدة فى كل الأحوال بأتباع قواعد الشريعة الاسلامية. (٥)

جـ - مقتضيات مبدأ الشرعية الاسلامية فمبدأ الشرعية الاسلامية هو سبب وأساس كل

---

(١) أبو داود - مرجع سابق كتاب الفتن والملاحم - باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ج ٤ ص ١٢١ - ١٢٢.

(٢) انظر محمد عبد الله الشبانى الخدمة المدنية على ضوء الشريعة الاسلامية - مدخل لنظرية - عالم الكتب - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٧م ص ٤٩

(٣) انظر ندوة النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٣.

(٤) الامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى - صحيح البخارى - ضبطه ورقمه د. مصطفى ديب البغا - دار القلم دمشق ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - كتاب الأحكام باب قوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ج ٦ ص ٢٦١١ وصحيح مسلم كتاب الامارة باب فضيلة الامام العادل ج ٣ ص ١٤٥٩

(٥) انظر د. سعيد الحكيم - الرقابة على اعمال الادارة - مرجع سابق ص ٣٨٦.

رقابة تقوم فى الدولة الاسلامية ، فما من تنظيم فى هذه الدولة الا ويستهدف حماية الشريعة الاسلامية واعلاء شأنها وتأكيد سيادتها .

د - واجب الادارة الاسلامية بمقتضى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حيث ينطوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والرقابة التى يعكسها فى المجتمع على ثلاثة وظائف كما يلى :- (١)

١ - وظيفة اجتماعية حين يمارس بين أفراد الأمة تجاه بعضهم البعض.

٢ - وظيفة سياسية أو شعبية حين تقوم به الأمة وأفرادها تجاه الحكام ومعاونيهم .

٣ - وظيفة ادارية منوطة بالسلطات العامة تجاه الأمة وأفرادها .

والمتأمل فى الرقابة الادارية فى الاسلام يجدها تأخذ جانبين (٢) :-

آ - جانب المسئولية والالتزام فى قيام موظفى الدولة بواجباتهم وعدم استغلالهم لنفوذهم .

ب - مسئولية الفرد المسلم فى التبليغ عن أى انحراف من أى موظف ، كواجب دينى يفرضه ضمن نطاق الأمانة العامة ، ومسئوليته أمام الله سبحانه بتنفيذ أوامره ودفع المظالم عن المظلومين وتنفيذ مفهوم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما فقهاء المسلمين وعلماء الشريعة فقد أكدوا على ضرورة مراقبة الحاكم المسلم لولاته وعماله ، وذلك حتى لا يقع الظلم على العباد فيهلك الراعى والرعية ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى ينصر الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا ينصر الدولة

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٣٠٨

(٢) انظر محمد عبد الله الشبانى - الخدمة المدنية - مرجع سابق ص ٦٧

العادلة وان كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وان كانت مؤمنة كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (١) رحمه الله تعالى (٢).

وفى هذا الصدد يقول الامام ابن الجوزى (٣) رضى الله عنه : " وينبغى أن يسهل السلطان الأذن للعوام وأن يقعد لهم فى كل وقت فأن علم النواب بذلك يكفهم عن ظلم العوام وشدة الحجاب توجب انبساط النواب فى الرعية فيكون منها الخلل (٤)".

ويقول الأيشيهى (٥) انه " لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب

---

(١) هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراثى الدمشقى الحنبلى . ولد بحران فى سنة ٦٦١هـ فى أسرة علمية وتلقى العلم عن والده ثم انتقل فى سنة ٦٦٧هـ مع أسرته الى دمشق حيث تلقى علومه هناك . كان واسع الاطلاع جريئًا مفسرًا فقيهًا أصوليًا مجاهدًا . تعرض بسبب أفكاره واجتهاداته لكثير من المضايقات . ألف الكثير من الكتب منها الايمان ومنهاج السنة النبوية والفرقان والسياسة الشرعية والحسبة وغيرها . توفى سنة ٧٢٨ هـ .
انظر محمد بن على الشوكانى - البدر الطالع بمحاسن القرن السابع - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ ج ١ ص ٦٣ - ٧٢

(٢) انظر ابن تيمية - مجموع الفتاوى - جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه - أشرف على طبعة المكتب السعودى بالمغرب - مكتبة المعارف - الرباط المغرب ج ٣٨ ص ١٤٦ .

(٣) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن المشهور بابن الجوزى وينتهى نسبه الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فهو قرشى تيمى بغدادى حنبلى المذهب . اشتغل بالوعظ وألف فى التفسير والحديث والتاريخ وغيرهما - شاعر موهوب توفى فى بغداد سنة ٥٩٧هـ . انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - حققه د . احسان عباس - دار صادر بيروت ج ٣ ص ١٤٠ - ١٤٢

(٤) ابن الجوزى - الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء - تحقيق ودراسة د . فؤاد أحمد عبد المنعم - دار الحرمين للنشر - الدوحة - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ ص ٦٣

(٥) هو محمد بن أحمد بن منصور الأيشيهى - فقيه مصرى . ولد سنة ٧٩٠هـ صاحب كتاب المستطرف من كل فن مستظرف وله غيره مجموعة مؤلفات توفى سنة ٨٥٢هـ انظر شمس الدين السخاوى - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ج ٧ ص ١٠٩ .

وقيل اذا سهل الحجاب احجمت الرعية عن الظلم واذا عظم الحجاب هجمت على الظلم (١).

ولكن فقيهاً آخر هو القلعي (٢) فصّل في مسألة الحجاب بهذه بقوله "وليس المراد بترك الحجاب أن يبرز السلطان الى العوام على الدوام في الطرقات ويباشر بنفسه أحوال الرعية في جميع الأوقات انما المراد بذلك ألا يحجب عن مجلسه خواص الناس وذوى المروءات وأرباب الشرف والبيوتات وان يأذن للعلماء وأهل الدين الذين أستأذنوا عليه بلا بلاغ نصح يرجع صلاحه اليه والى كافة المسلمين وأن يصغى بنفسه الى مخاطبتهم ويستمع الى كلامهم ومحاورتهم ولا يكل ذلك الى وزرائه وحجابه وسائر من يعتمد عليه من نوابه، فأن أهل العلم والفضل وذوى الرياسة والنبل قد يأنفون من رفع حاجاتهم الى من لعله دونهم على الحقيقة في القدر والمنزلة" (٣)

أما الامام الماوردى (٤) فقد ذكر أن لا عدوى أعدى على السلطان وأقوى عليه وأشد تمكناً من مقاتله من عامله اذا كان جائراً غاشماً وخليفته اذا كان متعدياً ظالماً ولذا أوجب الماوردى على السلطان ملاحظة ذلك وعدم اقراره (٥).

---

(١) الأبشيهى - المستطرف من كل فن مستظرف - مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٩.

(٢) هو الامام أبو عبد الله محمد بن الحسن القلعى - الفقيه الشافعى اليمنى صاحب كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة - توفى سنه ٦٣٠هـ انظر تاج الدين أبو نصر السبكى - طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحى - مطبعة عيسى البابى الحلبى الطبعة الأولى ١٩٦٨م ص ١٥٥-١٥٦

(٣) أبو عبد الله القلعى - تهذيب الرياسة وترتيب السياسه - تحقيق ودراسة ابراهيم مصطفى عجو مكتبة المنار الأردن الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥م ص ٢٤٨.

(٤) هو على بن حبيب الماوردى. ولد فى البصرة سنة ٣٦٤هـ ثم انتقل الى بغداد وظل بها حتى وفاته سنة ٤٥٠هـ له من المؤلفات أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية والحاوى فى الفقه وقوانين الوزارة وسياسة الملك وغيرها. انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - مصدر سابق ج ١ ص ٣٢٦.

(٥) انظر الماوردى - نصيحة الملوك - تحقيق الشيخ خضر محمد خضر - مكتبة الفلاح الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ص ١٨٦.

وقال مؤكداً على هذا الأمر : " .. أن لا يسوغ (ولى الأمر) لأحد منهم (الولاة) شيئاً من ظلم الرعية قلّ أو كثر ويعلمهم ذلك من رأيه كتاباً وشفاهاً واستعمالاً ويعرفهم أن لا فرق بينهم وبين سائر الرعية فى أحكام الله وقضاياه ، وان ذلك فرض من الله لا يحتمل تغييراً ولا تبديلا "(١)

وعن ضرورة متابعة الامام لولاته يقول الماوردى أنه يجب عليه " أن لا تنطوى عنه أخبارهم ولا تخفى عنهم آثارهم ، وهم رعاة دولته وحماة رعيته ، فأن تدلس سقيمهم وستر جميلهم للقبيح ، سرى فيهم أخبث الأمرين لأن الشر أنفر بين الخير فمالوا وأمالوا "(٢) .

وقد لفت الماوردى نظر الوزير أيضاً الى أهمية المراقبة وذلك حين قال له : " رض نفسك بمشارفة الأعمال ، يرهبك جميع عمالك تنتظم لك جميع أعمالك "(٣)

وقال مؤكداً على هذا الأمر : " حق عليك أيها الوزير أن تكون لأعوانك مختبراً ولأحوالهم متطلعا وبهما على نفسك وعليهم مستظهرا لأنهم من يبين من تسوسهم وتستعين بهم ، لتعلم مافيهم من فضل ونقص وعلم وجهل وخير وشر وتتحرز من غرور المتشبه وتدليس المتقنع فتعطى كل واحد حقه "(٤) .

و بيّن له الغرض من تلك الرقابة وذلك حين قال : " اختبر أحوال من استكفيته لتعلم عجزه من كفايته واحسانه من اساءته فتعهد بما علمت من اقرار الكافى وصرف

---

(١) المرجع السابق ص ٧٧

(٢) الماوردى تسهيل النظر وتعجيل الظفر فى أخلاق الملك وسياسه الملك - تحقيق ودراسة رضوان السيد - دار العلوم العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٧م ص ٢١٩

(٣) أبو الحسن الماوردى - قوانين الوزارة - تحقيق ودراسة د . محمد سليمان داود ود. فؤاد عبد المنعم أحمد - مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية الطبعة الثانية ١٩٧٨م ص ١٤١

(٤) المرجع السابق ص ١٤٥

العاجز وحمد المحسن وذم المسيء" (١)

أما الفقيه أبو عبدالله القلعي فقد قال موجهاً حديثه الى الامام :-

" اعلم أن معايب عمالك والمتصرفين فى أعمالك من أقبح معايبك ومآثرهم ومناقبهم من أحسن مآثرك ومناقبك لأن بهم يستدل على مقدار معرفتك بمقادير الرجال ويوقف على كيفية تصرفك بتصاريف الأحوال ، فأحسن الاختيار لهم وأكثر الاستظهار عليهم وأعلم أنهم أنفاس الملك وحرايه ، قدم على مراعاة أحوالهم ولا تهمل مكافأة أفعالهم ، فأول المحسن مايستحقه من حسن الولاء والمسيء مايستوجبه من سوء الجزاء ليتصرفوا لك فى الأمانة ويتعففوا عن الخيانة " (٢)

وتحدث كذلك الفقيه الأندلسى ابن الأزرق (٣) عن الرقابة حيث قال : - " من مستحسن السيرة معهم (العمال) تفقدهم بأحد أمرين :-

الأمر الأول : بث العيون عليهم ليطلع بذلك على حقيقة حالهم ، ففى العهود : وابعث على عمالك بحضرتك وقاصيتك عيوناً ينهون اليك ما وقفوا عليه من ذللهم وفجورهم وما شجر بين رعيتك وبينهم ، وخير من وكلته بذلك ألا ينهى اليك منه الا مايقوم بنصيحة ولا يلزم أحداً بمؤونة فيه ، وتوعد عليه بغاية العقوبة واعرض ما أنهى اليك عنهم على خيرتك مما دفع اليك عنه وظنك فيه ، وما صححه الرافع عليه وان عثرت على عين منهم بظن جائر أو يقول كذب فعاقبه على ذلك عقوبة تروع من سواه عن سلوك نهجه وتجنب استعماله .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٢

(٢) القلعي - تهذيب الرياسة وترتيب السياسة - مصدر سابق ص ١٣٩ .

(٣) هو الفقيه محمد بن على بن محمد الأصبحى الأندلسى . ولد بغرناطه وتولى القضاء بها ثم انتقل منها الى تلمسان ومنها الى المشرق حيث تولى القضاء فى بيت المقدس حتى وفاته فى سنة ٨٩٦هـ له من المؤلفات فى مجال السياسة الشرعية : الابريز المسبوك فى كيفية آداب الملوك وبدائع السلك فى طبائع الملك اضافة الى غيرها من المؤلفات الفقهيه . انظر محمد بن محمد مخلوف شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية - دار الفكر بيروت ص ١٦١ - ١٦٢ .

الأمر الثانى :- استقدام من يعتد به من أهل عمالتهم لتعرف من ناحيتهم مثلهـــا تنـــهى اليك تلك العيون من لدنه "(١)

وتخلص من كل ماتقدم الى أن النظام الادارى الاسلامى قد عرف الرقابة الادارية وقعّـــد لهـــا واعتبرها ركناً أصيلاً من أركان العملية الادارية .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن الأزرق - بدائع السلك فى طبائع الملك - تحقيق د . محمد عبد الكريم - الدار العربية للكتاب - ليبيا ج ١ ص ٣٢٧

المبحث الثالث

أنواع الرقابة

ذكر علماء الادارة أنواعاً كثيرة من الرقابة مثل الرقابة التنظيمية أو الاجتماعية أو الذاتية .. الخ [١] ولكن يمكن ارجاع كل هذه الأنواع من الرقابة الى نوعين رئيسين هما :- [٢]

١ - الرقابة الداخلية ٢ - الرقابة الخارجية

وسنحاول فى هذا المبحث التعرف على هذين النوعين وأقسامهما ثم نتعرض بعد ذلك لنوعين من الرقابة اهتمت بهما الادارة الاسلامية هما الرقابة الذاتية والرقابة الشعبية .

أولاً : الرقابة الداخلية :-

الرقابة الداخلية عبارة عن رقابة تمارسها السلطات الادارية على نفسها سواء كان القائم بهذا الاجراء هو عضو الادارة نفسه أو رئيسه . والغرض منها هو قياس مستوى الأداء أو تصحيح الأخطاء ان وجدت.ففى هذا النوع نجد أن الادارة تراقب نفسها بنفسها حيث تقوم بتصحيح أخطائها وتصرفاتها المختلفة أو مايكشفه لها الأفراد من أخطاء عن طريق تظلماتهم .

والهدف من هذا الاجراء هو مصلحة الادارة نفسها وذلك بالمحافظة على حسن سير المرافق العامة وتنفيذ القوانين واللوائح . [٣]

وتنقسم الرقابة الداخلية الى قسمين : -

١ - رقابة تلقائية ٢ - رقابة رئاسية .

---

(١) انظر أبو بكر مصطفى يعيرة - الرقابة الادارية فى المنظمات - مفاهيم أساسية المنظمة العربية للعلوم الادارية - عمان الأردن ص ١٢ .

(٢) انظر د .عبد الرحمن الضحيان - الادارة فى الاسلام - مرجع سابق ص ١٢٩

(٣) انظر د .محمد كامل ليلة - الرقابة على أعمال الادارة - الرقابة القضائية دراسة مقارنة - القاهرة ١٩٦٥م ص ١٣٠

فالرقابة الداخلية التلقائية هى التى يقوم بها عضو الادارة أو الرئيس بصورة دائمة وتلقائية بقصد اكتشاف الأخطاء وتصويبها حيث أن الهدف الاساسى للادارة هو احقاق الحق واقامة العدل ومن ثم فأنه يجب على العضو الادارى فى الاسلام أن يراجع نفسه ويعاود تقليب النظر ويبحث فى تصرفاته ، فأذا تبين له أنه قد أخطأ فى بعض التصرفات فأن عليه أن يقوم من تلقاء نفسه بالغائها أو تعديلها أو استبدالها بتصرفات أخرى سليمة فهو ملزم بأن يؤدى مايوكل اليه وفقاً لأحكام الشرع وتعاليمه ، فهو أمانة فى عنقه عليه أن يؤديها على أكمل وجه ولا يصر على خطئه ، فالأصرار على الخطأ ليس من صفات المسلم "(١)

وهذا النوع من الرقابة التلقائية يقسمه علماء الادارة الى قسمين آخرين هما :

١ - الرقابة التلقائية الولائية ٢ - الرقابة التلقائية عن طريق التظلم

فالرقابة التلقائية الولائية يقوم بها عضو الادارة من تلقاء نفسه دون تنبيه من أحد . وأساس مشروعيتها يمكن أن نجده فى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى "(٢) كما نجده فى قوله صلى الله عليه وسلم : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائيين التوابون "(٣) .

فالادارى المسلم يراجع نفسه وتصرفاته بصورة منتظمة ودائمة حتى لا يقع فى الأخطاء التى تؤدى الى ظلم الغير .

وأما الرقابة عن طريق التظلم فيقوم بها أفراد المجتمع حين يقع عليهم الظلم من جانب الادارة . فالتظلم يقوم به من وقع عليه الظلم أو من ينوب عنه الى عضو الادارة

---

(١) د . سعيد الحكيم - الرقابة على أعمال الادارة - مرجع سابق ص ٣٨٦ .
(٢) سنن الترمذى - كتاب صفة القيامة ج ٤ ص ٣٨٦
(٣) انظر مصدر سابق الترمذى - كتاب صفة القيامة باب ٤٩ ج ٤ ص ٦٥٩ وابن ماجه - كتاب الزهد باب ٣٠ ج ٢ ص ١٤٢ ومسند الامام أحمد ج ٢ ص ١٩٨

الذى وقع الظلم منه ، فأن أنصفه فيها ونعمت وان أصر على موقفه أو أبدى مبـــررات غير مقنعة للمظلوم فيمكن للمظلوم حينئذ أن يتظلم الى رئيس هذا الموظف أو غيـــره من المسئولين بل يمكنه الوصول الى قمة الجهاز الادارى حتى ترد مظلمته ان وجدت .

٢ - الرقابة الداخلية الرئاسية :-

فى هذا النوع يقوم الرئيس أو المسئول بمراجعة ومراقبة أعمال مرؤوسيه ، أو اسناد ذلك الى شخص آخر . ومشروعية ذلك نجدها فى حديث المسئولية الذى يقول فيـــه الرسول صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الأمام راع ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته . وكلكم راع ومسئول عن رعيته " (١)

فالرئيس الادارى مسئول عن سير العمل فى ادارته ومسئول عن الاشراف علـــى أعمال مرؤوسيه وتوجيههم ومتابعتهم ومحاسبتهم لأن الوظيفة فوق كونها أمانة فهـــى تتضمن جانبين هما الولاء والعطاء وهما صفتان متلازمتان الأولى شرط للثانيـــة والثانية نتيجة حتمية للأولى وهما مطلوبتان فى كل عمل . (٢)

" فتصويب الخطأ الذى يقع فيه الموظف من خلال عمله ، عندما يلاحظ عليه شىء من ذلك ، سواء كان الخطأ مقصوداً أم غير مقصود ، لا يحط من قدره ولا يتصور ذلك من عاقل لأن منع الموظف من ارتكاب المحذور أو الوقوع فى الغلط اعانة له على أداء واجبه وحماية له من الوقوع فى المزالق التى تلحق الضرر بالمصلحة العامة وتسىء الى سمعته وتخدش أمانته فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بذلك حين قال : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل : يارسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قـــال

---

(١) سبق تخريجه فى ص ١١

(٢) انظر صالح الفهد - كسب الموظفين - مرجع سابق ص ٣٠٤

تمنعه من الظلم "[١] أما ترك المسيء يتمادى في اساءته فليس من الاسلام في شيء وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من ذلك فقال : " من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن أصبح وهمه غير الله فليس من الله"[٣]

" ثم ان الرقابة على أعمال الموظفين أياً كانت منزلتهم ، ليست بدعاً في حياة الأمة فالدين الاسلامي قد بنيت قواعده على مثل ذلك ، وما مراقبة الموظفين إلا جزء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمرت به كافة الأمم السابقة وخصت به أمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله جل وعلا : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ."[٣ - ٤]

وبالطبع فأنه لا يقتصر تغيير المنكر على الرؤساء دون المرؤسيين فالكل مخاطب بنصوص الشريعة ومطلوب منه تنفيذها فلفظه "من " في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكراً فليغيره "[٥] من صيغ العموم ، ولا يعذر الموظف لو رأى في تصرفات رئيسه ضرراً على مصلحة العمل ولم يحاول أن يثنيه عن ذلك .[٦]

والرقابة الرئاسية يمكن تقسيمها الى قسمين :-

آ - رقابة رئاسية سابقة ب - رقابة رئاسية لاحقة .

---

(١) رواه البخاري عن أنس بن مالك في كتاب الاكراه باب يمين الرجل. انظر فتح الباري - مرجع سابق ج ١٢ ص ٣٢٣ كما رواه الامام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك - انظر مسند أحمد ج ٣ ص ٢٠١

(٢) رواه البيهقي من حديث هنيد بن راشد مرفوعاً - انظر السخاوي - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة - صححه وعلق على حواشيه عبد الله محمد الصديق - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ - ١٩٧٩م ص ٤٢٨ .

(٣) ال عمران الآية ١١٠

(٤) صالح الفهد - كسب الموظفين - مرجع سابق ص ٢٤٩

(٥) الترمذي - كتاب الفتن - باب ١١ ج ٤ ص ٤٤٩

(٦) انظر صالح الفهد - كسب الموظفين - مرجع سابق ص ٣٠٨

فالرقابة الرئاسية السابقة هي التي يقوم بها الرئيس أو المسئول قبل وقوع الأخطاء وذلك بتنبيه مرؤوسيه الى الأخطاء واحتمالاتها كما يقدم لهم آراءه المتعلقة بتنفيذ السياسات ويتم هذا النوع من الرقابة عبر وسائل مختلفة منها الكتابة اليهم أو تقديم النصائح الشفهية أو غير ذلك من الوسائل .

أما الرقابة الرئاسية اللاحقة فهي التي يقوم بها الرئيس أثناء تنفيذ العمل أو بعده وذلك بغرض تصويب الأخطاء أو الاطمئنان على سلامة الأداء .

وقد عرفت الادارة الاسلامية الرقابة الرئاسية بنوعيها ، وسنرى ذلك من خلال التطبيقات التي سنتعرض لها في البابيين الثاني والثالث من هذا البحث .

ثانياً :- الرقابة الخارجية :-

المقصود بالرقابة الخارجية هو قيام هيئات ادارية يختص كل منها بمراقبة نوع معين من أوجه النشاط الاداري للسلطة التنفيذية وهذه الهيئات أو المؤسسات هي أجهزة منفصلة عن الأجهزة الادارية المطلوب مراقبتها أو فحصها (١) .

ويرى أحد الباحثين المختصين في مجال الادارة الاسلامية أن أجهزة الرقابة الخارجية في الادارة الاسلامية يمكن أن تتكون من المؤسسات التالية (٢) .

أ - ديوان المظالم .

ب - ديوان المراقبة العامة .

جـ - هيئة الرقابة والتحقيق .

د - الرقابة الشعبية .

ويمكن تقسيم رقابة الأجهزة الخارجية مثل التقسيم السابق في الرقابة الرئاسية الى رقابة خارجية سابقة ورقابة خارجية لاحقة (٣) .

---

(١) انظر د . سعيد الحكيم - الرقابة على أعمال الادارة - مرجع سابق ص ٣٢١

(٢) انظر د . عبد الرحمن الضحيان - الادارة في الاسلام - مرجع سابق ص ١٣٠-١٣٥

(٣) انظر د . سعيد الحكيم - الرقابة على أعمال الادارة - مرجع سابق ص ٣٩٦ ومابعدها

وفى خاتمة هذا المبحث أتعرض لنوعين من الرقابة اهتم بهما الاسلام وعولت عليهما الادارة الاسلامية فى تحقيق أهدافها وهذين النوعين من الرقابة هما :-

١ - الرقابة الذاتية ٢ - الرقابة الشعبية .

أولاً : الرقابة الذاتية :-

الاسلام دين الوسطية فهو دين يحقق للأفراد ذاتيتهم دون المساس بحقوق الجماعة، كما أنه يمنع الجماعة من الافتئات على حقوق الأفراد .

وحتى على المستوى الفردى فأنه يحقق للانسان توازناً بين متطلباته الروحية واحتياجاته المادية. قال تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً " (١) وهذه الوسطية هى التى تعطى الأمة صلاحها كما تعطى الفرد ذاتيته .

قال تعالى :" ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " . (٢)

وقد اهتم الاسلام بتربية الفرد حتى ينصلح أمر المجموع، وذلك أن الأمة ماهى الا مجموع أفراد ان صلحوا صلح المجتمع وان فسدوا اختل وفسد .

فالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، كان دائب التأديب لأصحابه قولاً وفعلاً منذ أن بعث وحتى التحاقه بالرفيق الأعلى ، وذلك باعتبارهم نواة للمجتمع الجديد .

وآيات القرآن الكريم هدفت الى ربط الانسان بخالقه فى السر والعلن وذلك من خلال رقابة الله سبحانه وتعالى لعبده، قال تعالى :" ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد " (٣)

فالانسان المؤمن يعلم يقيناً بأن الله سبحانه وتعالى قد أوكل به ملكين يكتبان أفعاله وأقواله قال تعالى " مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد " (٤) ويقول سبحانه :

---

(١) البقرة الآية ١٤٣
(٢) الملك الاية ١٤
(٣) ق الاية ١٦
(٤) ق الاية ١٨

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »(١) كما يقول جل شأنه : "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا "(٢)

ولذلك جاء فى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : " اعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فأنه يراك "(٣) .

وهذه التربية الايمانية لضمائر الأفراد وقلوبهم هى التى توجد الانسان الصالح الذى بصلاحه يصلح المجتمع - قال صلى الله عليه وسلم :" ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ".(٤)

وحرص الاسلام على تربية الفرد وضبط سلوكه وعلاقاته المختلفة انما يرجع الى أن هدف الوجود الانسانى كله انما هو عبادة الله سبحانه وتعالى ، يقول المولى عز وجل : " وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون »(٥)

وهذه العبادة تمتد الى كل جوانب حياة الفرد منذ أن يبلغ سن التكليف وحتى يلقى الله سبحانه . لذا فقد اهتم الاسلام بأصلاح باطن الانسان وظاهره قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم : " وانك لتهدى الى صراط مستقيم"(٦) ويقول " فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً "(٧) كما يقول تعالى : " فاستقم كما أمرت"(٨)

وهذه التربية الايمانية أخرجت للدنيا جيلاً قرآنياً فريداً ، أذهل العالم بابداعاته فى كل مجال من مجالات الحياة المختلفة . هذا الجيل الذى تربى ضميره

---

(١) الزلزلة الآية ٨
(٢) الاسراء الاية ٣٦
(٣) البخارى كتاب الايمان باب ٣٧ ومسلم كتاب الايمان باب ١
(٤) البخارى - كتاب الايمان باب فضل من استبرأ لدينه ج ١ ص٩ ومسلم كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ج ٣ ص ١٢٢٠
(٥) الذاريات الاية ٥٦
(٦) الشورى الاية ٥٢
(٧) مريم الاية ٤٣
(٨) هود الاية ١١٢

على الخوف من الله والخضوع له . يصيب الواحد منهم فى لحظة من لحظات الضعف البشرى حداً من حدود الله تعالى ، وليس عليه من رقيب سوى الله عز وجل ، ولكنه يأتى الى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يطهره ويراجعه الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مرات، ولكنه يصر على اقامة الحد عليه مع علمه أن فى ذلك هلاك نفسه .(١)

انعكست هذه التربية على جوانب الحياة المختلفة وبعثت فيها روحاً جديدة ومن بين هذه الجوانب الحياتية التى شملتها هذه التربية، جانب الادارة فالادارى المسلم يعتبر الوظيفة عبادة يتقرب بها الى الله سبحانة وتعالى وينظر اليها باعتبارها تكليفاً .(٢) ولذلك فهو مسئول أمام الله سبحانة وتعالى عن كل تقصير يصدر منه قبل أن يكون مسئولاً عنه أمام رئيسه .

ومراقبة الادارى المسلم لأدائه وحرصه على أن يكون صحيحاً انما يأتى امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه "(٣)

" فالرقابة الذاتية من أهم وأضمن أنواع الرقابة، حيث أنها تعنى رقابة الفرد المسلم على سلوكه وضبطه وفق تعاليم الشريعة الاسلامية السمحة وكذلك رقابة المجتمع بأسره على تصرفات أفراده ، هذه الرقابة تعتمد على يقظة الضمير وصحوته وربط ذلك الضمير بخالقه سبحانه وتعالى فى السر والعلن .

وهذا بطبيعة الحال أدى الى تنمية السلوك السليم وأخلاقيات العمل القويمة

---

(١) انظر مثلاً على ذلك قصة ماعز التى وردت فى صحيح البخارى. كتاب الحدود باب لا يرجم المجنون ولا المجنونة ج ٦ ص٢٩٩ وفى صحيح مسلم كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ج ٣ ص ١٣١٩

(٢) انظر تقى الدين ابن تيمية- السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية دار الآفاق بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ص ١٣٩ .

(٣) حديث مرفوع عن أبى ليلى - انظر اسماعيل بن محمد العجلونى - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس تحقيق وتصحيح أحمد القلاش - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ج ١ ص ٢٨٥

والمستقيمة "(١)

وقد تفرد الاسلام بهذا النوع من الرقابة ، على غيره من النظم الوضعية حيث أن الرقابة فى مفهوم هذه النظم وظيفة تؤدى لضمان عدم خروج المنظمة عن الطريق الواجب سلوكه . ولكن هذه النظم الوضعية لا تحفل كثيراً بتربية الضمير ، احتفالها بتطبيق النظام الذى يأتى شكلياً فى أحيان كثيرة (٢) .

اذن" فالرقابة الذاتية للفرد المسلم تبعده عن الانحراف وتجعله ملتزماً بأحكام الله وشرعه فى أعماله الادارية وهذا غاية مايسعى الاسلام اليه" (٣)

ثانياً : الرقابة الشعبية :

كما تفرد الاسلام بالرقابة الذاتية فقد تفرد كذلك بالرقابة الشعبية والمقصود بالرقابة الشعبية ، رقابة الشعب على تصرفات الجهاز الادارى من القمة الى القاعدة فكل مواطن من حقه أن يراقب تصرفات الأجهزة الادارية على جميع مستوياتها . (٤)

ومشروعية الرقابة الشعبية انما تنبع من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل الخلفاء الراشدين ومن نهج نهجهم .

فالقرآن الكريم يصف المؤمنين بالخيرية وذلك فى قوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" (٥)

فسبب هذه الخيرية هو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وايمانهم بالله .

وجماع الدين كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله هو أمر ونهى ، فالأمر

---

(١) الرائد محمد مهنا العلى - الادارة فى الاسلام - الدار السعودية للنشر الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ص ١٢٥ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ١٢٤ .
(٣) د . أحمد ابراهيم أبو سن - الادارة فى الاسلام - الدار السودانية للكتب الطبعة الثالثة ١٩٨٤ ص ١٢١ .
(٤) انظر محمد عبد الله الشيانى - نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية منذ صدر الاسلام الى سقوط الدولة العباسية - دار عالم الكتب للنشر والتوزيع الرياض - الطبعة الثانية ١٩٨٤ ص ٢٠
(٥) آل عمران الآية ١١٠ .

الذى بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهى الذى بعثه به هو النهى عن المنكر، وهذا نعت النبى والمؤمنين كما قال تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (١) .

وهذا واجب على كل مسلم قادر وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذى لم يقم به غيره والقدرة هى السلطان والولاية فذو السلطان أقدر من غيرهم وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم فأن مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل انسان بحسب قدرته » (٢)

وأما أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الداعية الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكثيرة جداً نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فأن لم يستطع فبلسانه فأن لم يستطع فبقلبه ، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة " (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم : " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر . . الحديث" (٥)

أما عن عمل الخلفاء الراشدين فتكفى الاشارة الى أن اتساع فكرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومحاسبة ولاة الأمر دون الضوابط التى وضعها الاسلام للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كانت سبباً من أسباب الفتنة ضد الخليفة الثالث رضى الله عنه (٦)

وهذا الحق - حق الأمة فى المراقبة - أثبته الفقهاء حيث يقول القاضى

---

(١) التوبة الاية ٧١
(٢) تقى الدين أحمد بن تيمية - الحسبة فى الاسلام - نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالسعودية - مطابع دار الفكر بيروت ص٦
(٣) سبق تخريجه فى ص ٢١
(٤) سبق تخرجه فى ص ١٠
(٥) سبق تخرجه فى ص ١٠
(٦) انظر محمد عبد الله الشبانى - نظام الحكم فى الاسلام - مرجع سابق ص ٨٣ .

عياض [١] : " فلو طرأ عليه (الخليفة) كفر أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب امام عادل " [٢]

فهن هذه النصوص يظهر لنا أن الاسلام قد منح أهله الحق فى مراقبة بعضهم البعض ولو لم تكن ثمة مسئولية محددة لأحدهم على الآخر [٣] .

---

(١) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى - فقيه مغربى ومحدث ونسابة . ولد فى سبتة سنة ٤٧٦ هـ وتولى القضاء بها ثم تولى قضاء غرناطة ومات بمراكش سنة ٥٤٤ هـ وله من المؤلفات الشفاء بتعريف حقوق المصطفى وترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعلام مذهب الامام مالك وشرح صحيح مسلم وغيرها من المؤلفات انظر وفيات الأعيان - مصدر سابق ج ١ ص ٣٩٢ وكتاب تاريخ قضاة الأندلس للشيخ أبى الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى الأندلسى - تحقيق لجنة احياء التراث العرب فى دار الآفاق الجديدة منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ ص ١٠١

(٢) نقلاً عن عبد الله النفيس - فى السياسة الشرعية - مرجع سابق ص ٨٣

(٣) انظر صالح الفهد - كسب الموظفين - مرجع سابق ص ٢٠٥

الفصل الثاني

إختيار الموظفين وتوجيههم ومحاسبتهم في النظام الإسلامي

ويشتمل علي المباحث التالية :

١- المبحث الأول : إختيار الموظفين والعمال فى النظام إسلامي

٢- المبحث الثاني : التوجيه والإشراف

٢- المبحث الثالث : المحاسبة في النظام الإسلامي

الفصل الثانـــــى

اختيار الموظفين وتوجيههم ومحاسبتهم فى النظام الاســـلامـــى

تمر الرقابة الادارية ولا سيما الرئاسية منها بثلاثة مراحل هى : - (١)

١ - مرحلة اختيار الموظفين والشروط المطلوبة فى ذلك .

٢ - مرحلة الاشراف والتوجيه والتبصير بالمهـــــام .

٣ - مرحلة المتابعة والمحاسبة وتصحيح الأخطـــاء .

وسنتطرق فى هذا الفصل الى هذه المراحل الثلاث من خلال المباحث التالية :-

أ - المبحث الأول : اختيار الموظفين والعمال فى النظام الاسلامى .

ب - المبحث الثانى : التوجيه والاشـــراف

جـ - المتابعة والمحاسبة .

المبحث الأول : -

اختيار الموظفين والعمال فى النظام الاســـلامـــى

ان الرئيس أو الحاكم - أياً كان نوع رئاسته أو ولايته عامة كانت أم خاصة - ليس حراً الحرية المطلقة فى اختيار موظفيه وأعوانه وانما حريته مقيدة فى اطار المشروعيـــــة الاسلامية وفى حدود الشروط التى حددتها الشريعة .

والشروط المستخلصة من القرآن الكريم يمكن حصرها فى شرطين هما : القـــوة والأمانة .

قال تعالى فيما يحكيه عن احدى بنات نبى الله شعيب عليه السلام وهى تزكـى سيدنا موسى لأبيها بعد أن سقى لهما : " ياأبت استأجره ان خير من استأجـــرت القوى الأمين ". (٢)

---

(١) انظر وقائع ندوة النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ٢٩٢

(٢) القصص الايـــة ٢٦

والقوة هنا قد تعنى القوة الجسمية والقدرة كما قد تعنى الكفاءة.وقال تعالى فيما يحكيه على لسان عزيز مصر ليوسف عليه السلام : " انك اليوم لدينا مكين أمين " (١)

وجاء على لسان سيدنا يوسف وهو يتقدم نفسه الى عزيز مصر : " اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم " (٢) .

فالحفظ يدخل فى باب الأمانة والعلم يدخل فى باب الكفاءة والقدرة .

ومن هنا " فلا يجوز فى النظام الاسلامى أن يولى الوظائف العامة فى الدولة الا القوى الأمين ويعزل عنها الضعيف الخؤون " (٣)

وقد شرح شيخ الاسلام ابن تيمية المقصود من القوة بقوله : - " والقوة فى كل ولاية بحسبها فالقوة فى امارة الحرب ترجع الى شجاعة القلب والخبرة بالحروب والمخادعة فيها والى القدرة على أنواع القتال والقوة فى الحكم بين الناس ترجع الى العلم بالعدل الذى دل عليه الكتاب والسنة والى القوة فى تنفيذ الأحكام " (٤)

أما الركن الثانى وهو الأمانة فأن مفهومها يتحدد بخشية الله دون الناس كما فى قوله تعالى : " فلاتخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (٥) والحكم بغير ما أنزل الله يشمل أى حكم سواء كان متعلقاً بالفصل فى المنازعات أو تنفيذ النظم وسياسة الموظفين وخدمة المسلمين . (٦)

وأما العلم فقد حكى الاجماع على أن المكلف لا يجوز له أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ، فمن باع وجب عليه أن يتعلم ما عينه الله وشرعه فى البيع ومن آجر وجب

---

(١) يوسف الاية ٥٤
(٢) يوسف الاية ٥٥
(٣) وقائع ندوة النظم الاسلاميه - مرجع سابق ج ١ ص ٢٩٤
(٤) ابن تيميه - السياسة الشرعية - مصدر سابق ص ١٥
(٥) المائدة الاية ٤٤
(٦) انظر صالح الفهد - كسب الموظفين - مرجع سابق ص ٢٨٣ .

عليه أن يتعلم ما شرعه الله فى الاجارة وهكذا فى القراض وغيره .(١)

والأمانة ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر(٢) عندما طلب منه أن يوليه حيث قال له النبى صلى الله عليه وسلم : "انها أمانة وانها خزى وندامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها"(٣) .

وهذه الأمانة هى التى عناها النبى صلى الله عليه وسلم حين قال "اذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة قيل : يارسول الله وما اضاعتها ؟ قال : اذا وسّد الأمر الى غير أهله فانتظروا الساعة"(٤)

وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من مخالفة هذه الصفات المطلوبة فى الاختيار واتباع الهوى فى ذلك وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : "من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم"(٥)

وفى رواية من استعمل رجلاً على عصابة وفى تلك العصابة من هو أرضى لله فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين"(٦)

---

(١) انظر عبد الحى الكتانى - نظام الحكومة النبويه المسمى التراتيب الادارية - دار الكاتب العربى - بيروت ج ٢ ص ١٦

(٢) هو جندب بن جنادة بن قيس الغفارى من كنانة. أبو ذر . من أوائل الصحابة . هاجر بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى الشام وأقام بها مدة خلافة أبى بكر وعمر وفى خلافة عثمان اختلف مع معاوية والى الشام فاستقدمه عثمان الى المدينة ومنها رحل الى الربذة بالقرب من المدينة وأقام بها حتى وفاته فى سنة ٣٢ هـ .
انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ٢١٩ ومابعدها

(٣) صحيح مسلم كتاب الامارة باب كراهية الامارة بغير ضروره .

(٤) البخارى - كتاب العلم باب ٢

(٥) فتح البارى ج ٤ ص ١٩

(٦) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٩

وقد روى عن حذيفة بن اليمان (١) أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه : أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس ، علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله ورسوله وغش المسلمين .

وقد فصّل صاحب كتاب الكفاءة الادارية في السياسة الشرعية في شروط الاختيار حيث قال : " ان أسس كفاءة الولاة في الاسلام ، بل وعند غير المسلمين ثلاثة وهي الأمانة التي يؤدي صاحبها ما أنيط به من عمل دون غش ولا خيانة. وهي تؤهله لثقة الناس فيه واذا كان صاحب هذه الصفة مسلماً فأنها تلازمه في كل أحواله بسبب خشيته لله تعالى . والخبرة وهي علمه بوظيفته ومراسه فيها بحيث تكون خطواته كلها سائرة عن علم ودراية ، مؤدية الى الهدف الذي وضعت له ولا يتيه ولا يجهل شيئاً من عمله جهلاً يؤدي الى فشله وعدم تحقيق الهدف المقصود .

" والقوة التي يتمكن صاحبها من تنفيذ عمله ، واجتياز المعوقات بصبر وجلد دائميين . وان هذه الأسس الثلاث تعتبر ضرورة لكل عامل في ولايات المسلمين من أعلا مسئول فيها الى أدنى موظف كل بحسب ولايته وما أسند اليه من عمل " (٢)

وذكر الكاتب لعامل الخبرة يعتبر نوعاً من التفضيل من وجهه نظري لأن الخبرة يمكن أن تندرج في شرطي القوة والأمانة .

---

(١) هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسي ، واليمان لقب حسل . أبو عبد الله . من كبار الصحابة ومن الولاة الشجعان . صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه عمر المدائن واشترك في معركة نهاوند . توفي بالمدائن سنة ٣٦هـ .
انظر شمس الدين الذهبي - سير أعلام النبلاء - حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد - مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٧٧م ج ٢ ص ٣٦١ كما ينظر كذلك أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير - دار الفكر بيروت ج ١ ص ٤٦٨ - ٤٧٠ .

(٢) د . عبد الله أحمد قادري - الكفاءة الادارية في السياسة الشرعية - دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ٣٧

وبما أن النظام الادارى الاسلامى يقوم على التدرج فعلى كل مسئول أن يختار لها تحته من وظائف أفضل من يجد . وقد فصّل الامام ابن تيمية ذلك وهو يتحدث عن الأمام حيث قال : " فيجب عليه البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الامصار من الأمراء الذين هم نواب ذى السلطان ، والقضاة ، ومن أمراء الأجناد ، ومن مقدمى العساكر الصغار والكبار وولاة الأموال ومن الوزراء والكتاب والسعاة على الخراج والصدقات وغير ذلك من الأموال التى للمسلمين وعلى كل واحد من هؤلاء ان يستنيب ويستعمل أصلح من يجده ، وينتهى ذلك الى أئمة الصلاة والمؤذنين والمقرئيين والمعلمين وأمير الحاج والبرد والعيون الذين هم القضاد ، وخزان الأموال وحراس الحصون والحدادين الذين هم البوابون على الحصون والمدائن ونقباء العساكر الكبار والصغار وعرفاء القبائل والأسواق ورؤساء القرى " (١)

ثم أضاف " فيجب على كل من ولى شيئاً من أمر المسلمين من هؤلاء وغيرهم ، أن يستعمل فيما تحت يده فى كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدم الرجل لكونه طلب الوظيفة أو سبق فى الطلب . بل ذلك سبب المنع فأن فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أن قوماً دخلوا عليه فسألوه ولاية فقال : انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه " (٢ - ٣)

فاذا اجتهد ولى الأمر فى اختيار ذوى الرتب العليا ، بحيث اختار أفضل من وجد فى رعيته فقد أدى ما عليه ، وقام بما أمر به ولم يبق عليه الا توجيه هؤلاء الولاة الى ما فيه

---

(١) ابن تيمية - السياسة الشرعية - مصدر سابق ص ١٠ وانظر كذلك مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيميه - مصدر سابق ج ٢٨ ص ٢٤٧

(٢) صحيح مسلم كتاب الامارة ج ٣ ص ١٤٥٦ .

(٣) ابن تيمية - السياسة الشرعية - مصدر سابق ص ١٠

مصلحة الأمة من اختيار كل وال لولايته الاكفاء الصالحين للأعمال المنوطة بهم . (١)

فأذا قام ولى الأمر باختيار الأكفاء لولاياته دون محاباة بل باخلاص وتجرد ثم قام ولاته بذلك فى ولاياتهم ، سدّد الله خطاهم جميعًا وأعانهم على أعمالهم ونالت الرعية حقوقها بقدر صلاح من تولى عليهم وسعدوا بالأمن على ضروراتهم ومصالحهم وعم الرخاء وانتفت الضغائن والأحقاد وانقطع طمع المفسدين من نشر فسادهم لأن ولى الأمر ومن يعينه يحققون معنى قول الله تعالى " الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور " (٢ - ٣)

واذا لم يجد المسئول الشخص المناسب الذى تنطبق عليه كل شروط الاختيار فليس عليه أن يستعمل الا أصلح الموجود وقد لا يكون فى موجوده من هو أصلح لتلك الولاية فيختار الأمثل فالأمثل فى كل منصب بحسبه ، واذا فعل ذلك بعد الاجتهاد التام وأخذه للولاية بحقها ، فقد أدى الامانة وقام بالواجب فى هذا وصار فى هذا الموضع من أئمة العدل المقسطين عند الله تعالى وان اختل بعض الأمور بسبب من غيره ، اذا لم يكن الا ذلك فأن الله يقول : " فاتقوا الله ما استطعتم " (٤) ويقول : " ولا يكلف الله نفساً الا وسعها " (٥ - ٦)

ويذكر الماوردى أن الامام أو الملك لا استقامة له ولا لرعيته الا بتهذيب أعوانه وحاشيته لأنه لا يقدر على مباشرة الأمور كلها بنفسه وانما يستنيب فيها الكفاة من أصحابه لأن سياسة الأئمة مقصوره فى مباشرتهم لها على أمرين :- أحدهما تدبير أمور الجمهور بآرائهم - والثانى استنابة الكفاة فى تنفيذها على أوامره -

---

(١) انظر د . عبد الله أحمد قادرى - الكفاءة الادارية - مرجع سابق ص ١١٤
(٢) الحج الاية ٤١
(٣) انظر د . عبد الله أحمد قادرى - الكفاءة الادارية - مرجع سابق ص ١٦٨ - ١٦٩
(٤) التغابن الاية ١٦
(٥) البقرة الاية ٢٨٦
(٦) ابن تيمية - مجموع الفتاوى - مصدر سابق ج ٢٨ ص ٢٥٢ .

وماسوى ذلك فالأعوان هم كفلاء مباشرتها وزعماء القيام بأعبائها .(١)

وأكد على أهمية التدقيق فى الاختيار حين قال : " . . . فعلى حسب ذلك يجب أن يختار الملك ولاة أعماله وجباة أمواله . وليعلم أنه ليس يجد من يكمل بكل فضيلة ويبرز فى كل منقبه ، ولكنه يختار لكل عمل من هو أصلح له وأشده لمسده وان كان فيه تخلف أو تقصير من جهات أخرى فأنه لا يجد مهذباً لا عيب فيه وكاملاً لا نقص معه ، واذا لم يستعمل ذوى المعايب ضاعت الأمور وتعطلت "(٢)

وأرشد الحاكم الى كيفية الاختيار بقوله : " وأصل مايبنى عليه قاعدة أمره فى اختيار عماله وكفاته أن يختبر أهل مملكته ويسبر جميع حاشيته بتصفح عقولهم وآرائهم ومعرفة هممهم وأخلاقهم حتى يعرف به باطن سرائرهم ومايلائم كامن شيمهم ، فأنه سيجد طباعهم مختلفة هممهم متباينة ومنهم متفاضلة وقد قبل الهمة رائد الجد فيصرف كل واحد منهم فيما طبع عليه من خلق وتكاملت فيه من آلة وتخصصت به من همة فهى أحوال ثلاث يجب اعتبارها فى كل مستكفى وهى الخلق والكفاية والهمة فلا يعطى أحدهم منزلة لا يستحقها لنقص أو خلل يستكفيه أمر ولايته ولا ينهض بها لعجز أو فشل "(٣)

كما حذره من تولية غير الكفاءة بقوله : " ليحذر الملك تولية أحد بشفاعة شفيع أو رعاية حرمة اذا لم يكن مضطلعاً بثقل ماولى ، ولا ناهضاً بعبء مااستكفى فيختل العمل لعجز عامله ويفتضح العامل بانتشار عمله فيصير الحزم بهما مضاعا والهوى فيهما مطاعاً "(٤) .

---

(١) انظر الماوردى - تسهيل النظر وتعجيل الظفر مصدر سابق ص ٢٣١

(٢) الماوردى - نصيحة الملوك - مرجع سابق ص ١٨٧ .

(٣) الماوردى - تسهيل النظر وتعجيل الظفر - مصدر سابق ص ٢٣٢

(٤) المصدر السابق ص ٢٣٤

وتحدث القلعى عن مسألة الاختيار هذه فقال مخاطباً ولاة الامور :-

" لا تستكف الا الكفاة النصحاء ولا تستبطن الا الثقاة الأمناء واذا استكفيتهم شغلاً أو وليتهم امراً فأحسن الثقة بهم وأكد الحجة عليهم فأذا رأيت منهم غدراً وتبينت منهم عجزاً فاستبدل بهم ، واستوف مالك عليهم ولا تقلد منهم أحداً ولا تعتمد عليهم أبداً فمن عارض مع الاستقلال والأمانة قمع كفاته وعماله ، ومن قلد مع العجز والخيانة ضيّع أعماله وماله" (١)

وفى مجال الاختيار والتوظيف نجد أن الامام الماوردى قد سبق الادارة الحديثة فى التحذير من فائض العمالة ودعا ولاة الأمر الى الاقتصار على العدد الذى لا بد منه من العمال والموظفين مبيناً أن الاكثار منهم فوق الحاجة يعتبر ضرباً من ضروب الفساد وقد عدّد بعض جوانب الفساد الناتج عن العمالة الزائدة بقوله :-

" أولها : أنهم اذا كثروا كثرت أرزاقهم ومؤنهم على بيت المال فشغلت المال عن الأوجب الأولى والأحق الآخرى وأضرت بيت المال .

" الثانى : انهم اذا كثروا كثرت مكاتبتهم وكتبهم وكتب الأمناء عليهم والشكايات منهم والرجائع عليهم فشغل ذلك الملك عن كثير مما هو أولى وأحق وأجدر وأخلق .

" الثالث : انهم اذا كثروا كانوا من اتفاق كلمهم على الرشد والفلاح والأمانة والصلاح والعفة أبعد لأن الأمناء المختارين والكفاة المقدمين فى كل عصر وزمان ووقت وأوان أعزة قليلون فلابد اذا كثروا من اختلاف أحوالهم فى هذه المعانى والخصال التى يحتاج اليها فيهم ومنهم" (٢)

ويرى أحد الباحثين المعاصرين أنه اذا كانت الشروط المطلوب توافرها فى المرشح للوظيفة العامة فى النظام الادارى الاسلامى ، يمكن أن تتقابل من حيث

---

(١) القلعى - تهذيب الرياسة وترتيب السياسه - مصدر سابق ص ١٤١

(٢) الماوردى - نصيحة الملوك - مصدر سابق ص ١٩١ - ١٩٢ وينظر الماوردى أيضاً كتاب قوانيين الوزارة - مصدر سابق ص ١٤٣ .

الشكل دون الموضوع مع الشروط المطلوبة فى هذا المجال فى النظم الوضعية المعاصرة فأن وسائل اختيار الولاة لتولى الوظائف العامة بين النظامين، تنطوى على اختلاف جوهرى ، يكمن فى أن هذه الوسائل ترتكز فى النظم الوضعية المعاصرة على تقدم الشخص وعرض نفسه لتولى الوظيفة العامة على عكس الحال فى النظام الاسلامى . (١)

---

(١) أنظر وقائع ندوة النظم الاسلامية مرجع سابق ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ورقة الدكتور محمد طاهر عبد الوهاب والتى بعنوان الرقابة الادارية فى النظام الادارى الاسلامى .

المبحث الثانـــــى

التـــوجيـــه والاشـــــراف

بعد أن يختار الاداري المسلم مرؤوسيه ، تبدأ المرحلة الثانية من مراحل الرقابة الادارية وهى مرحلة الاشراف والتوجيه والمتابعة وأول ما يبدأ به فى هذه المرحلة هو تبصير الموظف بحدود وظيفته ومدى صلاحياته ، حتى لا يتعداها ويقع فى الأخطاء .

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، وذلك حين أرسل معاذاً ابن جبل (١) رضى الله عنه الى اليمن قاضياً فقد سأله المصطفى صلى الله عليه وسلم كيف يؤدى وظيفته ، وذلك حتى يطمئن النبى صلى الله عليه وسلم على معرفة معاذ رضى الله عنه لحدود هذه الوظيفة وكيفية أدائها فقد سأله صلى الله عليه وسلم بم يقضى ؟ فأجاب : بكتاب الله ثم سأله النبى صلى الله عليه وسلم بم يقضى ان لم يجد حكماً فى الكتاب ؟ فأجاب معاذ بأنه سيقضى بسنة رسول الله ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن قضائه ان لم يجد حكماً فى السنة فأجاب معاذ بأنه سيجتهد رأيه وهنا أطمأن النبى صلى الله عليه وسلم على معرفة معاذ رضى الله عنه لحدود ولا يتـــه وصلاحياتها فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله" (٢)

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن عائذ الأنصارى الخزرجى . شهد العقبة وشهد بدراً وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم عدداً من الأحاديث. توفى بالأردن سنة ١٧هـ . انظر شمس الدين الذهبى - سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ١ ص ٤٣٣ . وشهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر العسقلانى - الاصابة فى تمييز الصحابة - دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ج ٣ ص ٤٢١ - ٤٢٧.

(٢) انظر ابن الأثير الجزرى - جامع الأصول فى أحاديث الرسول - حققه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط - مكتبة دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ج ١٠ ص ١٧٧ .

فتحديد الوظائف وتقسيم العمل مسألة مهمة لأنه يترتب على تحديد الوظائف وتقسيم العمل ، معرفة قيام العامل بعمله لأن الوظيفة المحدّدة تجعله مسئولا عنها أمام ولى الأمر ، اذ لا يستطيع أن يحمّل غيره مسئوليته المحدّدة اذا حصل فيها تقصير وذلك حافز على قيام العامل بعمله ومؤد الى معرفة المتوانى عن العمل ليحاسب عليه. لهذا كان من أهم صفات ولى الأمر التى تجعله كفوءاً أن يكون قادراً على تحديد الأعمال والوظائف وتقسيمها بين عماله .(١)

بل ان عمر رضى الله عنه بين أن مسئولية ولى الأمر لا تنتهى باسناد الأمور الى الكفاة الأخيار فقد ورد أنه رضى الله عنه سأل أهل شوراه عن رأيهم اذا ولى عليهم أفضل من يجد هل قضى ماعليه ؟ فأجابوه بنعم فقال : لا حتى أنظر ماذا فعل فى عمله .(٢)

فمسئولية ولى الأمر تتعدى الاختيار الى الاشراف والمتابعة " وليس المراد من اشراف ولى الأمر أن يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة أو يضايق ولاته بالتجسس عليهم أو يؤنبهم فى كل ماقد يحصل منهم من خطأ صادر عن اجتهاد وحسن نية . فانه اذا فعل ذلك أفسد مابينه وبين ولاته بسوء الظن وفقدان الثقة وانما المراد متابعتهم بسؤالهم عن حسن سير أعمالهم وعن العقبات التى تعترضهم من أجل تذليلها وسؤالهم عن أحوال الناس ووصول حقوقهم اليهم فأنه بذلك يطلع على ماتم من العمل ومالم يتم "(٣)

---

(١) انظر د .عبد الله أحمد قادرى - الكفاءة الادارية - مرجع سابق ص ١١٧

(٢) انظر علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى - كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال - ضبطه الشيخ بكرى حيانى وصححه صفوت السقا - مطبعة البلاغة - حلب ١٩٧١م ج ٥ ص ١٤٩١٦

(٣) د .عبدالله أحمد قادرى - الكفاءة الادارية - مرجع سابق ص ١١٩ .

فالرئيس كما سبق أن ذكر مسئول عن سير العمل فى ادارته ومسئول عن الاشراف على أعمال مرؤوسيه وتوجيههم ومتابعتهم ومراقبتهم فى كل تصرفاتهم ليقر منها ما وافق الصواب ويستدرك ما خالفه فمن أحسن القيام بوظيفته زاد فى اكرامه ومن أساء فيها عن قصد عزله وأهانه ومن قصر عن غفلة بصّره ومن أساء عن سهو وخطأ أيقظه وعذره ليتحقق هؤلاء المرؤوسين من أن رئيسهم مهيمن عليهم وناظر بعين الرأفة اليهم فتكف يد الخائن منهم عن الخيانة وتتحلى أنامل الأمين بمحاسن الصيانة ولا يعوّل على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فيخون الأمين ويغش الناصح .(١)

وقد كان ولاة الأمور فى الدولة الاسلامية يكتبون العهود الى مرؤسيهم يوضحون لهم فيها حقوق وظائفهم ومطلوباتها ومحاذيرها ويذكرونهم وينذرونهم .

يقول الماوردى عن ولى الأمر بعد أن يختار عماله أنه ينبغى عليه أن يستعين على تقويم هؤلاء بخصال خمس منها :-

" أن يتقدم اليهم جميعاً بالعدل والانصاف ولزوم فرائض الشريعة وحدود الملة وتقديم الوعيد بالنار على من تعدى أو ظلم أو ضام أو غش ، كما يتقدم اليه باستبقاء ما يجب له على الرعية والاستقصاء عليها ولا يطلق لأحد كسرها ولا يسوغ لأحد منهم أخذ درهم واحد من غير حقه ، فأنه اذا أطلق ذلك له ، أطلق هو لمن تحت يده فأن لكل عامل عاملاً ولكل صاحب صاحباً يطمع منه فى مثل ما طمع هو فيمن فوقه فأذا كان كذلك صار القليل من ذلك كثيراً فأضر ذلك بالرعية ولم ينتفع الراعى بل ربما ازداد ذلك حتى يكثر فيحيف بها فتهلك ويكون فى هلاكها هلاك ملكها وواليها ، لأن بيوت الرعايا وأبدانهم معادن ومزارع لبيوت أموال الرعاة وأصول لها فأذا خرب الأصل خرب الفرع واذا انقطعت المادة من المعدن والأصل ذهب ما فى بيوت الأموال وفنى "(٢)

---

(١) أنظر أبو الحسن على بن حبيب الماوردى - الأحكام السلطانية والولايات الدينية - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ص ١٦

(٢) الماوردى - نصيحة الملوك - مصدر سابق ص ١٨٨

ويتحدث الماوردى عن وسائل ولى الأمر فى مراقبة عماله والاشراف عليهم بقوله :

" وأن يجعل على كل منهم عيوناً ومشرفين وأزمة سراً وعلانية من أمناء الناس ومشايخ الكور وعلمائها وصلحائها وأهل العفة والعفاف فيها يتبعون آثاره وينهون اليه أخباره ويكون سبيل الأمناء والعيون سبيلهم ومجالهم مجالهم اذا أخلوا بما هم بسبيله أو ضيعوا منه شيئاً أو طابقوا أحداً من العمال على ظلم أو جناية أو فاحشة أو ريبة على أن لا يعجل فى ذلك حتى يستبرئ" (١)

وقريب من هذا رأى ابن الازرق فى الاشراف والذى أشرت اليه فى الفصل السابق حيث يرى أن الاشراف على الولاة والعمال يتم عن طريقتين :- (٢)

١ - بث العيون عليهم ليطلع بذلك على حقيقة حالهم .

٢ - استقدام من يعتد به من أهل عمالتهم ليعرف من ناحيتهم مثلما تنهى اليه تلك العيون من لدنه .

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٠

(٢) انظر ابن الأزرق - بدائع السلك فى طبائع الملك - مصدر سابق ج ١ ص ٣٢٧

المبحث الثالث

المحاسبة في النظام الإسلامي

بعد أن يختار ولى الأمر الاكفاء من الناس ويبصرهم بحدود مسئولياتهم تأتى المرحلة الثالثة وهى مرحلة المحاسبة والمساءلة وتوقيع العقوبة ان كان فى الأمر مايقتضى ذلك . والغرض من كل ذلك هو تحقيق العدل واقامة الشرع وضمان خضوع الادارة لقواعد التشريع الاسلامى وانصاف الرعية من تجاوزات الولاة والعمال وانحرافاتهم . (١)

فمحاسبة العمال ومساءلتهم مشروعة بالكتاب والسنة وعمل الخلفاء الراشدين .

فكثير من آيات القرآن الكريم تتحدث عن يوم الحساب وهو اليوم الذى سيحاسب فيه الله سبحانه وتعالى الناس على ما اقترفوه من أعمال فى حياتهم الدنيا فيرضى عن المحسن ويدخله الجنة ، ويسخط على المسيء ويدخله النار وهذا هو العدل المطلق

كما أن الله سبحانة وتعالى عاتب نبيه على بعض التصرفات التى صدرت منه صلى الله عليه وسلم باعتباره اماماً وحاكماً كما فى قضية المتخلفين . يقول الحق سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه الكريم :- " عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين " (٢)

وأما الدليل على مشروعية المحاسبة من السنة فتجدها فى حديث " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " (٣) وفيه الامام راع ومسئول عن رعيته كما نجد مشروعية المحاسبة فى سنة المصطفى العملية حيث كان يحاسب عماله على الأمصار وعلى الصدقات . (٤) وسنرى تفاصيل ذلك عند الحديث عن المحاسبة فى عهد الرسول

---

(١) انظر وقائع ندوة النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ٢٥٣
(٢) التوبة الاية ٤٣
(٣) سبق تخريجه فى ص ١١
(٤) انظر ابن تيمية - السياسة الشرعية مصدر سابق ص ٣٧

صلى الله عليه وسلم .

كما أن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم كانوا يحاسبون ولاتهم وعمالهم ويسائلونهم عن أعمالهم ، كما كانوا يوقعون عليهم الجزاءات المناسبة .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد وردت فيه جزاءات وعقوبات على جرائم معينة كالحدود مثلاً ، كما أن السنة المطهرة تعرضت كذلك لبعض الجرائم وعقوباتها . فمن اقترف حداً أو جريمة ثبتت عقوبتها بالكتاب أو بالسنة أو بالاثنين معاً ، تنفذ فيه العقوبة كائناً من كان .

أما الجرائم التي لم ترد لها عقوبة في الكتاب ولا في السنة ففي التعزير [١] مجال واسع للحكام لردع الظالمين فالرشوة مثلاً جريمة محرمة بالقرآن والسنة فقد قال الله تعالى في اليهود" سماعون للكذب أكالون للسحت" [٢] لأنهم كانوا يأكلون السحت من الرشوة . وقال تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالأثم وأنتم تعلمون " [٣]

وقال صلى الله عليه وسلم " لعن الله الراشي والمرتشي والرائشي " [٤] ولما كانت هذه الجريمة ليست فيها عقوبة محددة ففيها التعزير [٥] .

---

(١) التعزير تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله . ويوافق الحدود من وجه أنه تأديب استصلاح وزجر ويختلف بحسب اختلاف الذنب - ويخالف الحدود من ثلاثة أوجه هي :-
أ - أن تأديب ذي الهيبة أخف من تأديب أهل البذاءة .
ب - أن الحد لا يجوز العفو ولا الشفاعة فيه بينما يجوز ذلك في التعزير .
جـ - ان التعزير يوجب ضمان ما يحدث فيه من تلف بخلاف الحد .
انظر الماوردي - الأحكام السلطانية - مصدر سابق ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .

(٢) المائدة الآية ٤٢

(٣) البقرة الاية ١٨٨

(٤) الترمذي كتاب الأحكام باب ٩ ص ١٢٢ ومسند أحمد ج ٢ ص ١١٤

(٥) انظر د. عبد العزيز عامر - التعزير في الشريعة الاسلامية - دار الفكر العربي الطبعة الخامسة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م ص ٢٦٥

كما أن كل خروج من الموظف عن حدود وظيفته وكل تقصير منه فى أداء واجبات هذه الوظيفة تعتبره الشريعة من الجرائم التى تستوجب التعزيز وذلك محافظة على حسن أداء الوظيفة وانتظام دولاب العمل الحكومى وحتى تصل الخدمات المقصودة من الوظائف العامة الى أربابها على خير وجه وأتمه لأن الوظيفة أمانة وأداء الأمانة واجب.

وتجاوز الموظف لحدود وظيفته وتقصيره فى أداء ماتوجبه عليه الوظيفة له صور شتى منها على سبيل المثال (١) :-

أ - ترك العمل والامتناع عمداً عن تأدية واجبات الوظيفة.

ب - الجور والظلم.

جـ - اساءة معاملة الناس.

وهذا التعزير قد يكون تأنيباً أو لفت نظر، وقد يكون أمراً برد الأموال ان كان فى الأمر تعدياً، وقد يكون عزلاً عن الوظيفة وقد يكون حبساً أو أية وسيلة أخرى يرى ولى الأمر أنها مناسبة لما ارتكب من جرم.

وقد اختلف الفقهاء فى التعزير بالغرامة المالية حيث أقرها البعض ولم يجزها البعض الآخر (٢)

أما مسألة رد المال المأخوذ بغير حق فيقول فيها ابن تيمية رحمه الله :-

" وما أخذ ولاة الأموال وغيرهم من مال المسلمين بغير حق، فلولى الأمر استخراجه منهم، كالهدايا التى يأخذونها بسبب العمل، قال أبوسعيد الخدرى (١) رضى

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٦٧ - ٢٦٩

(٢) انظر د. ماجد أبو رخية - حكم التعزير بأخذ المال فى الاسلام - مكتبة الأقصى عمان - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م ص ٣٥ - ٣٦

(٣) الامام المجاهد سعد بن مالك بن سنان الخزرجى - أبو سعيد - مفتى المدينة دوّن الكثير من الاحاديث - مات سنة ٧٤هـ - انظر سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ١٦٨

الله عنه : " هدايا العمال غلول "(١) وروى فى كتاب الهدايا عن ابن عباس(٢) رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " هدايا الأمراء غلول "(٣ - ٤)

وقال الفقيه المالكى ابن حبيب(٥) ردًا على سؤال يقول : هل يجوز للامام أن يصادر قضاته وعماله ؟ قال : " يجوز للامام أن يأخذ من قضاته وعماله ماوجد فى أيديهم زائدًا على ماارتزقوه من بيت المال وأن يحصى ماعند القاضى والعامل حين ولايته ، ويأخذ منه مااكتسبه زائدا على رزقه "(٦)

وأما العزل فأسبابه كثيرة منها :-(٧)

أ - الخيانة .

ب - العجز وقصور الكفاية .

جـ - اختلال العمل بسبب العسف أو الخرق .

د - ضياع العمل بسبب اللين وقلة الهيبة .

هـ - فضل كفاية العامل وظهور الحاجة اليه فى موقع آخر .

و - وجود من هو أكفأ .

---

(١) مسلم ج ٢ ص ١٦

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . أبو العباس حبر الأمة وامام المفسرين . ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم - ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات - صحب النبى صلى الله عليه وسلم وحدث عنه . تولى اماره البصرة لعلى بن أبى طالب توفى سنه ٦٨هـ انظر سير أعلام النبلاء جـ٣ ص ٣٣١ .

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦

(٤) ابن تيمية - السياسة الشرعية - مصدر سابق ص ٣٩

(٥) هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون القرطبى - أبو مروان - أصله من طليطله وانتقل جده الى قرطبه حيث ولد بها سنة ١٧٤م - زار المدينة وسمع من ابن الماجشون وزار مصر وسمع من ابن عبد الحكم ثم عاد الى الأندلس - من تصانيفه حروب الاسلام وطبقات الفقهاء والتابعين وتفسير موطأ مالك - توفى سنة ٢٣٨ انظر شجرة النور الزكيه - مصدر سابق ص ٧٤ - ٧٥

(٦) برهان الدين بن فرحون المالكى - درة الغواص فى محاضرة الخواص - تقديم وتعليق وتحقيق محمد أبو الأجفاف وعثمان بطيخ - دار التراث بالقاهرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م ص ٢٩٠

(٧) انظر شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى - نهايه الأرب فى فنون الأدب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ج ٦ ص ١١٨ - ١٢١

وقد فصّل ذلك صاحب كتاب التعزيز فى الشريعة الاسلامية بقوله : " كل من يخون الأمانة المعهودة اليه من الموظفين يجوز تعزيره بالعزل عن ولايته ومن ذلك ولاة بيت المال والوقوف ، ونحو ذلك اذا خانوا فيها. ومن يقلد الوظائف العاجز بدون حاجة اليه أو غير الأمين ومن يقبل الهدية بسبب العمل . ومن يستخرج من العمال مايريد أن يختص به وزووه . وجباة الأموال الذين يفرقون فى المعاملة عن هوى فيأخذون المال ممن شاءوا ويدعون من شاءوا . وولى الأمر الذى يقبل الرشوة والهدية . ومن يعتدى على رعيته "(١)

وهناك فرق جوهرى بين المحاسبة الادارية فى النظام الادارى الاسلامى وبين المحاسبة الادارية فى النظم الادارية الأخرى ، حيث ترى هذه النظم أن المحاسبة الادارية يجب أن تكون فى حدود الوظيفة فقط ولا تتعدى ذلك الى شئ آخر. بينما نجدها فى النظام الاسلامى لا تقتصر على التصرفات الصادرة من الموظف بوصفه عضواً فى الجهاز الادارى فقط بل ربما شملت جميع جوانب حياة الموظف الشخصية(٢) والسبب فى ذلك يرجع الى مفهوم المسلم للحياة . فتصرفات المسلم جميعها عبادة لله تعالى . قال سبحانه : " وماخلقت الجن والأنس الا ليعبدون "(٣) فكل مخالفة تعتبر خرماً لهذه العبارة وبالتالى تستحق المساءلة .

فالمحاسبة النزيهة العادلة تكون سبباً فى استقامة العمال ، رغبة فى الثواب وخوفاً من العقاب ووقاية من تزلف المرؤوسين وتقربهم الى رؤسائهم بالرشوة والقرابة وأنواع الشفاعات .(٤)

---

(١) د . عبدالعزيز عامر - التعزيز فى الشريعة الاسلامية - مرجع سابق ص ٤٤٩
(٢) انظر د . سعيد الحكيم - الرقابة على أعمال الادارة - مرجع سابق ص ٤٢٦
(٣) الذاريات الاية ٥٦
(٤) انظر عبدالله محمد الخليفى - فضل الاسلام وتعاليمه السمحة - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م - دار الأصفهانى للطباعة - جده ص ١٦٣ .

ومن الحكمة ألا يترك المحسن ولا المسيء دون جزاء لأن ذلك يدعو الى تهاون المحسن واجتراء المسيء وفساد الأمر وبطلان العمل [١] .

---

(١) انظر أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي - العقد الفريد - شرحه وعلق عليه أحمد أمين وآخرون - منشورات دار الكاتب العربي بيروت - لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ج ١ ص ٢٣

الباب الثاني

الرقابة الإدارية في عصر النبوة والراشدين

ويشتمل علي أربعة فصول :

١ - الفصل الأول : الإدارة في عصر النبوة والراشدين

٢ - الفصل الثاني : الإختيار في عصر النبوة والراشدين

٣ - الفصل الثالث : التوجيه والإشراف في عصر النبوة والراشدين

٤ - الفصل الرابع : المحاسبة في عصر النبوة والراشدين

الفصل الأول

الإدارة في عصر النبوة والراشدين

ويشتمل علي المباحث الآتيـة :

١ - المبحث الأول : الإدارة في عصـر النبـوة

٢ - المبحث الثاني : الإداة في عهد أبي بكر الصديق

٣ - المبحث الثالث : الإدارة في عهد عمر بن الخطاب

٤ - المبحث الرابـع : الإدارة في عهد عثمان بن عفـان

٥ - المبحث الخامس : الإدارة في عهد علي بن أبي طـالب

الفصـــل الأول

الادارة فى عصر النبوه والراشدين

امتد عصر النبوة والراشدين فى مساحة زمنية تزيد قليلاً على الأربعين عامـــاً بدأت بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة وقيام الدولة الاسلاميـة فيها وانتهت بمقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب (١) رضى الله عنه وتنـــازل أبنه الحسن (٢) لمعاوية بن أبى سفيـــان (٣) فى عام ٤١ هـ ذلك العام الذى عـــرف فى مصادر التاريخ الاسلامى بعام الجماعة والذى اعتبر بداية للعهد الأموى .

لابد للمتحدث عن الرقابة الاداريه فى هذه الفترة أن يستعرض النظام الادارى الذى كان سائداً ويبين ملامحه الأساسية :-

وساتحدث عن ذلك باختصار من خلال المباحث الاتية :-

المبحـــث الأول : الادارة فى عصـــر النبـــــوة

---

(١) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى . أمه فاطمة بنت أسد . أبو الحسن . رابع الخلفاء الراشدين . أحد العشـــرة المبشرين بالجنة - أول الفتيان اسلاماً . شهد المشاهد كلها عدا غزوة تبـوك حيث استخلفه النبى صلى على المدينة . بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه سنة ٣٥ هـ . قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجى فى الكوفة فى رمضـان سنة ٤٠ هـ
انظر الطبرى - المصدر السابق ص ١٤٤ والمسعودى - مروج الذهب ومعـــادن الجوهر تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - دار المعرفة بيروت ١٤٠٢-١٩٨٢م ج ٢ ص ٣٩٠

(٢) الحسن بن على بن أبى طالب . ريحانة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيطـــه وسيّد شباب أهل الجنة . ولد فى شعبان سنة ٣هـ وكان يشبه النبى صلى الله عليه وسلم . بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه ولكنه تنازل لمعاوية ومات سنة ٤٩ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٤٥

(٣) هو معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية القرشى الأموى . أبو عبد الرحمن . أمه هند بنت عتبة أسلم مع أبيه فى يوم فتح مكة قربه الرسول صلى الله عليه وسلم وجعله من كتاب الوحى لما مات أخوه يزيد ولاه عمر مكانه حارب على بن ابى طالب فى صفين سنة ٣٧هـ . بايعه اهل الشام بالخلافة فتنازل له الحسن بن على عن الخلافة سنة ٤١هـ . توفى ودفن بدمشق سنة ٦٠ .
انظر أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى - المعارف - مصـــدر سابق وأسد الغابة مصدر سابق ج ٣ ص ٥٨٨

المبحث الثانى : الادارة فى عهد أبى بكر الصديق

المبحث الثالث : الادارة فى عهد عمر بن الخطاب

المبحث الرابع : الادارة فى عهد عثمان بن عفان

المبحث الخامس : الادارة فى عهد على بن أبى طالب

المبحث الأول

الادارة فى عصر النبوة

عندما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى يثرب بدأ فى تأسيس الدولة الاسلامية التى كانت المدينة المنورة هى نواتها ، فبنى فيها مسجده الشريف لتؤدى فيه الصلوات الخمس وليكون مقراً لجهازى الحكم والادارة.

كما وضع المصطفى صلى الله عليه وسلم ميثاقاً مكتوباً هو صحيفة المدينة (١) وكانت هذه سابقة سياسية وادارية لم تعرفها النظم السابقة. وقد حددت هذه الصحيفة علاقة المهاجرين بالأنصار، كما حددت كذلك علاقة المسلمين باليهود ، ومكانة النبى صلى الله عليه وسلم كحاكم لهذه الدولة، ومرجعاً لأهلها عند الاختلاف. (٢)

وكان الجهاز الادارى الذى أنشأه النبى صلى الله عليه وسلم بسيطاً كبساطة المجتمع يومئذ ولكنه كان يقوم بكل متطلبات ذلك المجتمع وحاجاته. (٣)

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحكم اقامته فى المدينة هو الحاكم الادارى والسياسى والعسكرى للمدينة والمناطق التابعة لها ، كما كان يقوم فى الوقت نفسه بوظيفة القضاء وتوزيع الأموال حيث أنهم لم يكونوا فى حاجة لفصل السلطات ، كما أن وضع النبى صلى الله عليه وسلم كرسول ومبلغ يقتضى منه أن يقوم بكل ذلك حتى يكون أسوة ومثالاً يحتذيه المسلمون من بعده.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج من المدينه لسبب من الأسباب يقيم فيها نائباً عنه يديرها ويتولى تصريف شئونها اليومية فيؤم المسلمين فى الصلوات

---

(١) انظر ابن هشام - سيرة النبى صلى الله عليه وسلم - راجع اصولها محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الفكر بيروت ج ٢ ص ١١٩

(٢) انظر وقائع ندوه النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ٦٤ ومابعدها .

(٣) انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٤

ويقضى بينهم فى الخصومات ان وجدت ويدافع عن المدينة اذا هوجمت .(١)

وكان النبى الكريم صلى الله عليه وسلم يدير دولته بطريقة أذهلت كثيراً من الباحثين ، اذ كتب أحدهم يقول : " من الواضح أن المدينة المنورة كانت تدار أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) ادارة حسنة فقد سادها الأمن وعمها الرخاء وتضاعف سكانها ، وعمرت أراضيها حتى تقاطر الناس اليها من كل ناحية. وعلى الرغم من كثرة الغرباء وحداثة عهدهم بالاسلام ، فأن الأمور داخل المدينة كانت تسير سيراً حسناً ، فالأمن مضبوط وأحوال الناس آمنة ، ومتاجرهم زاهرة ، وكل ذلك لا يتم من تلقاء نفسه ، بل لا بد أن يكون وراءه ادارة حسنة ، وترتيب كامل ، وسلطة محترمة ، ولكننا لا نلمح مظهراً لحكومة ولا جهاز ادارى ، بل ليس لدينا اداريون أو موظفون متخصصون فكيف كان يتم ذلك ؟ "(٢)

وللرد على الملاحظة الأخيرة من حديث هذا الباحث أقول : ان الأمر يرجع أولاً الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى شخصيته القيادية فقد استطاع بفضل تعاليم الاسلام وبسلوكه المتمثل لهذه التعاليم أن يصهر ذلك المجتمع فى بوتقة واحدة قوامها التقوى والرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى فكان كل فرد من أفراد ذلك المجتمع يمثل السلطة الادارية ويعمل على تحقيق أهدافها.

كما أن الأمر ثانياً يرجع الى طبيعة ذلك المجتمع الاسلامى المكون من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد كانوا جيلاً فريداً أقاموا دولة الاسلام فى نفوسهم قبل أن يقيموها على الأرض فقد كانوا لا يتحاكمون الى النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر الكتانى - التراتيب الادارية - مرجع سابق ج ١ ص ٣١٤

(٢) د . حسين مؤنس - عالم الاسلام ، دراسة فى تكوين العالم الاسلامى وخصائص الجماعات الاسلامية - دار المعارف - مصر ١٩٧٣م ص ١١٤

الا بغرض معرفة حكم الله ومن ثم الالتزام به وتطبيقه، ولذلك ساد العدل وانتشر الأمن ووصلت الحقوق الى أصحابها -

أما حديث الكاتب حول عدم وجود مظهر لحكومة ولا جهاز ادارى فتنقصه الدقة فى اعتقادى، لأن النبى الكريم كان قد وضع صحيفة المدينة بمجرد وصوله اليها كما سبقت الاشارة، وقد حددت هذه الصحيفة أسس الدولة الوليدة وعلاقات أفرادها بعضهم مع بعض، وبذلك عرف كل فرد ماله وماعليه من واجبات.

ثم ان المصادر تشير الى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستشير كبار الصحابة فى ادارة الدولة[1] كما أنه كان قد اتخذ لنفسه خاتماً وكتاباً وأمين سر[2] اضافة الى أنه كان لايغادر المدينة كما أشرت فى بداية هذا المبحث - الا بعد أن يخلف عليها والياً يقوم بكل ماكان يقوم به النبى صلى الله عليه وسلم من أعمال ادارية.

كل ذلك يشير الى وجود جهاز ادارى بسيط يحمل نواة لحكومة رشيدة وكان توسع هذا الجهاز الادارى مرتبطاً بمتطلبات ذلك المجتمع.

أما التنظيم الادارى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان مطابقاً فى مضمونه وفى مفهومه لما هو متعارف عليه فى الادارة الحديثة، حتى وكأن المفهوم الحديث للتنظيم مستمد من التطبيقات التنظيمية الاسلامية فقد أخذ الاسلام منذ نشأته بمبدأ التدرج الرئاسى أو تدرج السلطة.

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان يمثل السلطة العليا، يعاونه من كان يختارهم من المسلمين الأوائل يشاورهم فى الأمر ويعهد الى بعضهم بمهام معينة وأعمال محددة قد تكون مؤقتة وقد تستمر لبعض الوقت، ولكن لم يكن لها صفة

---

(١) ابن هشام - سيرة النبى صلى الله عليه وسلم - مصدر سابق ج ٢ ص ٢٥٩

(٢) انظر أبو الحسن الخزاعى - تخريج الدلالات السمعية على ماكان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية - تحقيق الشيخ أحمد محمد أبو سلامة - القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ٤٧ ومابعدها.

الدوام بل كانت تتغير بتغير الظروف وهو ما يسمى بلغة العصر اعادة التنظيم" (١)

وقبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كانت أغلب الجزيرة العربية تقريباً خاضعة للحكم الاسلامى . وقد قسم النبى صلى الله عليه وسلم البلاد الى مقاطعات ادارية جعل على كل منها وال وعامل . (٢)

فالوالى وظيفته الامامة فى الصلوات واقامة الحدود والقضاء بين الناس وانفاذ الأحكام وتوطيد النظام وقيادة الجيوش .

أما العامل فكانت مهمته جمع الزكاة وتوزيعها . (٣)

وكانت المدينة المنورة والمناطق التابعة لها ادارة خاضعة لسلطة الرسول صلى الله عليه وسلم المباشرة . أما المناطق والادارات الأخرى فكانت مقاطعات تيماء والجند (٤) وبنى كندة ونجران (٥) وحضرموت والبحرين . (٦ - ٧)

ومن هنا يمكننا القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى وضع أسس وقواعد النظام الادارى الاسلامى فى الدولة الاسلامية .

---

(١) د . محمد عبد المنعم خميس - الادارة فى صدر الاسلام - مرجع سابق ص ٨٢

(٢) انظر د . أكرم رسلان ديرانية - الحكم والادارة فى الاسلام دراسة تحليلية - دار الشروق جدة - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ٧٠

(٣) انظر س. آ. ق حسينى - الادارة العربية - ترجمة د ابراهيم احمد العدوى مراجعة عبد العزيز عبد الحق - مكتبة الاداب ومطبعتها - القاهره ص٤٩

(٤) الجند بالتحريك أعظم مخاليف اليمن سميت باسم جند بن شهران . بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسين فرسخاً . انظر شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى معجم البلدان - بيروت دار صادر ج ٢ ص١٦٩

(٥) نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة المكرمة - انظر معجم البلدان ج ٥ ص٢٦١

(٦) البحرين اسم جامع لبلاد البصرة وعمان . قيل هى قصبة هجر وقيل العكس وعدّ ها قوم - من اليمن . انظر ياقوت معجم البلدان ج ١ ص٣٤٦ - ٣٤٩ .

(٧) انظر س. آ. ق حسينى - الادارة العربية - مرجع سابق ص ٤٨

المبحث الثاني

الادارة في عهد أبي بكر الصديق

تولى أبو بكر الصديق [١] رضى الله عنه ادارة الدولة الاسلامية، بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم. وكان قد بويع من قبل الأنصار وبعض المهاجرين فى سقيفة بنى ساعدة، ولكن هذه البيعة اعتبرت بيعة خاصة لأن معظم المسلمين كانوا منشغلين بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم وتجهيزه، ولذا عقدت لأبى بكر بيعة عامة فى المسجد [٢] أصبح بموجبها خليفة للنبى صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا. [٣]

بدأ أبو بكر رضى الله عنه عهده بانفاذ جيش أسامة [٤] الذى كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جهزه لحرب تضاعة ولكن مرض الرسول صلى الله عليه وسلم حال دون مسيره، فلما تولى أبوبكر الخلافة أنفذ هذا الجيش رغم معارضة كبار الصحابه له. [٥]

---

(١) هو عبدالله بن أبى قحافة التيمى القرشى - أمه سلمى بنت صخر المرية. ولد ونشأ بمكه. كان سيداً من سادات قريش وغنياً من أغنيائهم. نصر الاسلام بنفسه وماله. كان رفيق النبى فى هجرته. بويع بالخلافة بعد موت النبى سنة ١١هـ حارب المرتدين وبدأت فى خلافته فتوح العراق والشام - توفى فى جماد الآخر سنة ١٣هـ انظر الاصابة ج ٢ ص ٣٤١

(٢) انظر شمس الدين الذهبى - تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الأعلام عهد الخلفاء الراشدين - تحقيق د. عبدالسلام تدمرى - دار الكاتب العربى - بيروت ١٤٠٧ ص٦.

(٣) انظر بن خلدون - مقدمة ابن خلدون - دار احياء التراث العربى - بيروت لبنان ص ١٩١.

(٤) هو اسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى الكندى - أبو محمد. كان أبوه زيد من أول الناس اسلاماً وكان مولى للنبى صلى الله عليه وسلم فأعتقه. أمّر النبى صلى الله عليه وسلم اسامة على جيش لحرب الروم وكان عمره انذاك ثمانية عشر عاماً. اعتزل الفتنة وتوفى بالمدينه. انظر ابن سعد - الطبقات ج ٤ ص ٣١

(٥) انظر الطبرى - المصدر السابق ج٣ ص٢٢٤ - ٢٢٧

بعدها واجه أبو بكر رضى الله عنه مشكلة كبيرة تمثلت فى عصيان كثير من القبائل وامتناعها عن اخراج الزكاة وارتداد بعضها عن الاسلام فأرسل اليها أحد عشر جيشاً تمكنت من اخضاعها وردها الى حظيرة الاسلام . كما قضت هذه الجيوش على محاولات أدعياء النبوة الذين ظهروا فى نجد واليمن .(١)

وقد أخرت أحداث الردة هذه الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية ولكن بانتهاء هذه الأحداث أرسل أبو بكر جيوشه الى العراق والشام .

وفى الجزيرة العربية لم يحدث أبو بكر رضى الله عنه تغييراً ادارياً يذكر ولم يغير فى عمال النبى صلى الله عليه وسلم الا أن بعض هؤلاء العمال آثر ألا يعمل مع أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وكانت ولايات الدولة فى عهد الصديق هى : مكه المكرمه والمدينة والطائف وصنعاء وحضرموت وخولان (٣) وزبيد (٤) و رمع (٥) ونجران وجرش (٦) والبحرين

---

(١) انظر الطبرى ج ٣ ص ٢٢٨ وأبى الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى - البداية والنهاية دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو ملحم وآخرون - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ج ٦ ص ٣٢٤

(٢) انظر التراتيب الادارية - مرجع سابق ج ١ ص ٢٣٧

(٣) خولان بفتح أوله وتسكين ثانيه مخلاف من مخاليف اليمن . انظر ياقوت - معجم البلدان - المصدر السابق ص ٤٠٧ ومحمد بن عبد المنعم الحميرى - الروض المعطار فى خبر الأقطار - تحقيق د . احسان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة الثانية ١٩٨٤م ص ٢٢٤

(٤) زبيد اسم واديه مدنية يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادى فلا تعرف الا به وهى مدنية مشهورة باليمن . انظر معجم البلدان ج ٣ ص ١٣١ والروض المعطار ص ٢٨٤

(٥) رمع بكسر أوله وفتح ثانية موضع باليمن يسكنه الأشعريون يتلو وادى زبيد . انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٨

(٦) جرش بالتحريك اسم مدينة كانت عظيمة . من أرض البلقاء وحوران انظر معجم البلدان ج ٢ ص ١٢١

وهذا يعنى أن الحجاز قد قسم الى ثلاث ولايات واليمن الى ثمان والبحرين وما اليها ولاية .(١)

وكان عمال بعض هذه الولايات كما يلى :-

البحرين - العلاء بن الحضرمى (٢)

صنعاء - المهاجرين أبى أمية (٣)

حضرموت - زياد بن لبيد (٤)

زبيد ورمع - أبو موسى الأشعرى (٥)

خولان - يعلى بن أمية (٦)

---

(١) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٦٨م ج ٢ ص ١٠٨

(٢) هو العلاء بن عبد الله بن عمار الحضرمى. من رجال الفتوح. ولد ونشأ بمكة. ولاه النبى البحرين. شارك فى حروب الردة. أقره أبو بكر على البحرين. وجهه عمر الى البصرة فمات فى الطريق سنة ٢١هـ. انظر أبى عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب - تحقيق على محمد البجاوى - مكتبة نهضة مصر ج ٣ ص ١٠٨٥ والاصابة ج ٢ ص ٤٩٧ .

(٣) المهاجرين أبى أمية القرشى المخزومى أخو أم المؤمنين أم سلمة . أرسله النبى الى اليمن . بعثه أبو بكر لقتال المرتدين فى اليمن فأبلى بلاءاً حسناً .
انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٥٠١ - ٥٠٢

(٤) زياد بن لبيد الأنصارى الخزرجى - شهد المشاهد كلها واستعمله النبى على حضرموت توفى أيام معاوية - انظر أسد الغابة ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٥) هو عبد الله بن قيس الأشعرى. قرأ على النبى وأقرأ أهل البصرة - استعمله النبى مع معاذ على اليمن - تولى الكوفة لعمر وكذلك البصرة - له أحاديث كثيرة - توفى سنة ٤٤هـ. انظر الذهبى - سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٨٠

(٦) هو يعلى بن أمية التميمى. أسلم يوم فتح مكة وشهد حنيناً والطائف وتبوك استعمله أبو بكر على اليمن وكذلك عثمان . كان جواداً كريماً . شهد الجمل وقتل بصفين .
انظر اسد الغابة ج ٤ ص ٧٤٧ - ٧٤٨ .

مكـــــــة - عتـــاب بن أســـــيد (١)

الطائـــــف - عثمان بن العـــــاص (٢)

نجـــــران - جرير بن عبد اللـــــه (٣)

وفى حاضرة الدولة الاسلامية - المدينة المنورة - تولى عمر بن الخطاب لأبى بكـر الشئون القضائية وأبو عبيدة بن الجراح (٤) الشئون المالية ، كما تولى له أبى ابـن كعب (٥) شئون الكتابة والرسائل (٦) .

---

(١) عتاب بن أسيد القرشى - أبو عبد الرحمن - أسلم يوم الفتح - استعمله النبى على مكه بعد فتحها وكان يومها شاباً . ظـل والياً على مكة حتى وفاته سنة ١٣هـ انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٤٥٢

(٢) هو عثمان بن العاص الثقفى - أبو عبد الله . وفد على النبى فى وفد ثقيف . استعمله النبى على الطائف رغم صغر سنه وظل والياً عليها حتى عهد عمر الذى استعمله على عمان والبحرين . سكن البصرة وتوفى بها . انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٤٧٥

(٣) أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليمن - كان مع خالد بن الوليد بالعراق وسار معه الى الشام . بشر عمر بالنصر فى اليرموك . انظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٣٢ .

(٤) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشى . أبو عبيدة أحد السابقين الى الاسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة - أمين هذه الأمة . شهد الغزوات كلها . كان أحد قادة فتوح الشام . عينه عمر قائداً عاماً للجيوش بعد عزل خالـد . مات بطاعون عمواس سـنة ١٨هـ أنظر الاستيعاب ج ٤ ص ١٧١٠ والاصابة ج ٢ ص ٢٥٢

(٥) هو أبى بن كعب بن قيس الخزرجى الأنصارى . أبو الطفيل - شهد العقبـة الثانية وشهد بدراً وجميع المشاهد . كان قبل اسلامه حبراً من أحبار اليهود . كان من كتاب الوحى وأحد فقهاء الصحابة واقرأهم لكتاب الله . اشترك فى جمع القرآن .
انظر الاستيعاب ج ١ ص ٦٥ والاصابة ج ١ ص ١٩

(٦) انظر الطبرى - المصدر السابق ج ٣ ص ٤٢٦

المبحث الثالث

الادارة فى عهد عمر بن الخطاب

تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبى بكر الصديق وحصل على بيعة المسلمين بعد موت أبى بكر واستمرت خلافة عمر رضى الله أكثر من عشر سنوات استطاع أن يوسع فيها مساحة الدولة الاسلامية كثيرًا كما استطاع أن يرسى فيها كثيرًا من النظم الادارية والعسكرية وغيرها .

وقد بدأ عمر عهده بارسال مدد الى جيش المسلمين بالعراق ، الذى كان على قيادته المثنى بن حارثة (١) وقد كان هذا المدد بقيادة أبى عبيد بن مسعود الثقفى (٢) الذى جعله عمر قائداً عاماً على الجيش وهزم هذا الجيش من قبل الفرس بعد مقتل قائده أبى عبيد الثقفى (٣) .

ولما علم رضى الله عنه بمقتل أبى عبيد جهز جيشاً أراد أن يقوده بنفسه ولكنه تخلى عن ذلك تحت الحاح كبار الصحابة وأسند قيادته الى سعد بن أبى وقاص (٤) الذى

---

(١) هو المثنى بن حارثة بن سلمة الشيبانى . صحابى ومن كبار القاده . أسلم فى السنة التاسعة للهجرة . أول قائد وجهه أبو بكر لفتح العراق . هزم الفرس فى عدة مواقع - مات متأثراً بجراحه بعد موقعة الجسر سنة ١٤ هـ .
انظر الاستيعاب ج ٤ ص ١٤٥٦ والاصابة ج ٣ ص ٣٦١

(٢) هو أبو عبيد بن مسعود الثقفى - من أبطال فتوح العراق وقادتها . استشهد فى جماعة من المسلمين يوم الجسر حين عبر نهر الفرات ليقاتل الفرس .
انظر الاستيعاب ج ٤ ص ١٧٠٩

(٣) انظر الطبرى ج ٣ ص ٤٤٥ ومابعدها .

(٤) هو سعد بن أبى وقاص الزهرى القرشى - أبو اسحق - من السابقين فى الاسلام كان مجاب الدعوة . أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد أصحاب الشورى أول من رمى بسهم فى سبيل الله . انتصر على الفرس فى القادسية . كان أميراً على الكوفة . اعتزل الفتنة . توفى بالمدينة سنة ٥٥ هـ
انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٧ - ١٤٨ والمعارف ص ١٤٠ ومابعدها .

الذى انتصر على الفرس فى القادسية (١) ودخل المدائن (٢ - ٣).

وبعد انتصار المسلمين فى القادسية وانهيار الدولة الفارسية فى العراق، أراد عمر أن يوقف الفتوح ولكن الأحنف بن قيس (٤) أشار عليه بالتوغل فى بلاد فارس والقضاء النهائى على سلطان الفرس، فعقد له عمر لواءاً وسيّره مع بعض القادة الآخرين حيث التقوا مع الفرس فى معركة نهاوند (٥) وفيها انهزم الفرس وفر يزدجرد (٦) حيث لقى مصرعه على يد أحد أتباعه وبذلك سيطر المسلمون على العراق بشقيها العربى والفارسى (٧).

أما فى الشام فقد عزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه خالد بن الوليد (٨) عن

---

(١) القادسية بلد بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً وبينها وبين العذيب أربعة آميال . انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩١ .

(٢) المدائن بناها كسرى انو شروان وأقام بها. وقيل أن الذى بناها هو أردشير ابن بابك. فتحت على يد سعد بن وقاص سنة ١٦ هـ .
انظر معجم البلدان ج ٥ ص ٧٤ - ٧٥

(٣) انظر الطبرى - مرجع سابق ج ٣ ص ٥٦٣ ومابعدها .

(٤) هو الأحنف بن قيس بن حصين المرى التميمى - أبو بحر. سيد بنى تميم. أحد العظماء والدهاة الفصحاء. يضرب به المثل فى الحلم . أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره . كان من قادة الفتوح - غزا خراسان وفتحها. شهد صفين مع على. توفى بالكوفة سنة ٦٧ هـ . انظر ابن سعد - الطبقات ج ٧ ص ٩٣ .

(٥) نهاوند مدينة عظيمة بينها وبين همذان ثلاثة أيام فتحت فى عهد عمر سنة ١٩
انظر معجم البلدان ج ٥ ص ٣١٣ .

(٦) يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس - تولى الحكم سنه ١٢ هـ - انهزم أمام جيوش المسلمين وقتل على يد أتباعه فى مرو سنة ٣١ هـ .
انظر الطبرى - المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣٤ وج ٤ ص ٩٠ ، ١٧٣ ، ٢٩٣ - ٣٠٠

(٧) انظر المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢٤

(٨) هو خالد بن الوليد المغيرة المخزومى القرشى. أبو سليمان. يلقب بسيف الله . أحد أشراف قريش وقادتها. أسلم سنة ٨ هـ . شهد أحداً مع المشركين وشهد مع المسلمين فتح مكة . أمره أبوبكر على الجيوش التى حاربت المرتدين فى اليمامة ثم أرسله الى العراق والشام. عزله عمر وولى مكانه أبا عبيدة. سكن حمص ومات بها .
انظر الاستيعاب ج ١ ص ٤٢٧ والاصابة ج ١ ص ٤١٣ .

القيادة بعد معركة اليرموك (١) وولاها أبوعبيدة بن الجراح الذى جعل خالداً واحداً من أركان قيادته .

حاصر أبو عبيدة دمشق فدخلها صلحاً بينما دخلها خالد بن الوليد من جهة بابها الشرقى فتحاً (٢) وتحركت قوات المسلمين بعد فتح دمشق الى حمص (٣) وقنسرين (٤) فافتتحتها بعد فرار هرقل (٥) .

بعد ذلك تحرك الجيش الاسلامى الى فلسطين والأردن فافتتح فيها عدداً من المدن (٦) .

وفى السنة الخامسة عشر للهجرة قدم الخليفة عمر الى الشام وعقد صلحاً مع أهل بيت المقدس حضره أبو عبيدة وعمرو بن العاص (٧) وعبد الرحمن بن عوف (٨) ومعاوية (٩)

---

(١) اليرموك وادى بناحية الشام يصب فى نهر الأردن . انظر معجم البلدان ج ٥ ص ٤٣٤

(٢) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٦ ص ٢١٠

(٣) حمص بلد قديم بين دمشق وحلب - انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٢ والروض المعطار ص ١٩٨

(٤) قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة . فتحت سنة ١٧هـ وكانت عامرة حتى سنة ٣٥١هـ . انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٣ - ٤٠٤

(٥) هرقل الامبراطور البيزنطى . انتصر على الفرس فى وقعه نينوى سنة ٦٢٧م وانتصر عليه المسلمون فى معركة اليرموك . انظر الطبرى ج ٣ ص ٤٣٥ ومابعدها .

(٦) انظر المصدر السابق ج ٣ ص ٥٩٨ - ٦٠٢

(٧) هو عمرو بن العاص بن وائل القرشى السهمى - أبوعبد الله . أسلم سنة ٨ هـ ولاه عمر جيش فلسطين والأردن بعد موت يزيد بن أبى سفيان ثم سيره لفتح مصر ففتحها وتولى امارتها حتى عزله عمر . اشترك مع معاوية فى حرب على ، فولى مصر لمعاوية لمدة ست سنوات . وكان من شجعان العرب ودهاتهم . توفى وله من العمر ٩٣ عاما . أنظر سير اعلام النبلاء مصدر سابق ج ٣ ص ٥٤ .

(٨) عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة القرشى أبو محمد . من كبار الصحابة وأحد العشرة المبشرين بالجنة . هاجر الى الحبشة ثم المدينة وشهد المشاهد كلها أحد رجال الشورى . توفى سنة ٣٢ أنظر الاصابة ج ٢ ص ٤١٦ .

(٩) انظر عز الدين بن الأثير - الكامل فى التاريخ - دار صادر بيروت ١٩٦٥م ج ٢ ص ٥٠٠ - ٥٠١

وظهر فى السنة الثامنة عشر للهجرة فى عمواس [١] بالشام طاعون انتشر فى الأطراف ومات به عدد من قادة المسلمين منهم أبو عبيدة بن الجراح وشرجيل ابن حسنة [٢] ويزيد بن أبى سفيان [٣]. فولى عمر معاوية على دمشق بعد وفاة أخيه يزيد وضم اليه الأردن، كما ولى عياض بن غنم [٤] على حمص وقنسرين ووجهه لفتح الجزيرة [٥] ففتحها وتوغل شمالاً ففتح أرمينية [٦] وواصل الى تفليس [٧].

كذلك وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمراً بن العاص الى مصر فالتقى بالروم فى الفرما [٨] فهزمهم بعد أن استولى على العريش [٩] وفى السنة التاسعة عشر للهجرة استولى عمرو على عين شمس والاسكندرية وهزم الروم فى عدة مواقع عقد بعدها

---

(١) عمواس كورة من كور فلسطين بالقرب من بيت المقدس . انظر معجم البلدان ج ٤ ص١٥٧

(٢) هو شرجيل بن عبد الله بن المطاع الكندى . وحسنة هى أمه . صحابى هاجر الى الحبشة . أحد قادة فتوح الشام عزله عمر . كان من الفرسان المشهورين مات بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ . انظر الاصابة ج ٢ ص١٤٣ والاستيعاب ج ٢ ص٦٩٨

(٣) يزيد بن أبى سفيان بن حرب . أبو خالد . أخو معاوية لأبيه . كان يقال له يزيد الخير من العقلاء الشجعان . أحد أمراء فتح الشام . ولاه عمر فلسطين ودمشق مات بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ . انظر البداية والنهاية ج ٧ ص٩٥ وأسد الغابة ج ٥ ص ١١٢ .

(٤) هو عياض بن غنم القرشى . أبو سعد . أسلم قبل الحديبية وشهدها . كان بالشام مع أبى عبيدة الذى استخلفه عند وفاته فأقره عمر . فتح الجزيرة وصالح أهلها توفى سنة ٢٠هـ كان صالحاً فاضلاً كريماً . انظر أسد الغابة ج ٤ ص٢٧ - ٢٩

(٥) الجزيرة منطقة بين دجلة والفرات مجاورة للشام وتشمل ديار مضر وديار بكر سميت بالجزيرة لموقعها بين دجلة والفرات . انظر معجم البلدان ج ٢ ص١٣٤ - ١٣٥

(٦) أرمينية مدينة قديمة بأذربيجان - تقع فى اقليم واسع . انظر معجم البلدان ج ١ ص١٥٩

(٧) تفليس مدينة قديمة بالقرب من أرمينية . انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥-٣٧

(٨) الفرما مدينة على الساحل من ناحية مصر . انظر معجم البلدان ج ٤ ص٢٥٥

(٩) العريش مدينة فى أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم . انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١١٣

مع المقوقس [١] عامل الروم صلحاً أصبحت بموجبه مصر ولاية اسلامية [٢] .

ومن مصر سيّر عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهرى [٣] الى أفريقية فافتتح برقة [٤] وفزان [٥] وأضحت مصر منطلقاً للفتوحات الاسلامية فى أفريقية [٦]

وهكذا توسعت الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث شملت اضافة الى الجزيرة العربية، العراق بشقيها العربى والفارسى والشام بما فيها الأردن وفلسطين اضافة الى مصر وأفريقية.

ولسهولة ادارة هذه المساحة الشاسعة قسمها الخليفة الى عدد من الولايات هى مكة ، الطائف ،صنعاء ، الجند ،البحرين ، عمان ،الكوفة ،البصرة،مصر، دمشق والجزيرة [٧] .

أما المدينة وماحولها فقد كانت تخضع لسلطة الخليفة المباشرة وكان اذا خرج منها يستخلف عليها زيد بن ثابت [٩] .

---

(١) هو عامل الروم على مصر. أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم كتاباً مع حاطب ابن أبى بلتعة يدعوه فيه الى الاسلام فلم يسلم ولكنه أكرم حاطباً وأرسل معه الى النبى صلى الله عليه وسلم جاريتين هما مارية القبطية وأختها شيرين.
انظر الطبرى ج ٣ ص٦٤٤

(٢) انظر أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها - تحقيق محمد صبيح - مكتبة النهضة المصرية ص ٢١٥

(٣) عقبة بن نافع الأموى القرشى - من كبار قادة الفتح. وجهه عمرو بن العاص لفتح أفريقية ولاه معاوية افريقية سنة ٥٠هـ فبنى مدينه القيروان ثم عزله عنها سنة ٥٥هـ ولاه يزيد على المغرب سنة ٦٢هـ فافتتح الكثير من البلاد استشهد سنة ٦٣هـ انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٥٥٦ - ٥٥٧

(٤) برقة صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وأفريقية انظر معجم البلدان ج ١ ص ٣٣٨

(٥) فزان ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب . انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١٧٨

(٦) انظر الطبرى - مرجع سابق ج ٤ ص١١١

(٧) انظر خليفة بن خياط العصفرى - تاريخ خليفة بن خياط رواية بقى بن مخلد حققه سهيل زكار - دمشق مطابع وزاره الثقافه ١٩٦٨م ج ١ ص١٥٣ - ١٥٩

(٨) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى لم يشهد بدراً لصغر سنه ولكنه شهد بقية المشاهد . أحد الذين جمعوا القرآن على عهد أبا بكر. تعلم السريانية بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم. أحد فقهاء الصحابة فى المدينة. توفى سنة ٤٥ هـ انظر الاصابة ج ١ ص٥٦١

ولم يغير المسلمون كثيراً فى الوضع الادارى للبلدان المفتوحة وانما حاولوا الاستفادة من النظم التى كانت سائدة هناك . وكان القائد العسكرى غالباً مايعين حاكماً ادارياً على المناطق المفتوحة .

وفى عهد عمر استقر النظام الادارى فى الولايات على هيكل ثابت يشتمل على :-

أ - الوالى وتطلق عليه المصادر صاحب الصلاة لأنه كان يتولى امامة الناس فى الصلوات العامة وقيادة الجيوش.

ب - صاحب بيت المال ويطلق عليه لفظ العامل ويتولى الشئون المالية والخراجية ويخضع لسلطة الخليفة المباشرة .

جـ - القاضى ويتولى الفصل بين المتنازعين وفق أحكام الشريعة الاسلامية (١)

وقد يعين الخليفة بعض الموظفين فى وظائف غير الوظائف السابقة مثال ذلك تعينه لعثمان بن حنيف (٢) عاملاً على مساحة الأرض وذلك عندما بعثه مع عمار بن ياسر (٣) وعبد الله بن مسعود (٤) الى الكوفة . (٥)

---

(١) انظر س. أ . ى . حسينى - الادارة العربية - مرجع سابق ص. ٨ ومابعدها .

(٢) هو عثمان بن حنيف بن وهب الأنصارى . أبو عمرو. شهد أحداً ومابعدها. ولاه عمر السواد ثم ولاه البصرة وتولى مسح السواد. سكن الكوفة وتوفى فى خلافة معاوية. انظر سير أعلام النبلاء ج ٢ ص. ٣٢٠ وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٧٣ .

(٣) عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى القحطانى. أبو اليقظان . حليف بنى مخزوم . أحد السابقين الى الاسلام. من الولاة الشجعان ذوى الرأى. أسلم هو وأبوه وأمه فذاقوا العذاب من المشركين. أمه أول شهيدة فى الاسلام . هاجر الى الحبشة والمدينة وشهد بدراً وبقية المشاهد . ولاه عمر الكوفه ثم عزله عنها. حارب مع على وقتل فى صفين .
انظر الطبرى مصدر سابق ج ٦ ص ٢١ وسير أعلام النبلاء مصدر سابق ج ٢ ص ١٢ - ١٣

(٤) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلى . أبو عبد الرحمن. حليف بنى زهرة. من أوائل الناس اسلاماً ومن العشرة المبشرين بالجنه. لازم النبى صلى الله عليه وسلم . من كتاب الوحى. تولى بيت مال الكوفه وتوفى بالمدينة فى خلافه عثمان . انظر سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ج ١ ص ٤٦١

(٥) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ١٨

وكانت سياسة عمر الادارية محل اختلاف عند المؤرخين وعلماء الادارة من حيث مركزيتها ولا مركزيتها .

قال عنها أحد الباحثين : " ولعل عمر رضى الله عنه كان أكثر الخلفاء تطبيقاً لوحدة الأمر حتى كاد أن يركز السلطة كلها فى يده ولعل مرد ذلك الى ظروف الدولة فى ذلك الوقت التى فرضت عليه هذا الأسلوب الذى لولاه لما تحقق له ماتحقق من انتصارات تكاد تكون فى حكم المعجزات فقد كان رضوان الله عليه يهمن بنفسه على كافة الأمور المدنية والحربية لما للأولى من صلة وثيقة بالثانية ولذلك نراه قد فرض على ولاته وقواد جيشه أن يحيطوه بأحوالهم وأمورهم يوماً بعد يوم وألا يتصرفوا الا فى حدود مايتلقونه من أوامر وتوصيات" (١)

وممن سار فى هذا الاتجاه الشيخ على الطنطاوى (٢) الذى ذكر أن خطة عمر مع الولاة تقوم على أمرين :-

١ - الأمر الأول : - هو المركزية الشديدة التى لا تترك للولاة مجالاً لحركة ولا تدع لهم مجالاً للاستقلال بأمر بل كانوا يرجعون فى أمورهم كلها اليه وكان يراقبهم سراً وعلناً ويقف على الجليل والحقير من أحوالهم ويفرض رأيه عليهم فى طعامهم وشرابهم ولباسهم ومسكنهم .

٢ - الأمر الثانى : - أنه كان يبالغ فى حفظ حقوق الناس ويعطيهم أكثر مما لهم على حساب الولاة فكان لذلك يسمع كل شكوى ويعاملهم معاملة تقف عليها متعجبين .

وردًا على رأى الشيخ الطنطاوى السابق قال أحد الباحثين :- " ومع تقديرى للاستاذ الطنطاوى وفكره الا أن ماأورده يعنى أن ادارة عمر رضى الله عنه ادارة فردية مركزية مستبدة وحاشا لعمر أن يكون كذلك. لم يكن عمر فردياً ولا مستبدا فى ادارته وانما كانت له ادارة مؤمنة مدركة لأبعاد مسئولياتها عارفة بعواقب التفريط فى هذه

---

(١) د . عبد المنعم خميس - الادارة فى صدر الاسلام - مرجع سابق ص ٩٨

(٢) انظر على وناجى الطنطاوى - أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر - دار الفكر بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م ص ١٤٩

المسئولية ومع ذلك ما كان يتخذ قراراً اداريًا فى أى أمر عظم أو صغر الا بعد دراسة واستشارة (١) .

ولعل أكبر دليل على استشارة عمر الواسعة وعدم انفراده بالقرار مناقشته للصحابة الذين رأوا ضرورة تقسيم أراضى السواد بينما كان رأيه ورأى بقية الصحابة مخالفًا لهم (٢) .

ومعظم من تحدثوا عن مركزية عمر انما ينقلون قول الجاحظ (٣) الذى قال فيه عن عمر : " وكان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد وعلى وساد واحد فلم يكن له فى قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحى عامل ولا أمير جيش الا وله عليه عين لا يفارقه فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده فى كل ممسى ومصبح " (٤)

وللحقيقة فأن الامر ما كان يمثل هذه الصورة التى حاول الجاحظ أن يصورها ولكن كل ما فى الأمر أن الخليفة الراشد رضى الله عنه كان يحرص كل الحرص على راحة الرعية ومعرفة أحوال الولاة والمشكلات التى تواجههم والعمل على تذليلها لهم بقدر ما يتيح له زمانه من وسائل وأسباب .

---

(١) الشريف حسن القناوى - ادارة الفاروق عمر رضى الله عنه - مطابع الصفا بمكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ص ٦٠ - ٦١

(٢) انظر أبو يوسف - كتاب الخراج - تحقيق د . محمد ابراهيم البنا - دار الاصلاح للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ص ٢٨

(٣) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصرى المعتزلى صاحب التصانيف اخبارى علامة صاحب فنون وذكاء - مات سنة ٢٥٠ هـ .
انظر سير أعلام النبلاء مصدر سابق ج ١١ ص ٥٢٦

(٤) الجاحظ - التاج فى أخلاق الملوك مصدر سابق ص ٥١

فطريقة عمر رضى الله عنه فى الادارة لا تختلف كثيراً عن طريقة أبى بكر رضى الله عنه من حيث اطلاق يد العامل فى المسائل الموضعية وتقييده بالسياسة العامة للدولة.(١)

---

(١) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ١١١

المبحث الرابع

الادارة فى عهد عثمان بن عفان (١)

بعد أن طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اختار ستة من كبار الصحابة ليختاروا من بينهم خليفة وجعل معهم ابنه عبد الله (٢) على أن لا يكون له من الأمر شيء والستة الذين وقع اختيار الخليفة عليهم هم : على بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وسعد ابن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام (٣) وطلحة بن عبيد الله (٤)

---

(١) هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموى. أمه أروى بنت كريز ابن حبيب بن عبد شمس . ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل كان شريفاً وغنياً. من أعظم أعماله تجهيز جيش العسرة فى غزوة تبوك . ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة . افتتحت فى عهده كثير من البلاد . جمع القران وكتبه فى مصحف واحد. تزوج بنتى النبى صلى الله عليه وسلم رقية ثم أم كلثوم. قتل بالمدينة فى ذى الحجة سنة ٣٥ هـ
انظر الطبرى المصدر السابق ص ٤٢٠ وأسد الغابة - مصدر سابق ج ٣ ص ٤٨٠

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب. أسلم وهو صغير وهاجر مع أبيه. أول الغزوات التى شهدها كانت غزوة الخندق . روى أحاديث كثيرة . شقيق أم المؤمنين حفصة . مات فى سنة ٧٣هـ . انظر المعارف ص ١٠٧ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٣

(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد. أمه صفية بنت عبد المطلب . صحابى من الشجعان وأحد العشرة المبشرين بالجنة. شارك فى جميع الغزوات. من الأثرياء وأصحاب الشورى. شارك فى حرب الجمل ضد على ولكنه انصرف عنها فقتله ابن جرموز بالقرب من البصرة. انظر الاصابة ج ٣ ص ٤٥١

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشى التيمى . أبو محمد. صحابى شجاع من الأجواد. من المتقدمين فى الاسلام وأحد العشره المبشرين بالجنة. أحد رجال الشورى . شهد الجمل وقتل ودفن بالقرب من البصرة .
انظر ابن الاثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ١٦

وقال عمر للمقداد بن الأسود :[1] اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلاً منهم وقال لصهيب :[2] "صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ان قدم واحضر عبد الله بن عمر ولا شىء له من الأمر وقم على رؤسهم فأن أجمع خمسة ورضوا رجلاً وابى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤسهما فأن رضى ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكموا عبد الله بن عمر، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فأن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس."[3]

اجتمع اصحاب الشورى بعد دفن عمر رضى الله عنه واقترح عليهم عبد الرحمن ابن عوف أن يخرج أحدهم نفسه ويبايعه الآخرون، على أن يولى الخلافة أفضلهم بعد أن يشاور الناس فى هذا الأمر فوافقوه فأخرج نفسه وبايعوه على ماسأل وعاهدوه على أن يرضوا بمن يختار. وعاهدهم على الحق والعدل.

ثم خرج عبد الرحمن الى الناس فاستشار الخاصة والعامة واستشار المرشحين فوجد أن الناس على قسمين بعضهم يريد علياً وبعضهم يريد عثمان فجمعهما فى المسجد بعد فجر اليوم الرابع وسأل علياً ان كان سيلتزم بالكتاب والسنة وسيرة

---

(١) هو المقداد بن عمرو بن شعلبة أبو معبد. نسب الى الأسود بن عبد يغوث لأنه تبناه فى الجاهلية. صحابى من الأبطال. شهد بدراً وغيرها من المشاهد كما شهد فتح مصر - توفى بالمدينة سنة ٣٣هـ.
انظر سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ج١ ص ٣٨٥

(٢) صهيب بن سنان النمرى - أبو يحى. عرف بالرومى لأنه أقام فى الروم مدة، أصله من أهل الجزيرة. من السابقين البدريين. روى أحاديث كثيرة. كان فاضلاً وافر الحرمة - مات بالمدينة فى شوال سنة ٨٨هـ وكان ممن اعتزل الفتنة.
انظر سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٧ وأسد الغابة ج ٢ ص ٤١٨

(٣) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٦٧

الشيخين فى حكمه ؟ فالتزم على بالكتاب والسنة فقط، بينما التزم عثمان باتباع الكتاب والسنة وسيرة الشيخين فبايعه ابن عوف على ذلك وتبعه بقية الناس.(١)

واختيار المسلمين لعثمان رضى الله عنه للخلافة انما جاء بسبب سابقة عثمان فى الاسلام وجهاده بنفسه وماله فى سبيله . كما أنه كان من المقدميين فى قومه فى الجاهلية والاسلام (٢) .

وبعد توليه رضى الله عنه للخلافة اتسعت الفتوحات الاسلامية وامتدت حدود الدولة الاسلامية. فقد اكتمل فتح أقاليم الدولة الساسانيه واجتاز المسلمون نهرى جيحون (٣) وسيحون (٤) الى ماورائهما من بلاد الترك والصغد (٥) وبلغوا كابل وافتتحوا سجستان (٦) وبلغوا حدود الصين وتوغل المسلمون فى أرمينية وبلغوا حدود القوقاز وفتحوا طبرستان (٧) وأذربيجان (٨) وتصدوا للروم فى ديارهم واجتاحوا حصونهم وتوجهوا الى القسطنطنية.

---

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٧ ص ١٥٢
(٢) انظر المصدر السابق ج ٧ ص ٢٠٨ ومابعدها .
(٣) جيحون نهر فى خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان - انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان - مصدر سابق ج ٢ ص ١٩٦
(٤) سيحون نهر كبير مشهور على حدود بلاد الترك ويتجمد شتاء .
انظر معجم البلدان - مصدر سابق ج ٣ ص ٢٩٤
(٥) الصغد ولاية عظيمة قصبتها سمرقند .انظر ياقوت الحموى - مرجع سابق ج ٣ ص ٤٠٩ وما بعدها .
(٦) سجستان ناحيه كبيرة وولايه واسعة تقع جنوب هراة وبينهما ثمانون فرسخاً انظر معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٠
(٧) طبرستان بلاد واسعة بين الرى وبلاد الديلم - انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١٣
(٨) أذربيجان صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وقصبتها تبريز وتحدها من الشمال بلاد الديلم .
انظر ياقوت - معجم البلدان ج ١ ص ١٢٨

وفى أفريقية أتم المسلمون فتح مصر واتجهوا غرباً على ساحل البحر المتوسط وتغلبوا على جيوش الروم ومن والاهم من البربر بعد معارك ضارية وافتتحوا المغرب الأدنى

كما أنشئت فى عهد عثمان الأساطيل البحرية وأخذ المسلمون فى غزو جزر البحر المتوسط وانتزاع السيطرة عليه من الروم وقد أثبت المسلمون قدرتهم فى الغزو البحرى واستطاعوا تحطيم الأسطول البيزنطى فى معركة ذات الصوارى التى جرت أمام الساحل الجنوبى الغربى للأناضول وفى مركز قوة البحرية البيزنطية. وكان عثمان رضى الله عنه أول من فكر فى فتح القسطنطينية وغزو أوروبا عن طريق أسبانيا وأمر بتوجيه حملة بحرية لغزو الموانى الأسبانية لهذه الغاية (١)

ولعل من أكبر انجازات عثمان رضى الله عنه جمعه للمسلمين على مصحف واحد فقد قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان غازياً مع أهل الشام لفتح أرمنيه وأذربيجان فحدث حذيفة الخليفة عن اختلاف الناس فى القراءة وطلب منه أن يدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان الى حفصة بنت عمر (٢) لترسل اليه بالصحف لنسخها ثم يردها اليها فأرسلت بها اليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير (٣)

---

(١) انظر د. عبد السلام الترمانينى - أزمنة التاريخ الاسلامى - مراجعة وتحقيق د. شاكر مصطفى ود. أحمد مختار العبادى - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ج ١ ص ٢١٣.

(٢) هى حفصة بنت عمر بن الخطاب من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ومن أمهات المؤمنين. توفيت بالمدينة سنه ٤٥ هـ. انظر الاستيعاب ج ٤ ص ١٨١١ والاصابة ج ٤ ص ٢٦٤

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام. أبو بكر - أمه أسماء بنت أبى بكر. شهد فتح أفريقية فى زمن عثمان. بويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ عقب موت يزيد بن معاوية فحكم معظم أجزاء الدولة الاسلامية حتى بداية عهد عبد الملك بن مروان. سيّر اليه عبد الملك جيشاً بقيادة الحجاج فاستطاع هذا الجيش أن يقضى عليه فى مكة المكرمة سنة ٧٣هـ انظر الطبرى ج ٦ ص ١٨٧ - ١٩٣.

وسعيد بن العاص [١] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام [٢] فنسخوها في المصاحف ولما أتموا نسخ المصحف في المصاحف رد عثمان رضي الله عنه الصحف الى حفصة وأرسل الى كل مصر مصحفاً من المصاحف التي نسخوها وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق [٣]. وبذلك جنب عثمان رضي الله عنه هذه الأمة الاختلاف على مصدرها الأول.

حكم عثمان رضي الله عنه الدولة الاسلامية مدة اثنتا عشرة سنة التزم فيها بعهده للمسلمين يوم أن بايعوه بالخلافة " فكان عند الظن به ما خالف عهداً ولا نكث عقداً ولا اقتحم مكروهاً ولا خالف سنة [٤]".

ولا تصح روايات المؤرخين ولا تقسيماتهم من أنه اتبع في الست سنوات الأول من حكمه السنة وسيرة الشيخين ثم خالف ذلك في الست سنوات الأخيرة مما أدى لقيام الثورة ضده [٥].

---

(١) هو سعيد بن العاص بن أبي أصيحة الأموي. له صحبة. تولى امرة الكوفة لعثمان كان ممن اعتزل الفتنة تولى امرة المدينة أكثر من مرة كان سعد ونة. توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ. انظر سير أعلام النبلاء - مصدر ج ٣ ص ٤٤٤

(٢) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي. كان أبوه من الطلقاء وممن حسن اسلامهم - روى أحاديث عن كبار الصحابة - كان من نبلاء الرجال. انظر سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٨٤

(٣) انظر القاضي أبي بكر بن العربي - العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم - حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب. طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٩م ص ٦١

(٤) المصدر السابق ص ٥٣

(٥) كمثال على ذلك انظر جلال الدين السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم - دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٣٩٥ - ١٩٧٥م ص ٢٥١.

ولكن الذى حدث هو أن مجموعة من العوامل تضافرت وكانت نتيجتها تلك الفتنة التى عرفت فى التاريخ الاسلامى باسم الفتنة الكبرى والتى كانت أولى نتائجها مقتل الخليفة الراشد عثمان فى سنة ٣٥ هـ.(١)

وعندما استشهد رضى الله عنه كانت دولته تضم الولايات التالية :-

مكه المكرمة، الطائف - صنعاء - الجند - البصرة - الشام - قنسرين - الكوفة أذربيجان - قرقسيا (٢) همذان (٣) أصبهان (٤) - مصر وأفريقية (٥)

---

(١) انظر تعليق الشيخ محب الدين الخطيب على العوامل التى أدت الى الثوره على عثمان رضى الله عنه فى هامش ص ٥٨ من كتاب العواصم من القواصم .

(٢) قرقسيا بلد على نهر الخابور وعند مصبه فى الفرات. انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٢٨

(٣) همذان مدينه كبيرة فى بلاد فارس افتتحها المغيره بن شعبة سنه ٢٤هـ . انظر المصدر السابق ج ٥ ص ٤١٠

(٤) أصبهان مدينه واقليم عظيمين فى بلاد فارس . انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٦

(٥) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٨٦

المبحث الخامس

الادارة في عهد علي بن أبي طالب

بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، بقيت المدينة في حالة فوضى يسيطر عليها الثوار ولا يجد الناس أحداً يقبل بالامامة التي عرضت على علي بن أبي طالب فرفضها كما عرضت على الزبير وطلحة وابن عمر وسعد بن أبي وقاص فرفضوها جميعاً وأخيراً أجبر الناس علياً على قبولها فقبلها .(١)

وفي اليوم التالي وكان يوم جمعة جاء علي رضي الله عنه الى المسجد وصعد منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وسأل الناس ان كانوا راضيين بامامته فأجمعوا على ذلك .(٢)

وذكرت بعض الروايات أن بعض الصحابة تخلفوا عن بيعة علي وفيهم سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة (٣) واسامة بن زيد وغيرهم (٤) .

ولكن ابن العربي (٥) يرد على هذه الرواية بقوله : " أما بيعته فلم يتخلف عنها وأما نصرته فقد تخلف عنها قوم منهم من ذكرتم لأنها كانت مسألة اجتهادية فاجتهد كل

---

(١) انظر الطبري ج ٤ ص ٤٣٢ - ٤٣٣

(٢) انظر ابن الأثير - الكامل في التاريخ - مصدر سابق ٣ ص ١٩٣ - ١٩٤

(٣) هو محمد بن مسلمة الأنصاري - أبو عبد الله - من نجباء الصحابة - شهد بدراً والمشاهد . كان له دور كبير في مقتل كعب بن الأشرف اليهودي - اعتزل الفتنة . استعمله عمر على صدقات بني عبد الأشهل كما كان يبعثه للتحقيق في الشكايات ضد الولاة . مات في صفر سنة ٤٣ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٦٦

(٤) انظر الطبري - مصدر سابق ج ٤ ص ٤٣١ وابن الأثير - الكامل - مصدر سابق ج ٣ ص ١٩١

(٥) الامام العلامة الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الأندلسي الأشبيلي المالكي ولد في سنة ٤٦٨ هـ . أبوه من كبار أصحاب ابن حزم . ارتحل مع أبيه الى بغداد وتلقى العلم بها . رجع الى الاندلس ونشر علمه بها . صنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والتاريخ . توفي بفاس سنة ٥٣٤ هـ
انظر الذهبي سير أعلام النبلاء مصدر سابق ج ٢٠ ص ١٩٧
وانظر كذلك ابن خلكان - وفيات الاعيان - مصدر سابق ٣ ص ٣١٧

واحد وأعمل نظره وأصاب قدره."(١)

وعلى كل حال فقد تولى على رضى الله عنه خلافة المسلمين فى ظرف عصيب فالمدينة المنورة واقعة تحت سلطان الثوار والأقاليم تلفها الفتنة وكثير من الناس آثر السلامة والابتعاد عن الفتنة فارتحلوا الى مكة أو الى جهات أخرى .

فى هذه الأثناء طالب طلحة والزبير وغيرهما أمير المؤمنين على بالقصاص من قتلة عثمان فشرح لهما على رضى الله عنه الأوضاع المحيطة بهم وطلب اليهم الأناة فى هذا الأمر حتى تهدأ الأحوال ، فاستأذنوه فى الذهاب الى مكة فأذن لهم .(٢)

بدأ على عهده بخلع عمال عثمان واختار عماله وأرسلهم الى الأمصار مخالفاً بذلك رأى ابن عباس والمغيره بن شعبه (٣) الذين أشارا عليه بالابقاء على عمال عثمان حتى تبايعه الأمصار ولكنه رفض ذلك فطلبا منه الابقاء على معاويه لمكانته فى الشام وسيطرته على الأمور هناك ولكن علياً رفض ذلك كذلك .(٤)

وكان معاوية بن أبى سفيان والى الشام قد تولى مسألة المطالبه بدم عثمان وجمع أهل الشام لهذا الغرض ورفض خلع على بن أبى طالب له الأمر الذى جعل الخليفه يستنفر أهل المدينة للخروج لمحاربة أهل الشام ولكن الاستجابة لهذه الدعوة لم تكن كبيرة .(٥)

---

(١) ابن العربى - العواصم من القواصم - مصدر سابق ١٤٧

(٢) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٢٠٤

(٣) المغيره بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى . أبو عبد الله . من كبار الصحابه وشجعانهم . أسلم عام الخندق وشهد الحديبية وبيعة الرضوان - ولاه عمر البصرة - كان من قادة الفتوح - اعتزل النزاع بين على ومعاوية ولاه معاوية الكوفة وظل والياً عليها حتى وفاته سنة ٥٠ هـ - انظر الطبرى - مرجع سابق ج ٣ ص ٣٣١ واسد الغابه - مرجع سابق ج ٣ ص ١٨٦ - ١٩٠

(٤) انظر الطبرى - المصدر السابق ٤ ص ٤٤٠ - ٤٤١

(٥) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٢٠٤

كما أن بعض الصحابة كانوا قد خالفوه الرأى فى خروجه من المدينة الى العراق وكان من ضمن من خالفه الرأى فى ذلك ابنه الحسن .(١)

وفى أثناء استعداده للخروج من المدينة الى العراق وردته أنباء من مكة المكرمة تفيد بأن طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة (٢) ومعهم جموع من المسلمين قد خرجوا من مكة الى البصرة . ولم يكن على رضى الله عنه يعرف سبب خروجهم حيث أنهم كانوا قد خرجوا بقصد الاصلاح بين الناس ومنع الفتنة ومما يدل على ذلك أن عامل على على البصرة عثمان بن حنيف خرج اليهم وكتب معهم كتاباً على ألا يدخلوا البصرة حتى يحضر اليها على فوافقوه على ذلك .

ولكن بعض دعاة الفتنة اعتدوا على ابن حنيف وضربوه وحينما حضر على الى البصرة جرت مفاوضات للصلح قام بها الصحابى القعقاع بن عمرو (٣) .

ولما أشرفت هذه المفاوضات على النجاح خاف دعاة الفتنة على أنفسهم ان تتم الصلح فأفشلوا هذه المساعى ونشبت حرب الجمل التى انتهت بهزيمة أصحاب الجمل وبمقتل طلحة والزبير رضى الله عنهما ورجوع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها الى الى المدينة مكرمة معززة .(٤)

---

(١) انظر الطبرى - المصدر السابق ج ٤ ص ٤٥٦

(٢) هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق . زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه. أمها أم رومان بنت عامر بن عبد شمس تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنتين وكانت بكراً وبنى بها بالمدينة . من أكثر الصحابة رواية وعلماً . توفيت سنة ٥٧ هـ. انظر الاصابة مصدر سابق ٤ ص ٣٥٩ - ٣٦١

(٣) القعقاع بن عمرو التميمى . أحد فرسان العرب فى الجاهلية والاسلام. شهد اليرموك وأبلى فى القادسية. كان يقال عنه أن صوته فى الجيش خير من ألف رجل - حضر صفين مع على بن أبى طالب وكانت وفاته سنه ٤٠ هـ .
انظر الاصابة مصدر سابق ج ٣ ص ٢٣٩ والاستيعاب مصدر سابق ج ٣ ص ١٢٨٣

(٤) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٢٥٨

بعد موقعة الجمل سعى الخليفة الى التفاوض مع أهل الشام لحقن الدماء ولكن أهل الشام أصروا على موقفهم فوقعت معركة صفين (١) والتى كاد أن ينهزم فيها جيش الشام لولا لجوئهم الى الحيلة ورفعهم للمصاحف مطالبين بالتحكيم فاستجاب لهم على بن أبى طالب تحت ضغوط طائفة من أصحابه بينما رفض الخوارج ذلك الأمر فكفروه وكفروا معاوية ودخل معهم على رضى الله عنه فى مواجهات أدت الى اضعاف جيشه (٢).

وتكرس الانقسام فى الدولة الاسلامية بعد معركة صفين حيث ظل معاوية يحكم من الشام بينما يحكم على من العراق وظل أمير المؤمنين على بن أبى طالب يحاول اخضاع أهل الشام لسلطة الدولة فى نفس الوقت الذى كان يحارب فيه الخوارج الذين تسببوا فى انفراط حبل الأمن الى أن غدر به عبد الرحمن بن ملجم الخارجى (٣) سنة ٤٠هـ وخلفه ابنه الحسن (٤).

والملاحظ على فترة الامام على رضى الله عنه أن رقعة الدوله الاسلامية لم تتسع فى عهده بسبب الفتنة التى شغلته على جبهة الشام وعلى جبهة الخوارج.

فقد ظلت "حدود دولة الاسلام كما كانت عليه لدى الخلفاء قبله الا أن خريطة الدولة الادارية أصابها تغيير فلم تعد الدولة الاسلامية كلها خاضعة للخليفة حيث اقتطع منها الشام. ثم حدثت اضطرابات فى بلاد الفرس وخرسان مما أدى الى عدم تمكن الولاة من الوصول اليها لادارتها وكلما مر وقت تقلصت هذه الخارطة واقتطعت أجزاء منها لتضم لحكم معاوية ابن أبى سفيان والى الشام" (٥)

---

(١) صفين موقع بقرب الرقة على شاطئ الفرات جرت فيها الحرب بين على ومعاوية سنه ٣٧هـ. انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان - مصدر سابق ج ٣ ص ٤١٤

(٢) انظر ابن كثير - البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٩٤

(٣) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى. أسلم فى خلافه عمر وقرأ على معاذ بن جبل كان من شيعة على وشهد معه صفين ثم خرج عليه وقتله وقتل به. انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٣٣

(٤) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٥ ص ١٤٣

(٥) ندوه النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ١٤٧

وملاحظة أخرى على فترة حكم الامام على وهى انتقال عاصمة الخلافة من المدينة المنورة الى الكوفة وهذا الانتقال جاء نتيجة لتمرد أهل الشام على الخليفة وانتقال الخليفة الى العراق ليكون قريباً من مواقع الأحداث .

ولم تدع الأحداث أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه ليعيد النظر فى تنظيم ادارة الدولة وولاياتها ولكنه أرسل الى هذه الاقاليم أمراء تمكن بعضهم من مباشرة عمله وبعضهم لم يتمكن من ذلك .(١)

---

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط - مصدر سابق ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٣٣

الفصل الثاني

الإختيار في عصر النبوة والراشدين

ويشتمل علي المباحث الآتية :

١- المبحث الأول : الإختيار في عهد النبي ﷺ وأبي بكر الصديق

٢- المبحث الثاني : الإختيار في عهد الفاروق

٣- المبحث الثالث : الإختيار في عهد عثمان وعلي

الفصـــل الثـانى

الاختيار فى عصر النبوة والراشدين

بعد أن تحدثت فى الفصل السابق عن الادارة فى عصر النبوة والراشدين أتحدث فى هذا الفصل عن كيفية الاختيار للوظائف العامة فى هذا العصر وذلك من خـــلال المباحث الآتية :-

١ - المبحث الأول : الاختيار فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخليفتـــه الصديق

٢ - المبحث الثانى : الاختيار فى عهد الفاروق .

٣ - المبحث الثالث : الاختيار فى عهدى عثمان وعلى .

المبحث الأول

الاختيار فى عهدى النبى صلـى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق

كان النبى صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بأصحابه وبمقدراتهم ولذلك كان عندما يختار أحداً منهم لعمل من الأعمال يكون اختياره هو أنسب الاختيارات وأحسنها .

والمتتبع لسيرته صلى الله عليه وسلم يلحظ هذا الأمر بوضوح وجلاء فمن أهم عوامـــل نجاح الدعوة الاسلامية وانتصاراتها بعد توفيق الله سبحانه وتعالى ونصره ، اختيـــار الرجل المناسب فى المكان المناسب .

ففى مكة المكرمة وبعد بيعة العقبة الأولى أختار النبى صلى الله عليه وسلـــم مصعب بن عمير (١) للذهاب الى المدينة والدعوة الى الله تعالى فما عاد فى العـــام

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى. أبو عبد الله. من السابقين للاسلام . هاجر الى الحبشة. أرسله النبى صلى الله عليه وسلم قبـــل الهجرة الى يثرب ليعلم الناس الاسلام. شهد بدراً وأحداً وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم بيده - استشهد بأحد وعمره أربعين سنه .
انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج٣ ص٨١ وابن عبد البـــر الاستيعاب - مصدر سابق ج ١ ص ٢٨٨

التالى الا بعد أن دخل الاسلام فى كل بيت من بيوت يثرب .(١)

الأمر الذى يعد دليلاً على نجاحه فى المهمة التى أوكلت اليه وحسن اختياره .

وقبل الهجرة كان أبوبكر الصديق رضى الله عنه يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأذن له لأنه أراد أن يكون رفيق هجرته، ومن يتأمل حوادث الهجرة يلاحظ الدور الفعال الذى قام به أبو بكر رضى الله عنه فى هذه الأحداث (٢)، مما يؤكد أهليته لاختيار النبى الكريم له رفيقاً فى هجرته .

كما أن اختيار النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب للمبيت فى فراشه ليلة الهجرة وأداء الأمانات عنه انما جاء لصفة الشجاعة والاقدام التى كان يتمتع بها على رضى الله عنه .(٣)

وبعد أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبدأ فى بناء الدولة الاسلامية كان كثيراً مايشاور أصحابه خاصة أبا بكروعمر، الذين قال لهما " لو اتفقتما على شئ ماخالفتكما عليه (٤) " فقد كانت نصائحهما مع بقية أهل الشورى مفيدة وعادت على الدولة الناشئة بكثير من الخير. وقد كانا بالفعل أحق بمنصب الاستشارة لأن وجهة نظر كل منهما تكمل وجهة نظر الآخر ويمكن لنا أن نلحظ اختلاف وجهات نظرهما فى الأمر الواحد فى مواطن كثيرة منها على سبيل المثال اختلافهما فى قضية أسرى بدر .(٥)

---

(١) انظر ابن هشام سيرة النبى صلى الله عليه وسلم - مصدر سابق ج ٢ ص ٤٢ وانظر كذلك أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلى - الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام - قدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان ج ٢ ص ١٩٥

(٢) انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣٢

(٣) انظر ابن هشام - سيرة النبى - مصدر سابق ج ٢ ص ٦٥

(٤) كنز العمال - مصدر سابق - ج ٣ ص ٤٢٢

(٥) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٢ ص ١٣٦

كذلك فأن اختيار النبى صلى الله عليه وسلم لكتابه انما كان يحكمه عاملان :-

- العامل الأول : هو معرفة الكتابة التى كانت أمراً نادراً عند العرب.

- العامل الثانى : معرفة الكاتب بالجانب الذى يكتب فيه .

فقد اختار النبى صلى الله عليه وسلم لكتابة القرآن الكريم عثمان بن عفان وعلى ابن أبى طالب وأبى بن كعب وذلك لأنهم أكثر فهماً من غيرهم بعلوم القرآن، وفى حالة غياب هؤلاء يكتب له من حضر (١) .

واختار لكتابة الصدقات الزبير بن العوام فأن غاب أو اعتذر كتب له جهيم ابن الصلت (٢) أو حذيفة بن اليمان (٣) .

كما اختار لكتابة الرسائل الى الزعماء والملوك زيد بن ثابت فأن غاب كتب له عبد الله بن الأرقم (٤) أو من يحضر من الكتّاب (٥) .

أما اختياره صلى الله عليه وسلم لرسله وسفرائه فقد كان يتم بناءاً على علم هؤلاء السفراء ومعرفتهم بالبلاد المرسلين اليها وكمثال على ذلك ارساله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان سفيراً عنه الى أهل مكة قبل صلح الحديبية (٦) وكذلك

---

(١) انظر الخزاعى -تخريج الدلالات السمعية - مرجع سابق ص ١٥٩

(٢) هو جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشى المطلبى أسلم عام خيبر وأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقاً .
انظر الاصابة مصدر سابق ج ١ ص ٢٦٧ وأسد الغابه - مصدر سابق ص ٣١١

(٣) انظر الخزاعى - تخريج الدلالات السمعية - مرجع سابق ص ١٥٩

(٤) هو عبد الله بن الأرقم القرشى الزهرى. أسلم عام الفتح. كتب للنبى صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر وعمر واستعمله عمر وعثمان على بيت المال حيث كان يعمل بلا أجر. من الاتقياء . انظر الاستيعاب - مصدر سابق ج ١ ص ٣٤٨ وأسد الغابة مرجع سابق ج ٣ ص ١١٥ .

(٥) انظر الخزاعى - تخريج الدلالات السمعية - مرجع سابق ١٧٠

(٦) انظر بن هشام - سيرة النبى مصدر سابق ج ٣ ص ٣١٣

اختياره لدحية بن خليفة الكلبي [١] سفيرًا عنه الى عظيم بصرى [٢] كما أرسل عبد الله بن حذافة السهمي [٣] الى كسرى ملك فارس وبعث عمرو بن أمية الضمري [٤] الى النجاشي ملك الحبشة وعمرو بن العاص الى ملكي عمان. والعلاء بن الحضرمي الى ملك البحرين كما بعث شجاع بن أبي وهب [٥] الى ملك غسان [٦-٧].

---

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي. صحابي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر. حضر كثيرًا من المشاهد. كان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبريل يأتي النبي على هيئته - نزل دمشق وعاش الى خلافة معاوية. توفي سنة ٤٥ هـ . انظر ابن سعد الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ٢٤٦ والاصابة مصدر سابق ج ١ ص ٤٧٣

(٢) بصرى من أعمال الشام وهي قصبة كورة حوران . انظر ياقوت الحموي - معجم البلدان - مرجع سابق ج ١ ص ٤٤١

(٣) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن سهم القرشي. أبو سهم. أسلم قديمًا وكان من المهاجرين الى الحبشة. يقال أنه شهد بدرًا . رسول النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى. أسره الروم سنة ١٧ هـ في خلافة عمر بن الخطاب ولكنه نجا منهم مات في خلافة عثمان ودفن بمصر . انظر الاستيعاب مصدر سابق ١ ص ٣٧٥ والاصابة مصدر سابق ٢ ص ٢٩٦

(٤) هو عمرو بن أمية بن خويلد الضمري. أبو أمية. شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين ثم أسلم بعد ذلك. كان ذو نجدة وجرأة. بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي - انظر الاستيعاب - مصدر سابق ٢ ص ٢٤٢ وأسد الغابة مرجع سابق ج ٣ ص ٦٩٠ - ٦٩١

(٥) هو شجاع بن أبي وهب بن ربيعة بن أسد الأسدي. أبو وهب. شهد بدرًا وجميع المشاهد - هاجر الى الحبشة وقدم منها الى المدينة . بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن شمر الغساني - استشهد يوم اليمامة - انظر ابن عبد البر - الاستيعاب - مصدر سابق ج ٢ ص ٦٠٩

(٦) غسان ماء باليمن بين رمع وزبيد واليه تنسب القبائل المشهورة . انظر ياقوت الحموي - معجم البلدان - مصدر سابق ج ٤ ص ٢٠٢

(٧) انظر الخزاعي تخريج الدلالات السمعية - مرجع سابق ص ١٨٤

ومما يدل على مقدرة هؤلاء السفراء أن كل واحد منهم أصبح يتحدث بلسان القوم الذين أرسل اليهم .(١)

كما كان صلى الله عليه وسلم يختار بعض أصحابه لبعض المهام الخاصة ومن ذلك اختياره لحذيفة بن اليمان أميناً لسره ،(٢) يطلعه على مالا يطلع عليه أقرب المقربين مثل أبى بكر وعمر حتى أن عمر رضى الله عنه كان يأتى حذيفة ويسأله عن المنافقين.(٣) وذلك بسبب حفظ حذيفة رضى الله عنه للأسرار وكتمانه لها وهذا ماأهله لاختيار النبى صلى الله عليه وسلم له حين أراد معرفة أخبار الأحزاب فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه : من يأتينا بأخبار القوم ؟ فلما لم ينهض أحد أمر النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة بذلك وقد نجح فى مهمته خير نجاح بسبب كتمانه وحذره .(٤)

ومن ذلك اختيار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة للقيام بمهمة اغتيال اليهودى كعب بن الأشرف (٥) وذلك حين آذى الرسول صلى الله عليه وسلم وآذى المسلمين بفعله وقوله، وقد تمكن محمد بن مسلمة وأصحابه من قتله بفضل شجاعة محمد وفطنته.(٦)

---

(١) انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى .مصدر سابق ج ١ ص ٢٥٨
(٢) انظر الخزاعى - تخريج الدلالات السمعية - مرجع سابق ص - ٤٧
(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٨
(٤) انظر أبى الفداء اسماعيل بن كثير - السيرة النبويه - تحقيق مصطفى عبد الواحد دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ج ٣ ص ٢١٧
(٥) هو كعب بن الأشرف الطائى من بنى نبهان . شاعر جاهلى. أمه من بنى النضير كان سيداً فى أخواله بنى النضير وكان يقيم فى حصن له بالقرب من المدينة. كان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما كان يحرض القبائل على المسلمين ويشبب بالمسلمات - أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فقتله خمسه من شباب الأنصار على رأسهم محمد بن مسلمة. انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٢ ص ٤٨٧ .
(٦) انظر ابن هشام - سيره النبى - مصدر سابق ج ٣ ص ٥٨ - ٦٠

أما عن اختياره صلى الله عليه وسلم لقضاته فقد ذكرت اختياره لمعاذ بن جبل قاضياً على اليمن وذلك حين سأله النبى صلى الله عليه وسلم عن كيفية قضائه فأجاب بأنه سيقضى بما فى كتاب الله تعالى فأن لم يجد فيه فأنه سيقضى بما فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم فأن لم يجد فيها حكماً فأنه سيجتهد رأيه ولا يألو (١) .

وكذلك اختياره لعلى بن أبى طالب قاضياً على اليمن وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قال : " أقضى الناس على بن أبى طالب (٢) .

اما عن اختياره صلى الله عليه وسلم لقادته العسكريين فقد كان ذلك الاختيار يتم بسبب مؤهلاتهم فى هذا الجانب وهى الشجاعة والخبرة بالحرب ومن ذلك اختياره لخالد بن الوليد منذ أن أسلم وذلك لخبرته المشهورة فى هذا الجانب حتى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قال : " ان خالداً سيف سله الله على المشركين (٣)

وعندما اختار النبى صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وكان فى مقتبل شبابه على رأس جيش فيه كبار المهاجرين والأنصار استنكر بعضهم هذا الاختيار فخطب فيهم النبى صلى الله عليه وسلم مبيناً لهم دواعى هذا الاختيار ومبرراته . (٤)

وعندما توفى النبى صلى الله عليه وسلم أنفذ أبو بكر رضى الله عند هذا الجيش نزولاً على رغبة النبى صلى الله عليه وسلم رغم الظروف الصعبة التى كانت تحيط بالمدينة بسبب حرب المرتدين. وقد حقق هذا الجيش الهدف الذى من أجله قد بعث وبرهن اسامة رغم صغر سنه على مقدرته على تحمل المسئولية ونجاحه فيها . (٥)

---

(١) سبق تخريج الحديث فى ص ٣٨

(٢) انظر ابن عبد البر - الاستيعاب - مصدر سابق ج ٣ ص ٢٤٠

(٣) انظر المصدر السابق ج ١ ص ٤٢٧ وانظر كذلك ابن تيمية - السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية - مصدر سابق ص ١٧

(٤) انظر ابن هشام - سيرة النبى - مصدر سابق ج ٤ ص ٢٩١

(٥) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٢٢٦ - ٢٢٧

وعن اختيار النبى صلى الله عليه وسلم لولاته وعماله جاء فى طبقات ابن سعد :

"أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختار الولاة من المنظور اليهم فى العرب ومن الذين يحسنون العمل ".(١)

واختياره صلى الله عليه وسلم لولاته وعماله من العرب ليس ناشئاً عن عصبية أو عنصرية وانما لتحقق لهم المهابة .(٢)

أما احسان العمل فيكون بحسب نوعية الوظيفة فقد كان صلى الله عليه وسلم يختار لكل وظيفة أنسب أصحابه لها. فعندما أراد أن يبعث أحد أصحابه الى أهل نجران قال لهم :" لأبعثن عليكم أميناً حق أمين . فأشرف أصحابه وتطلعوا الى هذا الشرف فبعث أبوعبيدة وقال : لكل أمة أمين وان أمينا أيتها الأمة أبوعبيدة بن الجراح "(٣)

ومما يشير الى معرفة المصطفى صلى الله عليه وسلم بأصحابه وادراكه للميزات التى يمتاز بها بعضهم أنه أشار فى حديث له الى بعض هذه المميزات حتى يستفاد منها وذلك كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : "أرحم أمتى بأمتى أبوبكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت واقرأوهم أبى بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح "(٤)

---

(١) ابن سعد - الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٥١٤

(٢) انظر محمد محمود فرغلى - البيئة الادارية فى الجاهلية والاسلام - سلسلة دعوة الحق - دار - الأصفهانى جدة - رجب ١٤٠٢هـ ص ١٨١

(٣) انظر فتح البارى - مرجع سابق - كتاب مناقب الصحابة باب مناقب أبى عبيدة ابن الجراح ج ٧ ص ٩٣ ومسند أحمد - مرجع سابق ج ٣ ص ١٢٥ - ١٢٦

(٤) مسند أحمد - مصدر سابق ج ٣ ص ١٨٤

ونتيجة لهذا الاختيار الموفق فقد ضرب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة فى الأمانة والنزاهة وحسن الادارة ولم يثبت على أحد منهم حالة خيانة واحدة وحتى أولئك الذين ارتكبوا بعض المخالفات التى حاسبهم عليها الرسول صلى الله عليه وسلم انما كانت اجتهادات فى الرأى وأخطاء فى التأويل والتنفيذ ولم يقصدوا الوقوع فى الخطأ كما سنرى ذلك عند الحديث عن محاسبته صلى الله عليه وسلم لولاته وعماله .

وخير مثال على نزاهة عمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأمانتهم ماجاء فى كتب السنن عن سعيد بن المسيب (١) رضى الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة (٢) فيخرص (٣) بينه وبين اليهود ثم يقول لهم : ان شئتم فلكم وان شئتم فلى فكانوا يأخذونه . قال فجمعوا له حلياً من نسائهم فقالوا : هذا لك وخفف عنا وتجاوز فى القسم . قال عبد الله بن رواحه : يامعشر يهود انكم لمن أبغض خلق الله الىّ وماذلك بحاملى على أن أحيف بكم فأما ماعرضتم من الرشوة فأنها سحت وانا لانأكلها فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض " (٤)

---

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب المخزومى القرشى . أبو أحمد . سيد التابعين وأحد فقهاء المدينة - جمع الحديث والفقه والزهد - توفى بالمدينة سنة ٩٣هـ
انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى - مصدر سابق ٥ ص ١١٩ وجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى - النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ج ١ ص ٢٢٣

(٢) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجى الأنصارى . أبو محمد - صحابى ومن الشعراء . كان يدافع بشعره عن النبى صلى الله عليه وسلم . أحد النقباء الاثنى عشر فى بيعة العقبة . شهد المشاهد كلها واستشهد فى غزوة مؤته فى السنة الثامنة للهجرة وكان أحد قادتها . انظر الاصابه - مصدر سابق ج ٢ ص ٢٤٠ والذهبى سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ج ١ ص ١٧٠

(٣) جاء فى الصحاح : الخرص . هو حذر ماعلى النخل من الرطب . انصر الصحاح مصدر سابق ج ٣ ص ١٠٣٥

(٤) انصر بن ماجة - كتاب الزكاة مرجع سابق ص ٥٨٢

وهكذا كان عمال النبى صلى الله عليه وسلم لا يأخذون الرشوة ولا يظلمون أحداً مهما بلغ بغضهم له ولو كان يهودياً وذلك عملاً بقوله تعالى: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (١)".

وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم اعتمد أبو بكر الصديق رضى الله على اختيارات الرسول عليه السلام فلم يغير فيها بشئ كما سبقت الأشارة الى ذلك .

---

(١) المائدة الايه ٨

المبحث الثاني

الاختيار في عهد الفاروق

بعد أن تولى عمر رضى الله عنه الخلافة ، سعى الى أن يختار معاونيه وقواد جيشه وعماله وقضاته اختياراً خاصاً . ذلك بأنه أخذ على نفسه العمل لصالح الرعية وأخذها على طريق الحق وذلك كما في قوله بعد توليه في أول خطبة له " انما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق ".(١)

فهو اذن يحتاج الى فريق يؤمن معه بهدفه ويسير بسيره) فقد كان رضوان الله عليه يضع مصلحة الأمة فوق أى اعتبار ، حتى روى عنه أنه قال : " خير لى أن أعزل في كل يوم عاملاً من أن أبقى ظالماً ساعة من نهار ".(٢)

ولذلك نجده رضى الله عنه يعين عماله ثم يضعهم تحت الاختبار لفترة من الزمن يثبتون بعدها في وظائفهم أو يفصلون عنها .

قال عمر رضى الله عنه لأحد عماله عندما عينه : " انى قد عينتك لأبلوك فأن أحسنت زدتك وان أسأت عزلتك ".(٣)

وكان رضى الله عنه اذا أراد أن يعين قائداً أو والياً استشار أصحابه في ذلك التعيين ومن هو أصلح من يناسب تلك الوظيفة .

قال مرة لأهل الشورى : دلونى على أحد استعمله . قالوا : كيف تريده ؟ قال : اذا كان في القوم وليس أميرهم كأنه أميرهم واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم .(٤)

(١) الطبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٤٣٣
(٢) انظر د . سعيد الحكيم - الرقابة على أعمال الادارة - مرجع سابق ٤٢٣
(٣) انظر السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ١٢٥
(٤) انظر التذكرة الحمدونية - مرجع سابق ص ٤٠١ وأبى محمد عبد الله مسلم ابن قيتبة الدينورى - عيون الأخبار المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٣ القاهرة ج ١ ص ١٦

فهنا نرى بجانب الاستشارة التى كان يتبعها الخليفة فى اختيار ولاته الصفات المطلوبة فى أولئك الولاة فهو يريد والياً متميزاً فى غير كبر اذا أبصره الرائى ظن أنه الأمير ولو لم يكن هو الأمير لتميزه بصفات القادة واذا كان هو الأمير ورآه الرائى ظن أنه فرد من أفراد الرعية لتواضعه .

وكان عمر رضى الله عنه لا يكتفى بالاستشارة فقط فى تعيين العمال بل كان يتابع بنفسه أعمالهم وتصرفاتهم . فقد قال رضى الله عنه لرعيته : أرأيتم ان استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أقضيت ماعلى ؟ قالوا : نعم . قال : لا حتى أنظر فى عمله أعمل بما أمرته أم لا .(١)

ومن الصفات التى يطلبها عمر فيمن يريد توليته صفة التقوى والورع وألا تأخذه فى الله لومة لائم . فقد ذكر أنه قال : " ينبغى للوالى أن يكون فيه من الشدة مايكون ضرب الرقاب عنده فى الحق كقتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو مايجزع من قتل عصفور فى غير حق " .(٢)

فهو يريد الوالى الذى لا يبالى فى الحق ، وفى نفس الوقت يكون عنده من الورع والخوف من الله عز وجل مايمنعه من الوقوع فى الظلم .

ومن حرص عمر رضى الله عنه على مصلحة الأمة أنه كان اذا استعمل عاملاً كتب له واشترط عليه ألا يركب برذوناً ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات فأن خالف حلت عليه العقوبة .(٣)

وذلك حرصاً منه رضى الله عنه أن لا يتميز الولاة والعمال عن الأمة وألا يحتجبوا عن الناس والنظر فى مشكلاتهم وظلاماتهم .

---

(١) انظر كنز العمال - مصدر سابق ج ٥ ص ٧٦٨

(٢) ابن سماك العاملى - الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة تحقيق د . محمود على مكى - الناشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية . مدريد ١٤٠٤ هـ ص ٥٧

(٣) السيوطى - تاريخ الخلفاء - مصدر سابق ص ٢٧٠

ولذلك كان عمر رضى الله عنه يدقق تدقيقاً شديداً فى اختيار العمال فقد روى أنه أراد أن يعين رجلاً فى وظيفة معينة فاستدعاه اليه فأتى الرجل الى عمر وعنده طفل له يقبله فكأن الرجل استنكر أن يقبل عمر طفله فأعلمه عمر أن من لا يرحم لا يرحم وصرف النظر عن توظيفه بسبب قسوة قلبه لأن مثل هذا الرجل الذى لا تكون فى قلبه رحمة لطفل صغير لا يعقل أو يتصور أنه يمكن أن يرحم الكبير ولذلك فأن هذا الصنف من الناس لا يصلح للامارة . (١)

وكان عمر رضى الله عنه يتبع آثار النبوة فى اختياره لموظفيه وكان يقول : "من ولى رجلاً لمودة أو قرابة لا يستعمله الا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ". (٢)

وقال أيضاً فى هذا الصدد : " من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله " (٣) .

ولذلك كان عمر رضوان الله عليه يكره تعيين أقرباءه حتى ولو كانوا أكفاء . ويظهر لنا ذلك حين اشتكى عمر من أهل الكوفة حيث قال : أعيانى أهل الكوفة ان استعملت عليهم ليناً استضعفوه وان استعملت عليهم شديداً شكوه ، ولوددت أنى وجدت رجلاً قوياً أميناً مسلماً استعمله عليهم . فقال رجل : ياأمير المؤمنين أنا أدلك على الرجل القوى الأمين المسلم . قال : ومن هو ؟ قال : عبدالله بن عمر . قال عمر : قاتلك الله والله ماأردت بها وجه الله (٤) .

---

(١) انظر د . محمد الرضا عبدالرحمن الأغبش - السياسة الادارية للدولة فى صدر الاسلام بين النظرية والتطبيق - مكتبة الزهراء - القاهره - الطبعه الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م ص ١٧٢

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى - مناقب عمر بن الخطاب - تحقيق د . زينب ابراهيم القاروط - دار الكتب العلميه - بيروت لبنان - الطبعه الثانيه ١٤٠٢ ص ٧٨

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة

(٤) انظر المصدر السابق ص ١١٨

ونحن نعلم أن عمر حينما طعن واختار أهل الشورى الذين سيختارون الخليفة من بعده جعل فيهم عبد الله بن عمر على ألا يقع عليه الاختيار وحينما روجع في ذلك من قبل بعض الصحابة قال: "كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا ارب لنا في أموركم ما حمدتها لأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، ان كان خيراً فقد أصبنا منه وان كان شراً يحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد" (١)

وهذا لا يعني بالطبع أن جميع ولاة عمر كانوا على شاكلة واحدة من التقوى والحرص على مصالح الناس، فعلى الرغم من تدقيقه في الاختيار فأن من عماله السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه.

فقد ظهرت من بعضهم هفوات وأخطاء استوجبت العزل. فقد ذكر ابن شبة (٢) أن عمر رضي الله عنه بعث شرجيل بن السمط (٣) وكان ممن شهد اليرموك، على جيش فلما نزل بهم قال: "عزمت عليكم لما أخبرتموني بكل ذنب أذنبتموه فجعلوا يعترفون بذنوبهم فبلغ ذلك عمر فقال: ماله لا أم له يعمد الى ستر ستره الله فيهتكه؟ والله لا يعمل لي عملاً أبداً". (٤)

فهذا القائد استحق العزل لأنه تجاوز صلاحياته وأراد أن يحمل جنوده على الاعتراف بذنوب سترها الله عز وجل وتاب أصحابها منها وندموا على فعلها، والتوبة كما هو معلوم تجب ما قبلها.

---

(١) الطبري - المصدر السابق ٤ ص ٢٢٨

(٢) هو عمر بن شبة بن عبدة بن زيد النميري البصري. أبو زيد. العلامة الأخباري صاحب التصانيف ولد سنة ١٧٣هـ سكن بغداد روى الحديث وكان ثقة عالماً بالسير. مات بسر من رأى سنة ٢٦٢هـ. انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ١٢ ص ٣٦٩

(٣) شرجيل بن السمط بن الأسود بن جبلة بن ربيعة الكندي. أبو زيد - قيل له صحبة ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ثم شهد القادسية. انظر الاصابة مرجع سابق ج ٢ ص ١٤٣ وأسد الغابة - مرجع سابق ج ٢ ص ٣٩٢

(٤) عمر بن شبة النميري - تاريخ المدينة المنورة - تحقيق فهيم شلتوت. دار الأصفهاني للطباعة بجدة ج ٣ ص ٨١٨

ومما رواه ابن شبة كذلك قال " سرت سرية على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أرجلهم فأعيا رجل منهم فأراد أن يقيموا عليه فرفض أمير السرية فنادى الرجل: ياعمراه فمضوا وتركوه فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فكتب الى أبى موسى رضى الله عنه : أن ابعث الىّ بالرجل فبعث به اليه فأخذ قناة فجعل يضربه بها ويقول : يالبيكاه ويقول : يامهلك يقول لك الرجل انتظرنى فتذهب وتتركه ينادى ياعمراه ؟ فجعل يعتذر اليه فقال: والله لصلاح رجل من المسلمين أحب الىّ من هلاك كذا وكذا من أهل الشرك وكتب الى أبى موسى رضى الله عنه : انظر مهلكاً فلا تستعمله لنا مادمت لنا على عمل "(١)

فهذه القصة توضح بجلاء حرص عمر رضوان الله عليه على المسلمين وعلى مصالحهم فهذا القائد الذى كان تحت امرة أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه كاد أن يهلك بتصرفه هذا رجلاً من المسلمين فى سبيل تحقيق نصر سريع. فكتب عمر الى أبى موسى أن يبعثه اليه ليحاسبه على تصرفه هذا ثم أمر أبا موسى أن يعزله عن عمله وألا يوليه عملاً فى المستقبل وقد وصفه بالمهلك استفظاعاً لفعله .

وقد كان لحذيفة رضى الله عنه بعض التحفظ على بعض عمال عمر فقال له : انك تستعين بالرجل الفاجر. فقال عمر رضى الله عنه :- انى لأستعمله لاستعين بقوته ثم أكون على قفائه .(٢)

فعمر رضى الله عنه لم ينكر أبداً استخدامه لهذا الصنف من الناس بقصد الافادة من قدراتهم وامكانياتهم ولكنه لا يتركهم دون رقابة ولا متابعة.

ولكن ليس كل من عزله عمر رضى الله عنه انما عزله لعجز أوخيانة أوسوء تصرف. فقد عزل عمر رضى الله عنه سعداً بن أبى وقاص عن امارة الكوفة حين شكاه أهلها ورموه بعدد من التهم حتى أنهم قالوا : أنه لا يحسن الصلاة فعزله عمر رضى الله عنه على الرغم

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٨١٢
(٢) انظر كنز العمال - مرجع سابق ج ٥ ص ٧٧١

من عدم قناعته بالتهم الموجهة اليه .[١] وقد سأل عنه عمرو بن معد يكرب[٢] فقال له : " خير أمير يعدل ويقسم بالسوية وينفر فى السرية وينتقل الينا حقنا كما تنتقل الذرة"[٣] .

وعزل عمر كذلك عمار بن ياسر عن امارة الكوفة لأن أهلها سعوا به الى عمر فى أشياء كرهها له ولم يحاسبه عليها .[٤]

والمعرف عن أهل الكوفة أنهم كانوا كثيرى الشكاية من أمرائهم حتى أن عمر رضى الله عنه قال : " هان على شيء أصلح به قوماً أن أبدل لهم أميراً مكان أمير ".[٥]

ويعلق أحد الباحثين على هذه السياسة بقوله : " وكان عمر يتحرى حسن الصلة بين العامل والرعية فكان يعزل العامل مع ثبوت براءته مما نسب اليه لأنه يرى أن التعاون لا يكون بين العامل وبين رعيته وقد تركت الشكوى أثراً فى النفوس ربما يكون له عواقب سيئة فقد يتحامل العامل على من شكوه وقد تقل رعايته لهم وقد يتربصون به يتبعون عوراته ليكشفوا عن خطأ يجدون فيه حجة ليبرروا دعواهم السابقة وقد يدفعهم الحرص على النيل منه الى التلفيق"[٦]

---

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٧ ص ٧٧

(٢) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدى - أبو ثور - فارس اليمن فى الجاهلية والاسلام أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعد وفاته ثم رجع الى الاسلام وشهد اليرموك والقادسية . أصيب فى معركة نهاوند بجراح مات بسببها سنة (٢ هـ . انظر الاستيعاب مرجع سابق ج ٣ ص ١٢٠١ والاصابة - مرجع سابق ج ٣ ص ١٨

(٣) انظر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البيان والتبيين - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - دار الفكر ج ٢ ص ٦٨ .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ج ١ ص ٤٢٣

(٥) ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة - مصدر سابق ٣ ص ٨٠٥

(٦) د . أحمد ابراهيم الشريف - دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنيين الأول والثانى للهجره - الطبعة الثانيه ١٩٧٧م - دار الفكر العربى ص ٢٥٥

وليس بالضرورة أن يذنب العامل ذنباً أو يخطىء خطأً حتى يعزل ولكن سياسة العزل والاختيار سياسة مستمرة فقد عزل عمر رضى الله عنه شرجيل بن حسنة فقال له شرجيل : أعن سخطة عزلتنى ياأمير المؤمنين؟ قال : لا انك لكما أحب ولكنى أريد رجلاً أقوى من رجل - قال : نعم فأعذرنى فى الناس لا تدركنى هجنة فقال أيها الناس والله ماعزلت شرجيل عن سخطة ولكنى أردت رجلاً أقوى من رجل .(١)

فالخليفة لم يعزل شرجيل لضعف ولا لأخطاء ارتكبها وانما لكل مرحلة من المراحل رجالها وعندما علم شرجيل أنه لم يعزل لسخطة طلب أن يعذر فى الناس وهذا من حقه حتى لا يظن الناس أن الخليفة انما عزله عن عجز أو خيانة وقد نفذ الخليفة طلبه وأعلن للناس أنه لم يعزله عن سخطة وهذا مبدأ فى الادارة كثيراً ماكان عمر ينتهجه حتى يبرىء ساحة رجال ادارته. فقد كتب رضى الله عنه الى عامله على البحرين العلاء ابن الحضرمى : " أن سر الى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله واعلم أنك تقدم على رجل من المهاجرين الأولين الذين سبقت لهم من الله الحسنى وانى لم أعزله الا يكون عفيفاً صليباً شديد البأس ولكنى ظننت أنك أغنى للمسلمين فى تلك الناحية فاعرف له حقه .(٢) "

فهنا يؤكد عمر رضى الله عنه للعلاء بن الحضرمى أنه لم يعزل عتبة بن غزوان رضى الله عنه الا أنه رأى أن العلاء ربما يكون أغنى للمسلمين فى هذه الناحيه منه وطلب من العلاء أن يعرف له حقه ويذكر له هجرته وسبقه للاسلام وعفته وشدة بأسه .

ومن حرص عمر رضى الله عنه على المسلمين أنه كان لا يولى عليهم من يفوقهم فى

---

(١) انظر الطبرى - المصدر السابق ص ٦٤ - ٦٥ وابن الأثير - الكامل فى التاريخ مصدر سابق ج ٢ ص ٥٦٢

(٢) سير أعلام النبلاء مصدر سابق ج ١ ص ٢١٥ ومحمد كرد على - الادارة الاسلاميه فى عز العرب - القاهره مطبعة مصر ١٩٣٤ م ص ٣٤

عقل أو غيره وذلك عملاً منه بوصية النبى صلى الله عليه وسلم لأمته بأن يسيروا بسير ضعفائهم فقد عزل عمر رضى الله عنه زياداً بن أبيه (١) عن كتابة أبى موسى الأشعرى فقال له زياد : أعن عجز أم خيانة ؟ قال : لا عن واحدة منهما ولكنى أكره أن أحمل العامة على فضل عقلك (٢) .

ومن يتأمل بعض النماذج الذين اختارهم عمر للعمل معه يدرك مدى تدقيق عمر وتوفيقه فى الاختيار .

فقد حدّث سعيد بن المسيب رضى الله عنه أن عمر بعث معاذاً ساعياً على بعض القبائل فقسم فيهم حتى لم يدع شيئاً حتى جاء مجلسه الذى خرج منه فقالت امرأته : أين ما جئت به مما يأتى به العمال ؟ فقال كان معى ضاغطاً فقالت : قد كنت أميناً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبى بكر فبعث عمر معك ضاغطاً ؟ فقامت بذلك فى نسائها واشتكت عمراً فبلغ ذلك عمر فدعا معاذاً فقال : أنا بعثت معك ضاغطاً ؟ فقال : لم أجد شيئاً اعتذر به اليها الا ذاك . فضحك عمر وأعطاه شيئاً وقال : أرضها به (٣)

فمعاذ رضى الله عنه بهذا يضرب مثلاً رائعاً فى العفة والرقابة الذاتية ويترفع حتى عن القدر المسموح للعامل بأخذه وعندما يأتى أهله وتسأله زوجه يعتذر لها بأن عمر قد بعث معه رقيباً فتعجب من ذلك حيث أن معاذاً عمل مع النبى صلى الله

---

(١) زياد بن أبيه. أبو المغيرة. استلحقه معاوية بنسبه. ولد عام الهجرة وهو أخو أبو بكرة الثقفى الصحابى لأمه - كان كاتباً لأبى موسى الأشعرى فى البصرة وكان من نبلاء الرجال . استعمله على على فارس. ولاه معاوية العراق مات سنة ٥٣هـ . انظر سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٩٤ .

(٢) انظر الجاحظ - البيان والتبيين - مرجع سابق ج ١ ص ٢٦٠ وينظر كذلك كتاب الفرائد العوالى على شواهد الأمالى للشيخ محسن الجواهرى - مطبعة الآداب بالنجف ١٣٨٧هـ ج ٣ ص ٢٠٨

(٣) انظر أبى عبيد القاسم بن سلام - الأموال - تحقيق محمد خليل هراس الطبعة الثانية ١٣٩٥-١٩٧٥ م نشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ص ٧١١

عليه وسلم ولم يبعث معه رقيباً وكذلك فعل أبو بكر. فلما علم عمر بأمره أعطا بعض المال، وأمانة معاذ هذه كانت سبباً في غنى أهل اليمن عندما كان والياً عليهم حتى أنه ماوجد فيهم من يأخذ الصدقة. فقد كان معاذ رضى الله عنه والياً على الجند على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر رضى الله عنه. فلما توفى أبى بكر قدم معاذ الى المدينة فرده عمر والياً على الجند فبعث اليه معاذ بثلث الصدقة، فأنكر ذلك عمر وقال: لم أبعثك جابياً ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد ها على فقرائهم فقال معاذ: مابعثت اليك بشيء وأنا أجد أحداً يأخذه مني. فلما كان العام الثاني بعث اليه بشطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العام الثالث بعث بها كلها فراجعه عمر بمثل ما راجعه به من قبل فقال معاذ: ماوجدت أحداً يأخذ مني شيئاً. (١)

ومن حسن اختيار عمر اختياره لعمير بن سعد (٢) وذلك حين بعثه والياً على حمص فمكث حولاً لا يأتيه خبره فكتب اليه: أقبل بما جبيت من الفيء. فأخذ جرابه وقصعته وعلق أداوته وأخذ عنزته وأقبل راجلاً فدخل المدينة وقد شحب واغبر وطال شعره، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال: ماشأنك؟ قال: ألست صحيح البدن معى الدنيا؟ فظن عمر أنه انما جاء بمال. قال جئت تمشى؟ قال: نعم قال: أماكان أحد يتبرع لك بداية؟ قال: مافعلوا ولاسألتهم قال:

---

(١) المرجع السابق ص ٧١٠

(٢) عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان. من فضلاء الصحابة وزهادهم. بعثه عمر على جيش الى الشام. استعمله عمر على حمص. مات بالشام. كان عمر يقول: ودد تلوأن لى رجلاً مثل عمير استعين به على أعمال المسلمين.
انظر أسد الغابة - المصدر السابق ج٣ ص ٧٨٩ - ٧٩٠

بئس المسلمون قال : ياعمر ان الله نهاك عن الغيبة . فقال ماصنعت؟ قال : الذى جبيته وضعته مواضعه ولونالك منه شئ لأتيتك به . قال : جددوا لعمير عهداً قال: لا عملت لك ولا لأحد " (١)

وعندما قدم عمر الشام طاف بها حتى نزل حمص فقال : اكتبوا لى الفقراء فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سعيد بن عامر (٢) فقال : من سعيد بن عامر ؟ قالوا : أميرنا. فعجب عمر وقال : كيف يكون أميركم فقيراً ؟ فقالوا : انه لا يمسك شيئاً فبكى عمر وبعث اليه بألف دينار (٣) .

وقال عمر فى أثناء هذه الزيارة لأبى عبيدة : اذهب بنا الى منزلك . قال : وماتصنع عندى ؟ ماتريد الا أن تعصر عينيك علىّ . فدخل فلم ير شيئاً قال : أين متاعك ؟ لا أرى الا لبداً وصحيفة وشناً وانت أمير أعندك طعام ؟ فقام أبو عبيدة الى جونة فأخذ منها كسيرات فبكى عمر فقال أبو عبيدة : قد قلت لك : ستعصر عينيك علىّ . ياأمير المؤمنين يكفيك مايبلغك المقيل . قال عمر : غيرتنا الدنيا كلنا ياأبا عبيدة (٤) .

وأبو عبيدة هذا بلغ عمر عنه أنه يسبغ على عياله فنقص من عطائه ثم سأل عنه فقيل له : قد شحب لونه وتغيرت ثيابه وساءت حاله فقال : يرحم الله أباعبيدة ما أعف وأصبر ، فرد عليه ماكان حبس عنه وأجزاه عليه . وأرسل اليه اربعمائة دينار وسأل من أرسله أن يقف على مايفعل بها فوزعها أبوعبيدة كلها (٥) .

---

(١) انظر أبى بكر محمد بن محمد بن الوليد الطرطوشى - سراج الملوك - المطبعة الأزهرية المصرية ١٣١٩هـ ص ١١٥ وسير أعلام النبلاء مرجع سابق ج ٢ ص ٥٦١

(٢) سعيد بن عامر القرشى . من كبار الصحابة وفضلائهم. أسلم قبل خيبر. ولاه عمر حمص. كان مشهوراً بالخير والزهد مات سنة ٢٠ هـ.
انظر الاصابة - مصدر سابق ج ٢ ص ٤٨ - ٤٩

(٣) انظر الطرطوشى - سراج الملوك - مصدر سابق ص ١١٩

(٤) انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ١ ص ١٧

(٥) المرجع السابق - نفس الصفحة

ان المتأمل فى الانجازات التى تحققت فى عهد عمر يدرك مدى توفيق الله سبحانه وتعالى له فى أختيار أعوانه الذين رأوا فيه مثالاً يحتذى فساروا بسيرته .

روى أن عمر رضى الله عنه لما حملت اليه مغانم العراق عند افتتاحها وما أصيب من كنوز كسرى ورأى فيها من الجواهر النفيسة جعل يتعجب ويقول : ان الذى أدى هذا لأمين. فقال له عبد الرحمن بن عوف : أنا أخبرك بذلك ياأمير المؤمنين . أنت أمين الله وهم أمناؤك فما دمت مؤديا للأمانة أدوها ومتى رتعت رتعوا .(١)

وكان عمر رضى الله عنه اذا نهى الناس عن شىء جمع أهله فقال : انى نهيت عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله الا ضعفت العقوبة عليه".(٢)

وذلك حرصاً منه رضى الله عنه على أن يكون قدوة ومثالاً يحتذبه الولاة فلا يقع الظلم على الرعية. كما كان رضوان الله عليه حريصاً كل الحرص على ابعاد أهل بيته من التدخل فى الشئون العامة. فقد روى أنه عتب على بعض عماله فكلم ذلك العامل امرأة عمر فقالت: ياأمير المؤمنين فيم وجدت عليه ؟ فقال لها : ياعدوة الله فيم أنت وهذا ؟ انما أنت لعبة يلعب بك ثم تتركين .(٣)

وهكذا فقد وفق عمر فى المرحلة الأولى من مراحل الرقابة وهى الاختيار المناسب كما وفق فى مرحلتيها التاليتين كما سنرى .

---

(١) انظر القلعى - تهذيب الرياسة - مرجع سابق ص ١٠٠
(٢) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٥٨
(٣) انظر ابن الجوزى - مناقب عمر - مصدر سابق ص ١٢١

المبحث الثالث

الاختيار فى عهدى عثمان وعلى

أولاً : الاختيار فى عهد عثمان :-

أقر عثمان رضى الله عنه عمال عمر بن الخطاب فى ولاياتهم مدة من الوقت ثم رأى أن يعزل بعضهم ويعين غيرهم ، لظروف اقتضت ذلك التغيير .

وقد باشر رضى الله عنه حقه فى ممارسة العزل والتعيين طيلة فترة خلافته وذلك اما جلباً لمصلحة أو درءاً لمفسدة .

وقد عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وعين عبد الله بن أبى سرح والياً عليها وكان فارس بنى عامر بن لؤى وصاحب ميمنة عمرو بن العاص فى فتوحه كلها .(١) وقد كانت بين الرجلين خلافات ومشاحنات خشى الخليفة أن يكون لها تأثيرها على الرعية فعزل عمرو وولى مكانه عبد الله وكان ذلك فى سنة ٢٦هـ ، أى بعد ثلاثة أعوام من بداية خلافة عثمان وقام عبد الله بعدة غزوات فى بلاد النوبة ، ثم قدم الى عثمان رضى الله عنه فى المدينة فثار محمد بن أبى حذيفة على نائب عبد الله بن أبى سرح وخلعه وأصبح أميراً على مصر وعندما حاول عبد الله العودة الى مصر منعه ابن أبى حذيفة من دخولها فذهب الى فلسطين وأقام بها حتى توفى سنة ٣٧ هـ ولم يشارك فى الفتنة .(٢)

أما فى البصرة فقد عزل عثمان رضى الله عنه أبا موسى الأشعرى بعد ست سنوات من توليه وجعل مكانه عبد الله بن عامر بن كريز (٣) وذلك فى سنة ٢٩هـ فباشر الفتوحات فى بلاد المشرق .(٤)

---

(١) انظر ابن عبد البر - الاستيعاب - مصدر سابق ج ٣ ص ٩١٨ - ٩١٩

(٢) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ٤٢١

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموى ، أبو عبد الرحمن . تولى امارة البصرة أيام عثمان ففتح سجستان ومرو الروز وغيرها . شهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يشهد صفين . ولاه معاوية على البصرة ثم عزله فأقام بالمدينة ثم مات بمكه سنة ٥٩هـ .
انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى . مصدر سابق . ج ٥ ص ٤٤ - ٤٨

(٤) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ٢٦٤ - ٢٦٥

وفى الكوفة كان عثمان رضى الله عنه قد عين سعد ابن ابى وقاص والياً عليها سنه ٢٤هـ حيث أن عمر رضى الله عنه كان قد أوصى بالاستفادة من خبرته لأنه لم يعزله لعجز ولا تقصير .

ولكن خلافاً وقع بين سعد وعبد الله بن مسعود والى الخراج اضطر عثمان الى اعفاء سعد وابقاء ابن مسعود بعد أن بقى سعد والياً على الكوفة سنة وبعض السنة وعين خلفاً له الوليد بن عقبة بن أبى معيط (١) . وكان من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم وكان سبق أن استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى المصطلق ثم ولاه عمر صدقات بنى تغلب وكانت ولايته للكوفة سنة ٢٥هـ . واستمر يؤدى عمله الادارى ويباشر الفتوحات فى جهات أرمينية وأذربيجان وكان محبباً للناس حتى قيل انه لم يكن على داره باب (٢) .

ولكن شكوى أهل الكوفة له بسبب بعض الأحسن جعل عثمان يعزله ويستبدل له بسعيد بن العاص وذلك فى سنة ٣٠هـ . وسعيد بن العاص من أشراف القرشيين وهو ممن جمع بين الفصاحة والسخاء كما كان أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان وقد واصل سعيد فتوحات الوليد فغزا وافتتح أراضى واسعة (٣) .

أما فى الشام فقد تولى معاوية بن أبى سفيان ادارة دمشق على عهد عمر ولما مات أخوه يزيد والى الاردن ضمها عمر الى ادارة معاوية .

وفى عهد عثمان رضى الله عنه استعفى والى حمص وقنسرين فضمها عثمان الى معاوية وكذلك لما توفى والى فلسطين ضم عثمان رضى الله عنه عمله

---

(١) هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى القرشى . أخو عثمان بن عفان لأمه . تولى ولاية الكوفة سنة ٢٥هـ . شهد عليه أهل الكوفة بأنه قد شرب الخمر فحده عثمان . سكن الجزيرة الفراتية بعد مقتل عثمان ولم يشارك فى الفتنة . مات بالرقة سنة ٦١هـ انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٤ .

(٢) انظر ابن العربى - العواصم من القواصم - مصدر سابق ص ٩٥

(٣) انظر ابن عبد البر - الاستيعاب ج ٢ ص ٦٢٢

فمعاوية كما ذكر صاحب العواصم ولاه عمر وجمع له الشامات كلها ، وأقره عثمان بل انما ولاه أبو بكر رضي الله عنه لأنه ولي أخاه يزيد واستخلف يزيد معاوية.(١) .

أما عن الوليد فأن الطبري قد أشار الى أنه نفذ بعض الحدود على بعض أهل الكوفة فحقدوا عليه وتربصوا به حتى يجدوا دليلاً ضده يمكن أن يشكوه الى الخليفة به.(٢)

وذكر ابن الاثير أن هؤلاء القوم لما فشلوا في اثبات تهمة على الوليد أخذوا خاتمه وهو نائم وذهبوا به الى عثمان وادعوا أن الوليد شرب الخمر حتى سكر فاستدعى عثمان رضي الله عنه الوليد وسألهم بحضوره هل رأوه يشرب الخمر؟ قالوا : لا. قال : كيف؟ قالوا : اعتصرناها من لحيته وهو يقيء فأقام عليه الحد .

وقيل ان الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعاً ثم التفت اليهم وقال : هل أزيدكم ؟ فقال له ابن مسعود : مازلنا معك في زيادة منذ اليوم . وشهدوا عليه عند عثمان فأمر علياً بجلده فأمر على عبد الله بن جعفر(٣) فجلده(٤) .

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في الرد على الناقمين على عثمان رضي الله عنه بسبب تولية الوليد : "... فأن اعتل بتولية الوليد فعقبة وأنه سكر فصلى الصبح أربعاً قيل له : وماعلى عثمان رضي الله عنه من فعل الوليد فقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الناس على الصدقة ففسق فأنزل الله تعالى فيه : "وان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا "(٥) فلا يلحقه من ذلك الا مالحق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر ابن العربي - العواصم من القواصم - مرجع سابق ص ٨١

(٢) انظر الطبري - مصدر سابق ج ٤ ص ٢٧١ وابن أعثم - الفتوح - مرجع سابق ج ١ ص ٣٧٩ ومابعدها .

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي - ولد بالحبشة وهاجر الى المدينة له صحبة ورواية ويعد من صغار الصحابة. توفي أبوه يوم مؤته فكفله النبي صلى الله عليه وسلم . اشترك في صفين مع علي. وفد على معاوية وعلى عبد الملك . كان كريماً كبير الشأن - توفي سنة ٨٤هـ على الأرجح
انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ج ٣ ص ٣٥٦

(٤) انظر ابن الأثير - الكامل في التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ١٠٧

(٥) الحجرات الاية ٦

الى معاوية [١] فأصبحت الشام كلها تحت ادارته ومكنته ادارته الحكيمة وطول اقامته بالمنطقة من قيادة أهلها بسهولة ويسر ولذلك خلت الشام من المشكلات الادارية التى عانت منها بقية الأقاليم [٢] .

وكانت سياسة عثمان رضى الله عنه فى العزل والتعيين أنه ما كان يعزل والياً الا عن شكاة أو استعفاء [٣] . وهى نفس سياسة سلفه رضوان الله عليهم . فلم يبدل عثمان رضى الله عنه ولكن الذين ثاروا عليه هم الذين بدلوا وغيروا .

وقد كانت سياسته فى العزل والتعيين من الأشياء التى نقموا عليه فيها وحاولوا من خلالها اثارة العامة ضده اذا دعوا أنه عزل كبار الصحابة وعين الفساق والأغرار وبدأوا بالطعن على ولاته وجعلوهم مطية للطعن فى الخليفة نفسه [٤] .

وأكثر ما أثاروه فى هذا الجانب هواتها صهم له بأنه جمع الشامات لمعاوية وأنه ولى أقرباءه أمثال عبد الله بن كريز والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم [٥] . الى آخر الاتهامات الباطلة والتى ما قصدت لذاتها وانما حيكت للنيل من الخليفة الراشد رضى الله عنه .

---

(١) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ٢٨٩ .
(٢) انظر وقائع ندوة النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ٣٤٢ .
(٣) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ٢٥٣
(٤) انظر ندوة النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ٣٢١
(٥) هو مروان بن الحكم بن عبد شمس الأموى القرشي. أبو عبد الملك. نفى النبى صلى الله عليه وسلم أباه الحكم الى الطائف فصحب أباه صغيراً ولم يزل بالطائف حتى تولى عثمان الخلافة. استكتبه عثمان وكان حاملاً لخاتمه. ولاه معاوية على المدينة ومكة والطائف. بويع بالخلافة فى مؤتمر الجابية سنة ٦٤ هـ. توفى سنة ٦٥ هـ وكان عمره انذاك ٦٣ سنة.

انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٤ ص ٧٤ والاصابة مرجع سابق ج ٣ ص ٤٧٧

ومن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عمر قدامة بن مظعون [١] على البحرين فشرب الخمر متأولاً فأمر عمر رضى الله عنه بحده. وقدامة من أولى السابقة والمفضل من أهل بدر فلم يلحق عمر فيما فعل شيء اذ حده وكذلك عثمان رضى الله عنه قد أقام الحد على الوليد بن عقبة". [٢]

أما ابن العربى فقد ذكر أن الوليد كان أثناء الفتح من جملة الصبيان وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يمسح رأسه كما مسح رؤوس بقية الصبيان وذلك لأن رأس الوليد كان به خلوق ولا يعقل أن يبعث من كان فى هذه السن مصدقاً وبالتالى تسقط الرواية التى تقول أن الاية : "ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" [٣] قد نزلت فيه. وأما عن حده فى الخمر فقد ذكر أن عمر حد قدامة بن مظعون وعزله وليست الذنوب مسقطة للعدالة اذا وقعت منها التوبة [٤].

وأما عن أعمال الوليد الجليلة فقد قال عنها وعنه محقق كتاب العواصم مايلى :-

" قد يظن من لا يعرف صدر هذه الأمة أن أمير المؤمنين عثمان جاء بالوليد ابن عقبة من عرض الطريق فولاه الكوفة أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأنس بأحوال ذلك العصر وأهله فيعلمون أن دولة الاسلام الأولى فى خلافة أبى بكر تلقفت هذا الشاب الماضى العزيمة الرضى الخلق الصادق الايمان فاستعملت مواهبه فى سبيل الله الى

---

(١) هو قدامة بن مظعون بن حبيب القرشى - صحابى هاجر الى الحبشة وشهد بدراً وسائر المشاهد . استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على البحرين ثم عزله عمر لأنه شرب الخمر متأولاً وأقام عليه الحد وهو زوج صفية أخت عمر. انظر الاستيعاب مرجع سابق ج ٣ ص ١٢٧٧ والاصابة مصدر سابق ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) الحافظ أبو نعيم الأصبهانى - تثبيت الامامة وترتيب الخلافة. - دراسة وتحقيق ابراهيم على التهامى - دار الامام مسلم للنشر والتوزيع - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ص ١٤٢ - ١٤٤

(٣) الحجرات الاية ٦

(٤) انظر ابن العربى - العواصم من القواصم - مرجع سابق ص ٩٠

أن توفى أبوبكر وأول عمل له فى خلافة أبى بكر أنه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد فى وقعه المذار سنة ١٢هـ (١) ثم وجهه مدداً الى قائده عياض بن غنم الفهرى. وفى سنة ١٣هـ كان الوليد يلى لأبى بكر صدقات قضاعة. ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة والثقة والكرامة فكتب الى عمرو بن العاص والى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالقه الجهاد فسار ابن العاص بلواء الاسلام نحو فلسطين وسار الوليد ابن عقبة قائداً الى شرق الأردن ثم رأينا الوليد فى سنة ١٥هـ أميراً على بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة يحمى ظهور المجاهدين فى شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم .

وانتهز الوليد بن عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه الجهة التى كانت لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية فكان مع جهاده الحربى وعمله الادارى داعياً الى الله يستعمل جميع اساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى اياد وتغلب على أن يكونوا مسلمين كسائر العرب . . . بهذا الماضى المجيد جاء الوليد فى خلافة عثمان فتولى الكوفة له وكان من خيرة ولاتها عدلاً ورفقاً واحساناً وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير فى آفاق الشرق فاتحة ظاهرة » (٢) .

أما عبد الله بن كريز فقد ذكر عثمان رضى الله عنه أنه ولاه لأنه كريم العمات والخالات (٣) . نشأ سخياً كريماً شجاعاً كثير المناقب افتتح خرسان كلها وأطراف فارس

---

(١) المذار وقعة بين الفرس والمسلمين - انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد ابن الوليد فى صفر سنة ١٢هـ . انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٣٥١

(٢) انظر هامش ص ٨٥ - ٨٦ من كتاب العواصم من القواصم .

(٣) عبشمى الآباء هاشمى الخئولة - عندما ولد أتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لبنى عبد شمس : هذا أشبه بنا منكم ثم ثقل فى فيه - انظر العواصم من القواصم - مصدر سابق ص ٨٤ - ٨٥

وسجستان وكرمان .(١ - ٢)

واذا تركنا فتوحات عبد الله بن كريز وانتصاراته وتقويضه لامبراطورية الفرس فـأن له من الحسنات الانسانية الكثير . اذ ذكر ابن كثير أنه أول من اتخذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله الحرام وأجرى اليها الماء المعين .(٣) وقال عنه ابن تيمية : "ان له من الحسنات والمحبة فى قلوب الناس مالا ينكر" .(٤)

وأما مروان فيعتبر رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين".أما الصحابة فقد رووا عنه وحديثه فى البخارى وغيره ، وأما التابعون فأصحابه فى السن وان جازهم بالصحبة . ، وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافته والتلفت الى فتواه والانقياد الى روايته (٥)" .

هؤلاء هم عمال عثمان وولاته مثلهم مثل عمال أبى بكر وعمر ولكن أصحاب الفتن وأهل الأهواء والنحل شنعوا عليهم واتهموهم لا بقصد الاساءة اليهم فقط ولكن بقصد الاساءة الى الخليفة نفسه .

ومايضر عمال عثمان ان كانوا صغاراً ولكن انجازاتهم كبيرة ومايضر عثمان رضى الله عنه اذا كان من سبقه قد عينوا شباباً كذلك ولكنهم قاموا بما هو مطلوب وزيادة .

ثانياً الاختيار فى عهد على :-

كانت طريقة أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى اختيار الولاة والعمال كطريقة الخلفاء الراشدين قبله من حيث اختيار الأصلح والأقوى فقد كان رضى الله عنه

---

(١) كرمان ولاية مشهورة وناحية كبيرة ذات مدن وقرى واسعة . غربها بلاد فارس وشرقيها مفازة خرسان وجنوبيها بحر فارس. انظر ياقوت الحموى معجم البلدان - مصدر سابق ج ٤ ص ٤٥٤

(٢) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ٢٦٦ - ٢٦٧

(٣) انظر ابن كثير - البداية والنهاية . مصدر سابق ج ٨ ص ٨٨

(٤) ابن تيمية - منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٠

(٥) ابن العربى - العواصم من القواصم - مصدر سابق ص ٨٩ - ٩٠

لا يخصص بالولايات الا أهل الدين والامانه واذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب اليه : " قد جاءتكم موعظة من ربكم "(١) و " وأوفوا الكيل والميزان بالقسط "(٢) " ولا تبخسوا الناس أشياءهم "(٣) و " ولا تعثوا فى الأرض مفسدين "(٤) و " بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين "(٥) و " ماأنا عليكم بوكيل "(٦) اذا أتاك كتابى هذا فاحفظ بما فى يدك من عملنا حتى تبعث اليك من يستسلمه منك ثم يرفع طرفه الى السماء يقول : " اللهم انك تعلم انى لم آمرهم بظلم عبادك ولا بترك حقك "(٧) .

ومما يدل على أهمية اختيار العنصر والصالح عند سيدنا على رضى الله عنه أنه كتب الى الاشتر النخعى(٨) بعد انصرافه من صفين وكان الاشتر يومئذ عاملاً على الجزيرة كتب اليه يقول : " سلام عليك يامالك فأنك ممن استظهر به على اقامة الدين وكنت قد وليت محمد بن أبى بكر(٩) مصر فخرجت عليه خوارج وهو غلام حدث السن غر ليس بذى تجربة للحرب ولا مجرب للأشياء فأقدم علّى لننظر فى ذلك كما ينبغى واستخلف على عملك أهل الثقة والدين والنصفة من أصحابك والسلام "(١٠)

---

(١) يونس الاية ٥٧
(٢) الأنعام الاية ١٥٢
(٣) الأعراف الاية ٨٥
(٤) البقرة الاية ٦٠
(٥) هود الاية ٨٦
(٦) يونس الاية ١٠٨
(٧) النويرى - نهاية الأرب - مصدر سابق ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٠
(٨) هو مالك بن الحارث النخعى - أحد الأبطال الأشراف. حدث عن عمر وخالد فقئت عينه يوم اليرموك - كان شهماً مطاعاً. شهد صفين مع على - عينه على والياً على مصر لكنه مات فى الطريق - انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٣٤ ..
(٩) محمد بن أبى بكر الصديق - أمه اسماء بنت عميس - ولد فى حجة الوداع. ولاه عثمان امرة مصر ولكنه خرج عليه - انضم الى على بعد وفاة عثمان فكان من أمرائه. اختاره على أميراً على مصر سنة ٣٧هـ - التقى مع عسكر معاوية فانهزم وقتل .
أنظر سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ج ٣ ص ٤٨١
(١٠) ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة - مصدر سابق ج ١ ص ١٠٣

ففى هذا الكتاب ثناء من أمير المؤمنين على الأشتر ودعوة له للتفاكر فى أمر مصر التى خرجت فيها الخوارج بسبب صغر أميرها وقلة خبرته .

كما أن الخطاب تضمن الصفات التى ينبغى أن تكون فى الولاة والعمال حيث طلب أمير المؤمنين من الاشتر أن يولى رجلاً من أهل الثقة والعدل .

ومما يدل على حسن اختيار على رضى الله عنه لعماله ماكتبه الى عامله على البحرين عمر بن أبى سلمة المخزومى (١) وكان قد عزله عنها فقد كتب اليه يقول : "أما بعد فقد وليت النعمان بن عجلان الزرقى (٢) على البحرين ونزعت يدك بلا ذم ولا تثريب عليك فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا متهم ولا مأثوم فقد أردت السير الى ظلمة أهل الشام وأحببت أن تشهد معى فأنك ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود الدين ان شاء الله ."(٣)

ويشير كتاب أمير المؤمنين الى عامله على المدائن سعد بن مسعود على توفيقه فى الاختيار فقد كتب اليه "أما بعد فقد أديت خراجك وأطعت ربك وأرضيت امامك فعل البر التقى النجيب فغفر الله ذنبك وتقبل سعيك وحسن مآبك"(٤)

فخطابات الشكر والاشارة هذه تدل دلالة واضحة على أن هؤلاء العمال قد

---

(١) هو عمر بن أبى سلمة بن عبد الأسد القرشى المخزومى. ولد قبل الهجرة بسنتين توفى أبوه فى السنة الثالثة للهجرة أمه أم المؤمنيت أم سلمة رباه النبى صلى الله عليه وسلم وعلمه . توفى فى خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٣هـ - انظر سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ج ٣ ص ٤٠٦ .

(٢) النعمان بن عجلان الزرقى شاعر من الأنصار وسيّد من ساداتهم ، انظر الاستيعاب ج ١ ص ١٥٠١

(٣) الشريف الرضى - نهج البلاغة - تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم - دار احياء الكتب العربية - الطبعة الأولى ١٩٦٣م ج ٢ ص ٢١٧ .

(٤) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبى - تاريخ اليعقوبى دار بيروت للطباعة بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م - ج ٢ ص ٢٠١

تقيدوا بالسياسة الادارية التى وضعها لهم الخليفة الراشد وحققوا متطلبات وظائفهم .

ولكن ذلك لا يعنى أن كل عمال على رضى الله عنه وولاته كانوا سواء فقد أخطأ بعضهم أخطاء فادحة ووقعوا فى الظلم ومن ذلك أنه استعمل فى سنة ٣٦هـ يزيد ابن حجية التيمى على الرى (١) فكسر من خراجها ثلاثين ألفاً فكتب اليه على يستدعيه فحضر فسأله عن المال فقال ماأخذت شيئاً، فضربه بالدرة وأمر بحبسه فحبس ولكنه تمكن من الهرب الى الشام (٢) .

فوجود هذه النوعية الشاذة بين ولاة أمير المؤمنين رضوان الله عليه لا يقدح فى سياسته فى الاختيار ولكنه اجتهد فى اختيارهم وماكان يعلم الغيب ولكنها طبيعة الانسان فقد يخون الأمين كما قال الماوردى (٣) .

---

(١) الرى مدينة مشهورة من أمهات المدن بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً انظر معجم البلدان - مصدر سابق ج ٣ ص ١١٦ - ١٢٢

(٢) انظر النويرى - نهاية الأرب - مصدر سابق ج ٥ ص ١٩٧ .

(٣) انظر الماوردى - الأحكام السلطانية - مصدر سابق ص ١٦

الفصل الثالث

التوجيه والإشراف في عصر النبوة والراشدين

ويشتمل علي خمسة مباحث كما يلي :

١- المبحث الأول : إشرافه ﷺ على ولاته وعماله

٢- المبحث الثاني : الإشراف والتوجيه في عهد أبي بكر

٣- المبحث الثالث : الإشراف والتوجيه في عهد عمر

٤- المبحث الرابع : توجيه عثمان لولاته وعماله

٥- المبحث الخامس : توجيه علي لولاته وعماله

الفصل الثالث

الاشراف والتوجيه

تحدثت فى الفصل السابق عن المرحلة الأولى من مراحل الرقابة وهى مرحلة الاختيار وتطبيقاتها فى عصر النبوة والراشدين وأتحدث فى هذا الفصل عن المرحلة الثانية وهى مرحلة الاشراف والتوجيه وذلك من خلال المباحث التالية :-

١ - المبحث الأول : أشرافه صلى الله عليه وسلم على ولاته وعماله

٢ - المبحث الثانى : الاشراف والتوجيه فى عهد أبى بكر الصديق .

٣ - المبحث الثالث : " " " " عهد عمر

٤ - المبحث الرابع : توجيه عثمان لولاته وعماله

٥ - المبحث الخامس : توجيه على لولاته وعماله

المبحث الأول

اشـــرافه صلى الله عليه وسلم على ولاته وعمـــاله :-

كان النبى صلى الله عليه وسلم يتـابع عماله وموظفيه ويوجههـم بطرق مختلفة منها :-

١ - التبصير بالوظيفة والنصح والدعاء لهم .

٢ - تحذيرهم من الوقوع فى بعض الأخطاء .

٣ - الكتابة اليهم مبيناً لهم بعض الأمور .

وسنفصل هذه الطرق الثلاث كما يلـــى :-

أولاً : التبصير بالوظيفة والنصح والدعاء لهم :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يحدد لعماله وموظفيه حدود عملهم حتى لا يتعدوه فيقعوا فى الأخطاء . ومن ذلك تحديده لوظيفة معاذ بن جبل حين بعثه داعيـاً وعاملاً على اليمن . قال معاذ : "بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : انـك تأتى قوماً من أهل الكتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، فـأن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فأن هـم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد الى فقرائهم فأن هم أطاعوك لذلك فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين اللـه حجـاب "(١)

ففى هذا الحديث حدّد المصطفى صلى الله عليه وسلم لعامله حدود عمله "اذ بيّن له العمل المهم الذى يبدأ به مرتباً ماينبغى عليه - فالأصل الأول هو الدعوة الـى توحيد الله والاقرار برسوله . والأصل الثانى أداء فرائض الصلاة التى هى الركـن الثانى من أركان الاسلام ، وهى عمل يحقق معنى الشهادتين لأنها عبادة لله واتبـاع لرسول الله صلى الله عليه وسلم . والأصل الثالث أداء الزكاة الذى هو الركن الثالـث

(١) صحيح مسلم بشرح النووى - دار احياء التراث العربى بيروت ج ١ ص ١٩٦-١٩٧

من أركان الاسلام وهى مع كونها عبادة لله أصل فى أداء حقوق عباد الله اليهم، ثم أمره بالرفق بالرعية والعدل فى معاملتهم والتجنب لظلمهم "(١).

وعندما بعث اليه صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعرى مع معاذ الى اليمن نصحهما بعدم الاختلاف وأمرهما بأن ينيسرا ولا يعسرا.

جاء فى صحيح البخارى : " بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذ ابن جبل الى اليمن وبعث كلاًمنهما الى مخلاف. قال : واليمن مخلافان. فانطلق كل واحد منهما الى عمله ". وقد صنف البخارى رحمه الله تعالى هذا الحديث تحت عنوان : باب أمر الوالى اذا وجه أميرين الى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا.(٢)

ومن توجيهاته صلى الله عليه وسلم لولاته أنه وجه علياً بن أبى طالب الى بعض الجهات فقال له فيما أوصاه به : " قد بعثتك وأنا ضنين بك فابرز للناس وقدّم الوضيع على الشريف والضعيف على القوى والنساء قبل الرجال ولا تدخلن أحداً يغلبك على أمرك وشاور القرآن فأنه امامك ".

فهنا نلاحظ عدداً من التوجيهات منها أمره صلى الله عليه وسلم له بعدم الاحتجاب عن الرعية وانصافه للمظلوم والضعيف وعدم اتخاذ البطانة التى تسيطر على الوالى وتوجهه الى ما تريد وأن يشاور القرآن وذلك بالرجوع اليه وتحكيمه. ومن توجيهه لولاته ما رواه مالك رحمة الله تعالى فى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب (٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكل تمر خيبر هكذا ؟ فقال : لا والله يارسول الله انا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) د. عبدالله احمد قادرى - الكفاءة الادارية فى السياسة الشرعية - مرجع سابق ص ١٠٩

(٢) البخارى ج ٤ ص ١٥٧٨

(٣) التمر الجنيب هو التمر الطيب - انظر الخزاعى تخريج الدلالات السمعية مرجع سابق ص ٥٣٧

وسلم : لا تفعل ذلك . بع الجميع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيباً "(١)

ومن توجيهه صلى الله عليه وسلم لقادته العسكريين ما رواه الامام مسلم فى صحيحه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام فأن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فأن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفئ شئ الا أن يجاهدوا مع المسلمين فأن هم أبوا فسلهم الجزية فأن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فأن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فأنكم ان تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فأنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا "(٢) .

ففى هذه الوصية الجامعة لقادة الجيوش بيّن لهم النبى صلى الله عليه وسلم الأمور التى ينبغى لهم أن يتبعوها على النحو التالى :-

---

(١) الموطأ دار أحياء التراث العربية ١٩٥ كتاب البيوع باب ما يكره من بيع التمر ج ٢ ص ٦٢٣

(٢) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٣٧ - ٤٠

الأمر الأول : أن يدعو المشركين الى الاسلام فأن أجابوا الى ذلك وجب الكف عنهم .

الأمر الثانى : أن يدفع الكفار الجزية فأن دفعوها وجب الكف عنهم .

الأمر الثالث : اذا لم يستجيبوا لدعوة الاسلام ولا لدفع الجزية وجب على القائد أن يستعين بالله ويقاتلهم .

أما الأمور التى ماينبغى لهم أن يفعلوها فهى :-

١ - عدم الاعتداء على العدو بما لم يأذن به الله تعالى كالغدر والتمثيل وقتل غير المقاتلين أو المحرضين على القتال .

٢ - عدم اعطاء العدو ذمة الله ورسوله فى الصلح خشية أن لا يفى أمير الجيش وجيشه بما وعدوا لما فى ذلك من جعل ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم عرضة للنقض. ونقض ذمة الأمير وجيشه أهون من نقض ذمة الله ورسوله .

٣ - عدم انزال العدو على حكم الله فى الأمور الاجتهادية التى يحتمل ألا يصيبوا حكم الله فى الواقع فيها (١) .

وقد لخص الامام النووى رحمه الله هذه الوصية بقوله : " فى هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهى تحريم الغدر ، وتحريم الغلول ، وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهة المثلة واستحباب وصية الامام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى والرفق بأتباعهم وتعريفهم مايحتاجون فى غزوهم ومايجب عليهم ومايحل لهم ومايحرم عليهم ومايكره ومايستحب" (٢)

ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لعماله وقضاته ماجاء فى الاستيعاب عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه الى اليمن وهو شاب ليقضى بينهم

---

(١) انظر د .عبد الله أحمد قادرى - الكفاءة الادارية فى السياسة الشرعية - مرجع سابق ص ١١٢

(٢) شرح النووى على مسلم جـ١٢ ص ٣٧ .

فقال : " يارسول الله انى لاأدرى مالقضاء ؟ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : اللهم أهد قلبه وسدّد لسانه - قال على : فوالله ماشككت بعدها فى قضاء بين اثنين " (١) .

وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن على قال : " بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضياً وأنا حديث السن ولا علم لى بالقضاء فقال : " ان الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك فأذا جلس بين يديك الخصمان فلاتقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فأنه أحرى أن يتبين لك القضاء " (٢)

وفى هذا الحديث نجد توجيهاً منه صلى الله عليه وسلم للقضاة بألا يستعجلوا فى الفصل بين المتخاصمين قبل سماع حجة كل منهما .

فمن هذه الأمثلة جميعها يتبين لنا حرص النبى صلى الله عليه وسلم على توجيه ولاته وعماله وقضاته وقادته وبيانه لحدود وظائفهم والدعاء والنصح لهم وهذا يعتبر من الأسس التى تقوم عليها الرقابة الادارية .

ثانيا : تحذيره صلى الله عليه وسلم لعماله وولاته من بعض الأمور :-

الوسيلة الثانية التى استعملها النبى صلى الله عليه وسلم فى توصية عماله وموظفيه ومن يجىء من بعدهم من العمال والموظفين - هى تحذيرهم من بعض الأمور التى قد تؤدى الى الاضرار بالرعية ومن ذلك الاحتجاب عنها وقبول الهدية وأكل الأموال بالباطل .

فقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم ولاته وولاة المسلمين من بعده من الاحتجاب جاء فى رياض الصالحين عن أبى مريم الأزدى رضى الله عنه أنه قال لمعاوية رضى الله

---

(١) ابن عبد البر الاستيعاب فى معرفة الاصحاب - مصدر سابق ج ٣ ص١٢٧

(٢) سنن ابى داود - كتاب الاقضية باب ٦

عنه : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة " (١) .

كما ورد هذا التحذير في رواية أخرى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم " من ولى من أمور الناس شيئاً فاحتجب عنهم احتجب الله عنه ورد حاجته وفاقته وفقره " (٢) .

وكفى بهذا من تحذير حيث أن الاحتجاب يؤدى الى التظالم وعدم مقدرة المظلومين على رفع ظلاماتهم الى ولاة الأمور .

أما عن التحذير من هدايا العمال فقد جاء فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " هدايا العمال غلول " (٣) كما جاء فى التحذير منها كذلك رواية عن على ابن أبى طالب أنه قال : " أخذ الأمير الهدية سحت " (٤) وعن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " هدايا العمال حرام كلها " (٥)

والتحذير من هدايا العمال انما جاء بسبب ماتجره هذه الهدايا من الظلم وضياع الحقوق وذلك بسبب تأثيرها على سير العدالة .

أما الظلم وأكل الأموال بغير الحق فقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم الولاة منه بقوله : " من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتى به يوم القيامة . فقام اليه رجل أسود من الأنصار كأنى أنظر اليه فقال : يارسول الله أقبل عنى

---

(١) الامام النووى - رياض الصالحين - تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى - المكتب الاسلامى ص ٢٨١

(٢) سنن أبى داود ج ٣ ص ١٣٥ والترمذى ج ٢ ص ٣٩٥

(٣) كنز العمال ج ٦ ص ١١١

(٤) المصدر السابق ج ٦ ص ١١٢

(٥) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

عملك قال : ومالك ؟ قال : سمعتك تقول كذا وكذا قال : وأنا أقول الآن : من استعملناه على عمل فيجيء بقليله وكثيره فما أوتى منه أخذ وما نهى عنه انتهى " (١) .

وقال مؤكداً على هذا التحذير : " من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما آخذ بعد ذلك فهو غلول " (٢) .

كذلك روى عن النبى صلى اللهُ عليه وسلم قوله : " من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة فأن لم يكن له خادماً فليكتسب خادماً فأن لم يكن له مسكناً فليكتسب مسكناً قال الراوى أخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق . (٣)

وهنا نلاحظ أن الاسلام أعطى الموظف كل الحقوق والامتيازات التى يحتاجها فى حياته فأن زاد عليها من أموال الناس أعتبر ذلك غلولاً وسرقة .

وهكذا فأن النبى صلى الله عليه وسلم بهذه التحذيرات بينة العمال والولاة من الوقوع فى بعض الأمور والتى بسببها يكون هلاكهم وهلاك رعيتهم .

ثالثاً : كتبه صلى الله عليه وسلم الى موظفيه :

الوسيلة الثالثة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يباشر عن طريقها الاشراف على الولاة والعمال هى الكتابة اليهم . فقد كان صلى الله عليه وسلم يكتب الى عماله موضحاً لهم بعض الأمور المستجدة أو محدداً لهم بعض المهام .

كما كانوا يكتبون اليه موضحين له بعض المستجدات والمواقف أو مستفسرين عن بعض الأمور ومما يدل على شيوع هذا الأمر أن الأمام البخارى رحمه الله تعالى جعل عنواناً لأحد أبواب صحيحة كالتالى :-

باب كتاب الحاكم الى عماله والقاضى الى أمنائه (٤)

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم ١٨٣٣ - سنن أبى داود ج ٣ ص ٣٥٤
(٢) أبو داود ج ٣ ص ١٣٥٣
(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١٣٥٤
(٤) انظر صحيح البخارى ج ٤ باب كتاب الحاكم الى عماله .

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم الى عماله باليمن حيث كتب لهم عهداً واحداً أعطى كل واحد منهم نسخة منه (١). ومن قراءتنا لهذا العهد يمكن أن نستخلص منه الأمور التالية :-

١ - أمره صلى الله عليه وسلم لولاته بتقوى الله والعمل على مرضاته .

٢ - أمره لهم بأن يمنعوا عن الرعية الظلم .

٣ - ينبههم على فريضة الحج وأنه يجب مرة واحدة وكذلك العمرة .

٤ - أمرهم باجتناب بعض المنهيات مثل الاحتباء في الثوب وصيام العيدين والصلاة بعد الفجر والعصر .

٥ - أمره صلى الله عليه وسلم للولاة بحمل الرعية على أخلاق الاسلام .

٦ - أمره صلى الله عليه وسلم للولاة بتعليم الرعية كيفية الغسل والطهارة ومواقيت الصلاة وحثهم على الجمع والجماعات .

٧ - حدّد لهم مقادير الزكاة في الثمار والحيوان والنقد .

٨ - أمرهم بعدم التعدى على من لم يسلم كما حدّد لهم مقدار الجزية وكيفيتها .

٩ - دعا الولاة الى أمر الرعية بتوقير الكبير واحترام حامل القرآن .

وهكذا اشتمل هذا العهد على توجيهات كثيرة هي من صميم عمل الولاة وبعض هذه التوجيهات كان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتبها الى عامله عمرو بن حزم (٢) حين ولاه على نجران (٣).

---

(١) انظر ملاحق هذا البحث ص ٣٥٣

(٢) هو عمرو بن حزم بن زيد بن لوزان الخزرجي البخاري من بني مالك. استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وكان ذلك سنة ١هـ. لم يشهد بدراً وأول مشاهده الخندق . توفي بالمدينة واختلف في تاريخ وفاته .
انظر الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٠

(٣) انظر الكتاني - التراتيب الادارية - مرجع سابق ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩

كما كتب صلى الله عليه وسلم كتاباً الى عمال الصدقات بيّن لهم فيه مقادير الصدقات ولكنه لم ينفذ هذا الخطاب حتى قبض فعمل به أبو بكر رضى الله عنه حتى قبض ثم عمل به بعد ذلك عمر بن الخطاب حتى قبض أيضاً (١) .

وكتب النبى صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل وهو باليمن :- "أن فيما سقت السماء أو سقى غيلاً العشر وفيما سقى بالغرب نصف العشر وفى الحالم والحالمة دينار أو عدله من المعافر ولا يفتن يهودى على يهوديته . (٢)

وكذلك كتب الى عامله فى هجر (٣) المنذر بن ساوى (٤) فى مسألة مجوس هجر قائلاً : " أعرض عليهم الاسلام فأن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ماعلينا ومن أبى فعليه الجزية من غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم " (٥)

كما كتب اليه كتاباً ادارياً نصه كما يلى :- "أما بعد فأنى قد بعثت اليك قدامه وأباهريرة (٦) فادفع اليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام" (٧) .

كما بعث الى عامله على البحرين العلاء بن الحضرى كتاباً أطلعه فيه على مضمون كتابه الى المنذر بن ساوى وطلب منه استعجال المنذر فى ارسال الأموال وقد جاء فيه " أما بعد فأنى بعثت الى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية

---

(١) أنظر البيهقى بالسنن الكبرى دار بيروت لبنان ج ٤ ص ٨٨-٨٩ وابن ماجه حديث رقم ١٧٩٨
(٢) الأموال لابن زنجويه تحقيق شاكر ذيب فياض الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ ج ٣ ص ١٠٦١
(٣) هجر مدينته كانت قاعدة البحرين انظر ياقوت معجم البلدان مرجع سابق ج ٥ ص ٣٩٣
(٤) المنذر بن ساوى بن عبد الله ملك البحرين فى الجاهلية . أرسل له النبى صلى الله عليه وسلم كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام فأسلم . انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٤٩
(٥) الطبرى ج ٢ ص ٣٣١
(٦) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى لقبه النبى صلى الله عليه وسلم بأبى هريرة لأنه يراه يحمل هريرة فى كمه. أسلم سنة ٧ هجرية وشهد خيبر مع النبى صلى الله عليه وسلم. لزم الرسول صلى الله عليه وسلم طلباً للعلم . استعمله عمر على البحرين ثم عزله . توفى سنة ٥٩ هـ . انظر الاستيعاب ج ٤ ص ٤٤٠
(٧) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٧٦

فعجله بها وابعث معه ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور " .(١)

كذلك نجد أن العمال كانوا يكتبون الى النبى صلى الله عليه وسلم كتباً يطلعونه فيها على أعمالهم وما أنجزوه منها، ومن ذلك كتاب خالد بن الوليد الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلعه فيه على ما قام به من أعمال حين وجهه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى الحارث بن كعب وقد جاء فى هذا الكتاب ما يلى :-

" بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبى ورسوله من خالد بن الوليد . . .

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد يا رسول الله فأنك بعثتنى الى بنى الحارث بن كعب وأمرتنى اذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأدعوهم الى الاسلام فأن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يسلموا قاتلتهم وانى قدمت اليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة أيام كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثت فيهم ركباناً يا بنى الحارث أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم الآن بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم به الله وأنهاهم عما نهى الله عنه وأعلمهم معالم الاسلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكتب الى رسول الله والسلام عليك يا رسول الله "(٢)

وهكذا فمن خلال الكتابة كان النبى صلى الله عليه وسلم يوجه عماله وقادته ويرشدهم ويقدم اليهم النصائح كما كان يطلع من خلال كتابتهم اليه على أعمالهم والمشكلات التى كانت تواجههم .

---

(١) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧

المبحث الثانـــــى

الاشراف و التوجيه فى عهد أبى بكـــر :

باشر أبوبكر الصديق رضى الله عنه الرقابة السابقة والمتمثلة فى التوجيه والنصح لولاته وقادته وذلك بقصد تبصيرهم بمهامهم وتجنيبهم الوقوع فى الأخطاء وذلك قبـــل محاسبتهم ومساءلتهم .

وقد كان هذا التوجيه والاشراف يتم عبر وسيلتين :-

١ - الوسيلة الأولى : هى النصيحة المباشرة يوجهها الى الأمير أو القائد عندمـــا عندما يكون هذا القائد أو الأمير معه بالمدينة ويريد الخروج الى مقر عمله فأن الخليفة عادة ماينتهز هذه المناسبة لتقديم توجيهه ونصحه .

٢ - الوسيلة الثانية : هى الكتابة الى القائد أو الأمير عندما يكون بعيداً عنـــــه وذلك عندما يبلغه عنه شئ أو عندما يكتب القائد الى الخليفة يستوضح أمراً مـــا وسنتعرض فى هذا المبحث لبعض توجيهات أبى بكر رضى الله عنه لولاته وقـــواده وذلك من خلال الوسيلتين السابقتين .

(١) النصيحة المباشرة :-

كثيراً ماكان ينصح أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولاته وموظفيه ويذكرهم بمهامهم وذلك عندما يغادر هؤلاء القادة أو الولاة عاصمة الخلافة الى مقار أعمالهم . فمـــن ذلك وصيته لاسامة بن زيد عندما خرج يودعه فقد أورد الطبرى رواية عن سيف بن عمر (١) قال : " خرج أبو بكر الى الجرف فاستقرى اسامة وبعثه وسأله عمر فأذن له وقال لـــه :

---

(١) هو سيف بن عمر التميمى ويقال الضبى البرجمى نشأ فى الكوفة وعكف على روايـــة الأخبار والسير ويعد من أبرز رواة الفتوح - اعتمد عليه الطبرى وابن عساكر ولكنهما يأخذان عنه بالرواية وليس نقلاً عن كتبه. صنف كتاب الفتوح الكبير والردة والجمل ولم يبق من كتبه شئ . جرحه علماء الحديث - توفى سنة ٢٠٠هـ
انظر ابن حجر العسقلانى - تهذيب التهذيب - دار صادر ج ٤ ص ٢٩٥

" اصنع ما أمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم أبدأ ببلاد قضاعة ثم ايت آيل ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعجلن لما خلفت عن عهده " (١)

فهنا نجد أن أبا بكر قد أوصى اسامة أن يصنع ما أمره به رسوله الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد جهز هذا الجيش ليخرج الى الروم وحدد لاسامة مهامه ولكن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حالت دون خروج هذا الجيش فشدد أبوبكر على اسامة بأن يفعل ما أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل ووجهه كذلك بأن يبدأ ببلاد قضاعة فأذا فرغ منها أتى آيل وذكره ثانية بالاّ يقصر في شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نهاه عن الاستعجال في الأمر .

وكان أبوبكر رضي الله عنه قبل هذه الوصية الخاصة لاسامة قد نصحه ومن معه نصيحة عامة جاء فيها : "أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً . اندفعوا باسم الله أفناكم الله بالطعن والطاعون". (٢-٣)

وسار اسامة وجيشه بهذه التوجيهات الكريمة والنصائح العظيمة الى تخوم بلاد الروم ونفذوا ما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بانفاذه من بث الخيول في قبائل قضاعة

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٢٧
(٢) اشارة الى حديث فناء أمتي بالطعن والطاعون أنظر مسند أحمد ج ٦ ص ١٣٣
(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٢٦

والغـارة على آيل فسلم وغنم وكان فراغه فى أربعين يوماً سوى مقامه ومنقلبه راجعاً.(١)

ولعل من أعظم نصائح أبى بكر المباشرة نصيحته ليزيد بن أبى سفيان عندما وجهه الى الشام وقد جاء فيها " انى قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فأن أحسنت رددتك الى عملك وزدتك وان أسأت عزلتك فعليك بتقوى الله فأنه يرى من باطنك مثل الذى من ظاهرك . وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا اليه بعمله وقد وليتك عمل خالد (٢) فأياك وعيبة الجاهلية فأن الله يبغضها يبغض أهلها واذا قدمت الى جندك فأحسن صحبتهم وأبدأهم بالخير وعدهم اياه واذا وعظتهم فأوجز فأن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها

واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا تريهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم فى ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك واذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار وأكثر حرسك وبددهم فى عسكرك وأكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط واعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٧

(٢) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى . أبو سعيد . كان من أوائل من أسلم ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم . هاجر الى الحبشة وعاد الى المدينة سنة سبع للهجرة وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وفتح مكة وحنين والطائف وتبوك . كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم وأمره على صنعاء . خرج مجاهداً فشهد فتح أجنادين واستشهد فى مرج الصفر سنة ١٤ هـ .
انظر ابن سعد الطبقات ج ٤ ص ٦٧ - الاصابة ج ١ ص ٤٠٦ الاستيعاب ج ٢ ص ٤٢٠

أطول من الأخيرة فأنها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها ولا تخذلها مرفقاً . ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تتجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكشف بعلانيتهم ولا تجالس العباشين وجالس أهل الصدق والوفاء . واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول فأنه يقرب الفقر ويدفع النصر وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وماحبسوا أنفسهم له ».(١)

ان هذه الوصية تكشف عن عبقرية ادارية وعسكرية فذة وتشتمل على توجيهات وأسس تعتقد المدارس الادارية والعسكرية الحديثة أنها من بنات أفكارها .

وأول هذه التوجيهات هو اخطار أبوبكر رضى الله عنه ليزيد بأنه تحت الاختبار والتجربة فأن أحسن كوفىء وزيد له فى عمله والا عزل وهذا هو مبدأ الثواب والعقاب فى الادارة الحديثة .

٢ - أوصاه بتقوى الله عز وجل وحذره من عبيبة الجاهلية لان الله سبحانه وتعالى يبغضها ويبغض أهلها .

٣ - أوصاه بأن يحسن صحبة جنده وأن يبدأهم بالخير ويعدهم اياه لأن فى ذلك تأليف لقلوبهم ودعوة لهم للانقياد والطاعة .

٤ - عليه أن يوجز فى القول اذا خطب جنده وعلّل ذلك بأن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضاً .

٥ - أوصاه بأن يصلح نفسه حتى ينصلح له الناس وهذا هو مبدأ القدوة فى الادارة الحديثة .

٦ - أمره بأن يصلى الصلاة لوقتها وأن يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وذلك لأنها

---

(١) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٤٠٤ - ٤٠٥ وانظر كذلك ابن سماك العاملى - الذهرات المنشورة فى نكت الأخبار المأثورة ص ٦٠ - ٦١

عـــــاد الديـــن .

٧ - أوصاه بأن يكرم رسل أعدائه لأن ذلك من قيم الدين وأن يقلل لبثهم فـــــى معسكره حتى لا يطلعوا على نقاط الضعف فيه ولا يتركهم يتعرفون على جوانـــب خللـــه وأن ينزلهم فى موضع القوة من معسكره حتى يرهبهم ويفت فى عزائمهـــم وعليه أن يمنع جنوده من محادثتهم حتى لا يستفيد هؤلاء الأعداء من سقطـات كلام الجنود .

كما أوصاه بأن يتولى هو بنفسه أمر محادثتهم والاستماع منهم .

وأوصاه بألا يكون سره كعلانيته حتى لا يختلط أمره وهذه المبادىء العسكريـــــة جميعها يظنها الكثير من الناس أنها من ثمرات هذا العصر .

٨ - أوصاه عند طلب الاستشارة أن يصدق المستشار ولا يكتم عنه شىء حتى تأتـــى المشورة واضحة وضوح الحديث وصادقة صدقه .

٩ - أمره بالسهر ليلاً مع أصحابه حتى تأتيه الأخبار ، فالقائد المنعزل لا تأتيه الأخبار فى وقتها كما أن الذى يعتمد فى معلوماته على تقارير المرؤوسين يخطـــىء اذا كانت هذه التقارير خاطئة أما الذى يخالط الناس ويجالسهم فيمكن أن يميز بيـن صحيح الأخبار وسقيمها .

١٠ - أوصاه بأن يكثر من الحراسة وأن يفاجىء الحراس فى أماكن حراستهم ويراقبهـــم وأن يعاقب الغافل والمقصر منهم فى غير افراط كما أوصاه بأن يجعل الحراســـة ليلا بنظام النوبات وطالبه بأن يجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة لأنهـــا أيسرهما لقربها من النهار وكل ذلك تخوفاً من تسلل الأعداء الى معسكـــــر المسلمين .

١١ - أمره بمعاقبة المستحق دون خوف ولا اسراع وذلك لأن ترك المستحق من غيرمـــا عقوبة قد يغرى غيره بتكرار الخطأ كما أن العجلة فى العقوبة قد توقع فى الخطأ .

١٢ - أوصاه بعدم الغفلة عن أحوال معسكره حتى لا يفسده لأن ترك الحبل على الغارب

يؤدى الى عواقب وخيمة .

١٣ - أمره بعدم التجسس على عسكره حتى لا يفضحهم ويكشف أسرارهم وطالبه بأن يكتفى منهم بعلانيتهم .

١٤ - حذره من مجالسة العابثين لأن مجالستهم تذهب المهابة وأمره بمجالسة أهل الصدق والوفاء لأن فى مجالسه هؤلاء خير للاسلام . والمسلمين .

١٥ - أوصاه بعدم الخوف والجبن لأن القائد اذا جبن سرت عدوى جبنه الى الجنود

١٦ - حذره من الغلول لأنه كما قال يقرب الفقر ويبعد النصر .

١٧ - وأخيرا طلب اليه عدم التعرض للذين تفرغوا للعبادة فى الصوامع بهذا وقد زود أبوبكر رضى الله عنه يزيد بنصائح أخرى ذكرها يزيد حين قال : " قال لى أبو بكر حين بعثنى الى الشام : يا يزيد ان لك قرابة عساك تؤثرهم بالامارة وذلك أكبر ما أخاف عليك فأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : من ولى من أمور الناس شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة له بغير حق فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم ومن أعطى أحداً من مال أخيه محاباة له فعليه لعنة الله أو قال برئت منه ذمة الله . ان الله دعا الناس الى أن يؤمنوا بالله فيكونوا حمى الله فمن انتهك فى حمى الله شيئاً بغير حق فعليه لعنة الله أو قال : برئت منه ذمة الله عز وجل " (١) .

ومن نصائح أبى بكر الصديق وتوجيهاته المباشرة نصيحته لعمرو بن العاص عندما كان عاملاً على صدقات قضاعة وأراد السفر الى مقر عمله شيعه أبو بكر رضى الله عنه وأوصاه بقوله : " اتق الله فى السر والعلانية فأن من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا . فأن تقوى الله خير ما تواصى

---

(١) علاء الدين المتقى - كنز العمال - مصدر سابق ٥ ص ٦٦٥

به عباد الله.انك فى سبيل من سبل الله لا يسعك فيها الاذهان [١] والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم وعصمة أمركم فلاتن ولاتفتر [٢].

وهى كما نرى وصية جامعة فيها التذكير بتقوى الله عز وجل لأنها أساس كل عمل صالح . والتنبيه الى أن هذا العمل يعتبر فى سبيل الله . وأن الانسان لا يعذر بنسيانه ولا غفلته ولا تفريطه عما فيه قوام هذا الدين وحذره من الركون الى الراحة والاستسلام .

٢ - الكتابة الى الولاة والقادة :-

عندما أرسل أبوبكر رضى الله عنه قواده لقمع المرتدين ولفتح العراق والشام بعدت المسافة بينه وبينهم وكانت وسيلة الاتصال المتاحة بينهم وبينه هى الكتابة ولذلك نجد أن أبابكر رضى الله عنه كتب كثيراً من الكتب الى ولاته وقواده اشتملت على عدد من التوجيهات والنصائح وقد بدأ هذه الكتب بعهد وزع نسخه على قادته تضمن التوجيهات التالية :-

(١) أن يتقى القائد الله عز وجل مااستطاع فى أمره كله سره وعلانيته .

(٢) أن يجاهد من تولى ورجع عن الاسلام بعد أن يعزر اليهم ويدعوهم بدعوة الاسلام .

(٣) أن يقسم مايفئ الله عليه بين جيشه الا الخمس .

(٤) أن يمنع أصحابه من العجلة والفساد .

(٥) ألا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ماهم حتى لا يكونوا عيوناً عليه .

(٦) أن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى المسير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض وأن يستوصى بالمسلمين فى الصحبة ولين

---

(١) الاذهان هو النسيان

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٣٩٠

القول [١] .

ومن كتب أبى بكر رضى الله عنه ذات التوجيهات القيمة والنصائح السديدة ذلك الكتاب الذى بعث به الى خالد بن الوليد وهو يحارب المرتدين ووجهه فيه بالسير الى اليمامة لمحاربة مسيلمة الكذاب [٢] وقد جاء فيه :-

« بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان أما بعد . ياخالد فأنى قد أمرتك بالجد فى أمر الله والمجاهدة لمن تولى عن سبيل الله الى غيره ورجع عن دين الاسلام والهدى الى الضلالة والردى [٣] وعهدى اليك ياخالد أن تتقى الله وحده لا شريك له وعليك بالرفق والتأنى واياك ونخوة بنى المغيرة وسر نحو بنى حنيفة ومسيلمة الكذاب واعلم بأنك لم تلق قوماً يشبهون بنى حنيفة فى اليأس والشدة فأذا قدمت عليهم فلا تبدأهم بقتال حتى تدعوهم الى داعية الاسلام واحرص على صلاحهم فمن أجابك منهم فاقبل ذلك منه ومن أبى فاستعمل فيه السيف واعلم ياخالد بأنك انما تقاتل قوماً كفاراً بالله والرسول محمد صلى الله عليه وسلم فأذا عزمت على الحرب فباشرها بنفسك ولا تتكل على غيرك وصف صفوفك واحكم بعينك واجزم على أمرك واجعل على ميمنتك رجلاً ترضاه وعلى ميسرتك مثله واجعل على خيلك رجلاً عالماً صابرا واستشر من معك من أكابر المسلمين أصحاب رسول الله عليه وسلم فأن الله

---

(١) انظر الطبرى ج ٣ ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٢) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفى الوائلى . كنيته أبو ثمامة يعتبر من المعمرين ولد ونشأ باليمامة . جاء الى المدينة فى وفد بنى حنيفة ولكنه تخلف عنهم خارج المدينة وعندما رجع الى اليمامة ادعى النبوة . لما تولى أبوبكر أرسل اليه خالد بن الوليد فقضى على فتنته حيث قتل ومن معه باليمامة سنة ١١ هـ . انظر الاستيعاب ج ٣ ص ١٥١

(٣) جاء هذا الامر فى العهد السابق - انظر الطبرى ج ٣ ص ٢٥١ - ٢٥٢

تبارك وتعالى موفقك بمشورتهم واعرف للمهاجرين والأنصار حقهم وفضلهم ولا تكسل ولا تفشل وأعد السيف للسيف والرمح للرمح والسهم للسهم واستوصى بمن معك من المسلمين خيراً ولين الكلام وأحسن الصحبة واحفظ وصية نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى الأنصار خاصة أن تحسن الى محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم وقل لا حول ولا قوة الا بالله "(١) .

والكتاب كما هو واضح ملىء بالنصائح والتوجيهات التى التزم بها خالد ابن الوليد رضى الله عنه وكانت بعد توفيق الله سبحانه وتعال سبباً من أسباب النصر.

ففى أول الكتاب ذكره بمهمته وهى الجد فى محاربة المرتدين كما عهد اليه أن يتقى الله ويلزم الرفق والتأنى وحذره من نخوة من بنى المغيرة ثم أمره بالمسير الى مسيلمة. وحذره من شدة بأس بنى حنيفة وذلك حتى لا يستهين بعدوه. وأمره ألا يبدأهم بقتال حتى يدعوهم الى الاسلام فأن أجابوه كف عنهم والا أعمل فيهم السيف.

ثم وجهه توجيهات عسكرية تتعلق بادارة المعركة حيث طلب منه أن يباشر القيادة بنفسه ولا يدعها لغيره وأن يصف صفوفه ويجعل على ميمنته رجلاً يرضاه وكذلك على الميسرة . كما طلب اليه أن يجعل على الخيل رجلاً عالماً بفنون القتال وصابراً ودعاه الى استشارة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يعرف للمهاجرين والأنصار حقهم وفضلهم وحذره من الكسل والفشل كما دعاه الى أن يعد للحرب عدتها فيعد لكل سلاح ما يماثله.

وطلب اليه أن يستوصى خيراً بمن معه من المسلمين وأن يلين لهم الكلام ويحسن صحبتهم وكرر أمره اليه بالاحسان الى الأنصار كما أوصاه بذكر الله .

وبعد النصر كتب خالد بن الوليد الى أبى بكر رضى الله عنه كتاباً أعلمه فيه بالنصر وأخبره بأنه قد صالح القوم على شىء من الذهب والفضة وعلى ثلث الكراع وربع

---

(١) انظر ابن أعثم - كتاب الفتوح - مصدر سابق ج ١ ص ٢٨.

السبى .(١)

فرد عليه أبوبكر بكتاب تضمن بعض التوجيهات جاء فيه "أما بعد فقد قرأت كتابك وما ذكرت فيه من صلح القوم فأتمم للقوم ماصالحتهم عليه ولا تغدر واجمع الغنائم والسبى وماأفاء الله به عليك من مال بنى حنيفة فأخرج من ذلك الخمس ووجه به الينا ليقسم فيمن يحضرننا من المسلمين . وارفع الى كل ذى حق حقه والسلام"(٢)

بعد ذلك أمر الخليفة خالداً بالذهاب الى العراق وكتب اليه كتاباً بأن يبدأ بفتح الأبلة (٣) وكان المثنى بن حارثة الشيبانى قد سيق خالداً بجيشه الى العراق فكتب اليه الخليفة كتاباً احتوى على بعض التعليمات وقد جاء فيه :-

" اما بعد . . يامثنى فأنى وجهت اليك بخالد بن الوليد فاستقبله بجميع من معك من قومك وعشيرتك وساعده وآزره وكانفه ولا تعصين له أمراً فأنه من الذين وصفهم الله فى كتابه "أشداء الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا " (٤) فانظر ماأقام معك بالعراق فهو الأمير عليك فأذا شاخص فأنت على ماكنت عليه " (٥) .

وواضح من هذا الكتاب أن أبا بكر رضى الله عنه كان حريصاً الا يحدث أى احتكاك بين قادة الفتح فذكر للمثنى فضل خالد وصفاته وطلب اليه أن تكون القيادة لخالد مادام معاً فأذا ذهب خالد فالقيادة للمثنى كما كانت .

ومن كتب قادة الفتح التى تظهر حرصهم على ابلاغ الخليفة فى المدينة بتطورات الأوضاع عندهم ويطلبون فيها من الخليفة رأيه وتوجيهه ذلك الخطاب الذى بعثه

---

(١) انظر المصدر السابق ج ١ ص ٤١

(٢) د .محمد حميد الله - مجموع الوثائق السياسية - مرجع سابق ص ٢٩٧ نقلاً عن كتاب الردة للواقدى ص ٩٥

(٣) انظر الطبرى ج ٣ ص ٣٤٣

(٤) الفتح اية ٢٨

(٥) د .محمد حميد الله - مجموعة الوثائق السياسية ص ٣١٥ نقلاً عن كتاب الردة للواقدى ص ١٧٠

أبو عبيدة بن الجراح من الشام وجاء فيه :-

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامر بن الجراح أما بعد فأنا نسأل الله عز وجل أن يعز الاسلام وأهله عزًا كثيرًا وأن يفتح للمسلمين فتحاً مبيناً انى أخبر الخليفة أن هرقل ملك الروم قد تنحى من بين أيدينا وترك مدينة يقال لها أنطاكية (١) . وقد بعث الى أهل مملكته فحشرهم الى ماقبله وقد اجتمع اليه منهم خلق كثير على الصعب والذلول وهم يزيدون على ثمانين ألفاً سوى مافى سائر المدن بالشام من الخيل والجنود وقد أحببت أن أعلمك لترى فيه رأيك والسلام" . (٢)

فرد الخليفة على أبى عبيدة بكتاب أشار فيه الى أن نزول هرقل وأصحابه بأنطاكية بعد هزيمة له وفتح للمسلمين وأما جمعهم الجموع فذلك ماكان يتوقعه المسلمون ويعلمونه وذكره بأن من معه من المسلمين بحمد الله رجال يحبون الموت كحب الحياة وطلب منه ألا يستوحش من قلة أصحابه لأن الرجل الواحد من المسلمين يعدل ألفاً من الكافرين ثم وجهه بأن يباشر الأمر بنفسه وأن يبشر بالنصر ووعده بأنه سيمده بالخيل بعد الخيل والجنود بعد الجنود حتى يكتفى ان شاء الله تعالى .

وأشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أبى بكر بأن يكتب كتاباً الى قادة الفتوح الآخرين يضمنه هذه المعانى والتوجيهات التى ضمنها فى ردة الى أبى عبيده فكتب لهم أبو بكر خطاباً بمثل ذلك (٣) .

أما عن توجيهات أبى بكر رضى الله عنه لعمال الصدقات فقد سبق أن ذكرت فى فى الفصل الأول من هذا الباب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد كتب كتاباً الى

---

(١) أنطاكية قصبة التثغور الشامية وهى من أعيان البلاد وأمهاتها بينها وبين حلب يوم وليلة . انظر ياقوت - معجم البلدان - مصدر سابق ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) ابن أعثم - كتاب الفتوح - مصدر سابق ج ١ ص ٨٥

(٣) انظر المصدر السابق ج ١ ص ٨٦

عمال الصدقات بين لهم فيه مقادير الزكاة وأنواعها ولكنه توفى قبل أن يخرجه اليهم فعمل به أبو بكر رضى الله عنه وأرسل لكل عامل من عمال الصدقات نسخة من هذا الكتاب (١) .

هذا وقد كتب أبوبكر رضى الله عنه كتاباً فى شأن جمع الصدقات الى عامله على البحرين أنس بن مالك (٢) وختمه بخاتم النبى صلى الله عليه وسلم وذكر فيه مقادير الصدقات وأنواعها ومايجب على المصدق أن يقوم به ومايجب عليه أن ينتهى عنه (٣) .

ان المتبع للنجاحات العظيمة التى تحققت فى خلافة الصديق رضى الله عنه والتى اذا ماقيست بالمدة الزمنية القصيرة التى هى عمر خلافته لاعتبرت من المعجزات انما تعود فى الحقيقة الى توجيهات القيادة ومتابعتها واهتمامها بالرقابة السابقة والتى تتمثل فى تبصير المسئول بحدود مسئولياته وصلاحياته ثم توجيه النصائح والتعليمات التى تعينه فى تحقيق الأهداف المطلوبة .

ولما كان أولئك القادة والحكام يعتبرون أنفسهم جنوداً عليهم واجب الطاعة للخليفة فقد حولوا هذه النصائح والتوجيهات الى أعمال أصبحت معجزة للتاريخ والأجيال .

---

(١) انظر أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى - السنن الكبرى - مصدر سابق ٤ ص ٨٨ - ٩١

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد البخارى الخزرجى الأنصارى أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه - خدم النبى ولازمه منذ هجرته الى أن قبض رحل الى الشام ومنها الى البصرة حيث توفى بها سنة ٩٣هـ . يعتبر من الأئمة فى الحديث والافتاء .
انظر ابن سعد - الطبقات ج ٧ ص ١٠ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٦٦

(٣) انظر البيهقى - السنن الكبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ٨٤ - ٨٥

المبحث الثالث

الاشراف والتوجيه فى عهد عمر :-

اهتم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه اهتماماً شديداً بتوجيه ولاته وقواده وقضاته وتبصيرهم بالصواب الواجب اتباعه وذلك فى وقت اتسعت فيه أطراف الدولة الاسلامية وبعدت عن المركز وكان هؤلاء القادة والولاة والقضاة محتاجون الى معرفة رأى قيادتهم فى كثير من الأمور كما كانوا محتاجين الى توجيهات هذه القيادة وارشادها . (١)

وكانت وسائل هذه التوجيه متعددة منها الكتابة والمشافهة والمؤتمرات الجامعة فى الحج والعهود التى تكتب لهم عند اختيارهم لمهماتهم . (٢)

فقد جاء فى كنز العمال أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا بعث عماله شرط عليهم : "الا تركبوا برزوناً ولا تأكلوا نقياً ولا تلبسوا رقيقاً ولا تقفلوا أبوابكم دون حوائج الناس فأن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم فأذا أراد أن يرجع قال : "انى لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولكنى بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسموا فيهم فيئهم وتحكموا بينهم بالعدل فأذا أشكل عليكم شيء فارفعوه الىّ ألا فلاتضربوا العرب فتذلوهم ولا تجمروها فتفتنوها ولا تغلوا عليها فتحرموها" (٣)

فهنا نجد أن الخليفة قد اشترط على عماله ألا يفعلوا أشياء معينة مثل ركوب البرزون ولبس الرقيق وأكل النقى واغلاق الأبواب دون حوائج الناس فأن فعلوا هذه

---

(١) انظر وقائع ندوة النظم الاسلامية ج ١ ص ٢٥٦

(٢) انظر د. الاغبش - السياسة الادارية - مرجع سابق ص ٢٢٤ - ٢٣٢

(٣) كنز العمال ج ٥ ص ٦٨٨ وابن الجوزى - مناقب عمر ص ١١٤ .

الأشياء استحقوا العقاب. وليس المقصود من هذه الأشياء منعهم من التمتع بالحلال الطيب ولكن المقصود هو ألا يعلوا ويتكبروا على رعيتهم وينعزلوا عنها .

وحدّد الخليفة لعماله مهامهم فى اقامة الصلاة وتقسيم الفىء والعدل فى الحكم وطلب منهم اذا أشكل عليهم شىء أن يرفعوه اليه وسيقوم هو ببحثه مع مجلس شوراه ثم يرد عليهم بما يرى . وحذرهم من ضرب العرب حتى لا يذلوهم لأن فى عز العرب عز لهذا الدين وكان عمر كثيراً مايبعث العمال الى عدم ضرب المسلمين بغير وجه حق وينتهز كل سانحة ليذكرهم بواجباتهم الأساسية فقد خطب رضى الله عنه الناس مرة فقال : "أيها الناس انى والله ماأرسل اليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم انما أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شىء غير ذلك فليرفعه الىّ فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه . فوثب عمرو بن العاص فقال : ياأمير المؤمنين أرأيتك ان كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته لتقصنه منه ؟ قال : أى والذى نفس عمر بيده اذن لأقصنه منه وكيف لا أقصنه منه وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم "(١)

وكان رضى الله عنه يشدد على ولاته وعماله فى أمر الصلاة لأن أمرها أعظم من أن يحاط به فاعتناء ولاة الأمر بها يجب أن يكون فوق اعتنائهم بجميع الأعمال ولذلك كان كثيراً مايكتب الى ولاته وعماله : "ان أهم أمركم عندى الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها أشد اضاعة" .(٢)

واهتمامه رضى الله عنه بالصلاة انما يرجع الى انها عماد الدين كما جاء فى الأثر .(٣)

---

(١) ابن الأثير الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٦ ، الماوردى - نصيحة الملوك ص ١٩٥
(٢) ابن تيمية - الحسبة فى الاسلام ص ٩
(٣) حديث الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين . انظر مسند أحمد ج ٥ ص ٢٣١ - ٢٣٧

ومن حسن توجيهه لولاته أنه بلغه أن عمالاً له اشتكوا من رعيتهم فأمرهم أن يوافوه فلما أتوا قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : "أيتها الرعية ان لنا عليكم حقاً النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير . أيها الرعاة ان للرعية عليكم حقاً . اعلموا أنه لا حلم الى الله أحب ولا أعم نفعاً من حلم امام ورفقه، اعلموا أنه من يأخذ بالعافية ممن بين ظهرانيه يرزق العافية ممن هو دونه "(١)

فالخليفة الراشد رضى الله عنه قد بين للطرفين - الرعاة والرعية - حقوقهم وواجباتهم حتى لا يشتكى بعضهم من بعض فواجب الرعية النصيحة والمعاونة على الخير وواجب الرعاة الحلم والرفق بالرعية .

وكان رضوان الله عليه دائم التوجيه لعماله فقد عين فى عام الرمادة أمراء على نواحى المدينة لتفقد الناس الذين اجتمعوا حولها طلباً للرزق لشدة ما أصابهم من القحط والجوع فكان هؤلاء الأمراء يشرفون على تقسيم الطعام والأدام على الناس واذا أمسوا اجتمعوا عنده فيخبرونه بكل ما كانوا فيه ويوجههم .(٢)

وهذا الاجتماع اليومى والتوجيه المستمر انما كان بسبب طارئة المجاعة التى كتب بسببها عمر رضى الله عنه الى يزيد بن أبى سفيان والى أبى موسى الأشعرى طالباً الغوث فبعث اليه يزيد غيراً أولها بالمدينة وآخرها بالشام . أما أبو موسى فقد كتب اليه : "ياأمير المؤمنين ان الخلق لا يسعهم الا الخالق فلو أنك كتبت فى الأمصار وواعدتهم يوماً فأمرتهم فخرجوا فاستسقوا ودعوا فأخذ برأيه فخرج الناس فاستسقوا فسقوا .(٣)

---

(١) ابن الجوزى - مناقب عمر بن الخطاب ص١١٧ ، ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة ج ٢ ، ص ٧٧٤ .

(٢) انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١١٥

(٣) انظر ابن شبه - تاريخ المدينة المنورة ج ٢ ص ٧٤٣

وكان عمر كثيراً مايكتب الى ولاته مبيناً لهم بعض الأمور التى قد تحصل لهم من واقع خبرته هو. فقد روى أن رجلاً كان يهدى الى عمر بن الخطاب كل سنة فخذ جذور فخاصم الى عمر فقال : ياأمير المؤمنين أقضى بيننا قضاءاً فصلاً كما يفصل الفخذ من الجذور فكتب عمر الى عماله : " لا تقبلوا الهدية فانها رشوة" (١) .

فقد أدرك عمر من واقع خبرته خطورة الهدايا الى الحكام وأثرها على العدالة فحذر عماله من أخذها .

هذا بعض ماورد فى توجيهه العام لولاته وانما كان يخص بعض ولاته ببعض التوجيهات والنصائح فمن ذلك توجيهه الى أبى موسى الأشعرى ألا يؤخر عمل اليوم الى الغد فتدال عليه الأعمال فتضيع. (٢)

وهذا التوجيه ماتزال الادارات الى يومنا هذا ترفعه كشعار حتى لا تضيع مصالح الناس بسبب اهمال الموظفين .

وكان رضوان الله عليه يعلم عماله كل شئ حتى طريقة دخول الناس عليهم فقد كتب الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وهو بالبصرة :"- بلغنى أنك تأذن للناس جماً غفيراً فأذا جاءك كتابى فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين فأذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة.." (٣)

فأبو موسى رضى الله عنه كان يأذن للناس بالدخول عليه جمعاً واحداً دون تمييز فوجهه عمر رضى الله عنه أن يأذن أولاً لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى وأن يعرف لهم مكانتهم لأن فى تقديرهم تقدير للشرف والقرآن والدين وفى قربهم من مجلس الأمير يكون كثير من الخير والبركة وحسن المشورة ثم أمره بعد ذلك أن يأذن لعامة الناس.

---

(١) كنز العمال ج ٥ ص ٨٢٣
(٢) انظر ابن الجوزى - مناقب عمر ص ١٢٩
(٣) المصدر السابق ص ١٣٠ .

كما حثه فى خطاب آخر الى اكرام وجوه الناس فقد ذكر الطبرى أن عمر رضى الله كتب الى أبى موسى : "أنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم فأكرم من قبلك من وجوه الناس وبحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف فى الحكم والقسم . "(١)

ومن أجمل ماخص به عمر بن الخطاب عامله أبى موسى الأشعرى من ارشاد وتوجيه ونصائح ضمنها فى خطاب جاء فيه : "أما بعد فأن للناس نفرة من سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى واياك فأقم الحدود ولو ساعة من النهار واذا حضر أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فأن الدنيا تنفد والآخرة تبقى . وأخف الفسّاق واجعلهم يدًا يدًا ورجلاً رجلاً - عد مرضى المسلمين واحضر جنائزهم وافتح بابك وباشر أمورهم بنفسك فأنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً وقد بلغنى أنه نشأ لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فأياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب فلم يكن لها هم الا السمن وانما حتفها فى السمن واعلم أن العامل اذا زاغ زاغت رعيته وأشقى الناس من شقيت به رعيته"(٢) .

هذا الكتاب يتضمن عددًا من التوجيهات منها تذكيره باقامة الحدود وايثار الآخرة على الدنيا واخافة الفساق وقمعهم كما أمره بأن يعود المرضى من المسلمين ويحضر جنائزهم وأن يفتح لهم بابه.وتضمن الكتاب لفت نظر للوالى بألا يتميز على المسلمين فى أكل أو شرب أو هيئة.وفيه أيضا تحذير من الركون للدنيا.وكان أبو موسى رضى الله عنه كثيرًا مايقول لرعيته : - ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثنى أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم وأنظف طرقكم .(٣)

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ٢٠٣ - ابن الجوزى - مناقب عمر بن الخطاب ص ١٣٤ .
(٢) كنز العمال ج ٥ ص ٦٩٦ وعيون الاخبار ج ١ ص ١١
(٣) انظر كنز العمال ج ٥ ص ٦٩٣

ومن توجيهاته رضى الله عنه أنه كتب الى بعض عماله أن يحاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة لأن من حاسب نفسه قبل فوات الأوان استدرك ورجع الى الحق أما من ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره الى الندامة والحسرة. (١)

ومن كتبه التى كتبها الى واليه على الشام معاوية بن أبى سفيان : "أما بعد فالزم الحق يبين لك، الحق منال أهل الحق، يوم لا يقضى الا بالحق والسلام". (٢)

والكتاب على قصره يشتمل على توجيه عظيم هو اتباع الحق والتزامه لأن الوالى اذا التزم الحق والصواب فى جميع أمره أبان الله ما أشكل عليه من أمر ولعل ذلك تفسير قول الله سبحانه وتعالى " واتقوا الله ويعلمكم الله" (٣)

وكان عمر رضى الله عنه لا يرضى لنفسه أن يتميز عن رعيته كما أنه لا يرضى لولاته وعماله أن يمتازوا هم كذلك على رعيتهم فقد ذكر أن عتبة بن فرقد (٤) لما جاء أذربيجان وجد نوعًا من الحلوى تصنع من التمر والسمن فلما تذوقها ووجدها حلوة أرسل منها سفطين عظيمين الى الخليفة فى المدينة فلما أن تذوقها عمر سأل الرسول أكل المسلمين يشبعون من هذا فى رحالهم ؟ قال الرسول : لا. فقال عمر : أما لا فارددها وكتب الى عتبة :- "أما بعد فأنه ليس من كدك ولا كد أمك. أشبع المسلمين مما تشبع منه فى رحلك. (٥) وكان فى هذا الرد أبلغ توجيه لهذا الوالى.

---

(١) انظر ابن الجوزى - مناقب عمر ص ١٣٠

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢

(٣) البقرة الاية ٢٨٢

(٤) عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك السهمى . أبوعبد الله. له صحبة ورواية وكان شريفا . شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم خيبر. كان أميرًا لعمر ابن الخطاب على بعض فتوح العراق . سكن الكوفة .
انظر اسد الغابة ج ٣ ص ٢٦٣ - ٢٦٤

(٥) انظر د . سليمان الطماوى - عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة دراسة مقارنة - دار الفكر العربى - الطبعة الثانية ١٩٧٦م ص ٦٩

وكان رضى الله عنه يهتم اهتماماً خاصاً بأموال المسلمين ويوجه عماله بعدم التصرف فيها بصورة غير مشروعة فقد كان دائماً يقول لعماله :- " قد أنزلتكم من هذا المال منزلة وصى اليتيم من كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف" (١) .

وأكد هذا الأمر لعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما حين بعثهما الى الكوفة وذلك حين قال لهما :- "انى واياكم فى مال الله تعالى كوالى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف " (٢) .

ومن توجيهاته فى أمر المال أنه كتب الى حذيفة رضى الله عنه أن أعط الناس أعطياتهم وأرزاقهم فكتب اليه : "انا قد فعلنا وبقى شىء كثير فكتب اليه عمر : انه فيئهم الذى أفاء الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر أقسمه بينهم " (٣)

وكتب عمر كذلك الى عثمان بن حنيف مع جرير بن عبد الله البجلى : "أما بعد فأقطع جرير بن عبد الله قدر مايقوته لا وكس ولا شطط . فكتب اليه عثمان بن حنيف رضى الله عنه : ان جريراً قدم على بكتاب منك نقطعه مايقوته فكرهت أن أمضى ذلك حتى أراجعك فيه فكتب اليه عمر : صدق جرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت فى مؤامرتى . (٤)

كما كتب الى أبى موسى الأشعرى : ان قد بعثت اليك مع غاضرة بن سهمرة العنبرى بصحف فاذا أتاك لكذا وكذا فأعطه مائتى درهم وان جاءك بعد ذلك فلا تعطه شيئاً واكتب الىّ فى أى يوم قدم عليك . (٥)

---

(١) الماوردى - نصيحة الملوك ص ٢٤٦
(٢) ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة ج ٢ ص ٦٩٤
(٣) السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ٢٣٢
(٤) المقريزى - الخطط مؤسسة دار التحرير للنشر ج ١ ص ١٧٨
(٥) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ١٣٤

فهذه النصوص تدل على حرص سلف هذه الأمة وتدقيقهم فيما يخص المال العام فجرير ابن عبد الله وان كان من خيرة الصحابة الا أن عثمان بن حنيف لم ينفذ له ما أراد حتى راجع الخليفة فى ذلك فأكد له الخليفة الأمر وأثنى على مراجعته فى ذلك كما أنه حدّد لابى موسى تاريخاً معيناً لدفع الأموال لفاخرة بن سمرة فأذا جاء بعد ذلك فلايعطى شىء . وطلب منه أن يكتب له تاريخ قدومه عليه وهذا زيادة فى الحرص والتوثيق .

ومن توجيهاته الخاصة لمعاوية رضى الله عنه أنه كتب اليه : "أما بعد فأنك لم تؤدب رعيتك بمثل أن تبدأهم بالغلظة والشدة على الريبة قربوا أوبعدوا فأن اللين بعد الشدة أمتع للرعية وأحشد لها وأن الصفح بعد العقوبة أرغب لأهل الحزم "(١)

وكان واليه على مصر عمرو بن العاص قد كتب اليه يشكو مايلقى من أهل مصر فوجهه الخليفة بما يأتى " كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك . ورفع الىّ عنك أنك تتكىء فى مجلسك فأذا جلست فكن كسائر الناس ولا تتكىء فكتب اليه عمرو : أفعل ان شاء الله "(٢)

فالخليفة اذن يرى أن السبب الأساسى فى شكاية الوالى من رعيته يكمن فى تميز الوالى فى مجلسه عن بقية الرعية . ومما يشبه هذا التوجيه ما جاء فى كنز العمال قال : " كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص أما بعد فأنه بلغنى أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب الناس . أوما بحسبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عقبيك عزمت عليك لما كسرته "(٣)

---

(١) ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة ج ٢ ص ٧٧٥
(٢) انظر على ومناجى الطنطاوى - أخبار عمر وأخبار ابن عمر ص ٢٤٧ .
(٣) كنز العمال ج ٥ ص ٧٧٠

وكان عمرو بن العاص قد كتب اليه : انا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع فكتب اليه عمر : أنى لرجل بالحجاز أن تكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين . (١)

فتوجيهات عمر رضى الله عنه لا تقتصر على جانب معين من الجوانب الادارية أو المالية وانما تمتد لتشمل الجوانب الاجتماعية كذلك ومن هذه التوجيهات الاجتماعية أن خارجة بن حذافة (٢) كان أول من بنى غرفة بمصر فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب الى عمرو بن العاص: "سلام أما بعد فأنه بلغنى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة ولقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه فأذا أتاك كتابى هذا فاهدمها ان شاء الله والسلام". (٣)

وكانت هذه الغرفة قد بنيت على سطح المنزل بحيث يكشف من يكون بها منازل الجيران الأخرى ولما كان يترتب على هذا الأمر ضرر وجب على الادارة الاسلامية أن تزيل هذا الضرر فكان هذا التوجيه من الخليفة الى واليه بهدم هذه الغرفة .

وكانت المراجعات والمكاتبات بين الخليفة وعماله تحمل الكثير من التعليمات والتوجيهات فمن ذلك أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال : اكتب فى ذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر رضى الله عنه : سله لم أعطاك به ما أعطاك؟ وهى لا تزرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها . فسأله فقال : انا لنجد صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر : فكتب اليه عمر : انا لا نعلم غراس الجنة الا للمؤمنين .

---

(١) انظر أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها مصدر سابق ص ٦٩

(٢) خارجة بن حذافة بن غانم القرشى العدوى أحد فرسان قريش شهد فتح مصر وكان قاضياً لعمرو بن العاص كما كان على شرطه . قتله أحد الخوارج ظناً منه أنه عمرو بن العاص. انظر أسد الغابة ج ١ ص ٥٦٠ - ٥٦١

(٣) انظر ابن عبد الحكم - فتوح مصر واخبارها ص ٧٧

فاقبر بها من مات من قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء .(١)

ومن توجيهاته لبعض عماله وقد طلب منه أن يعظه : "أوصيك بتقوى الله ودعوتين ترجو احداهما وتخاف الأخرى دعوة لهفان تعينه بالشيء فيدعو لك ودعوة مظلوم وهي أوشك صعوداً الى الله وأسرع كرة إن الله أمر بالطاعة وأعان عليها ولم يجعل في تركها عذراً ونهى عن المعصية وأغنى بها ولم يجعل في ركوبها حجة "(٢) .

وظل عمر رضي الله عنه الى آخر يوم من حياته يمارس التوجيه واسداء النصح فمن ذلك الوصية الجامعة التي تركها للخليفة من بعده والتي تضمنت عدداً من التوجيهات وبالرغم من أن هذه التوجيهات غير ملزمة للخليفة من بعده الا أنها تؤكد قناعة عمر رضي الله عنه بأهمية التوجيه في مجال الادارة وممارسته له . ومن تلك التوجيهات :-

(١) أن يتقي الله وحده لا شريك له .

(٢) أن يحسن الى الأنصار فيتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم .

(٣) أوصاه بأهل البادية وأهل الأمصار وأن يأخذ الأموال من الأغنياء فيردها على الفقراء .

(٤) وأن يهتم بأهل الذمة ولا يكلفهم فوق طاقتهم .

(٥) وأن يعدل في الرعية ويتفرغ لحوائجهم وألا يؤثر غنيهم على فقيرهم .

(٦) أمره أن يشتد في أمر الله وفي حدوده على قريب الناس وبعيدهم .

(٧) حذره من الأثرة ومن المحاباة .

(٨) طلب منه أن يترحم على جماعة المسلمين فيجل كبيرهم ويرحم صغيرهم ويوقر عالمهم وألا يضربهم فيذلوا ولا يستأثر عليهم بالفيء فيغضبهم ولا يحرمهم عطاياهم عند محلها فيفقرهم وألا يجمرهم في البعوث فيقطع نسلهم وألا يجعل المال دولة بين الأغنياء وأن لا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم .(٣)

---

(١) انظر ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٦

(٢) الماوردى - نصيحة الملوك - مرجع سابق ص ٢٢٩

(٣) انظر الجاحظ - البيان والتبيين ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧

تلك كانت بعضاً من توجيهاته رضى الله عنه الى الولاة والعمال أما توجيهاته الى القادة العسكريين فأن المصادر التى كتبت عن التاريخ العسكرى الاسلامى والفتوح الاسلامية ومصادر تاريخ صدر الاسلام بصفة عامة مليئة بمراسلات عمر رضى الله عنه ومكاتباته الى قواده وتوجيهه لهم ومراجعات أولئك القادة وكتاباتهم الى الخليفة يستوضحونه بعض الأمور أو يطلعونه على أحوالهم وأخبار انتصاراتهم أو يطلبون المدد والعتاد لمواصلة الجهاد (١) .

وكمثال على توجيهاته الواردة فى تلك المصادر يمكن أن نأخذ الرسالة التى بعث بها الى سعد بن أبى وقاص حين وجهه لفتح القادسية فقد اشتملت تلك الرسالة على التوجيهات الآتية :-

١ - أمره ومن معه بتقوى الله على كل حال لأن التقوى هى أفضل العدة على العدو

٢ - وأن يكونوا أشد احتراساً من المعاصى من عدوهم لأن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم يكن لهم قوة بعدوهم لأن عددهم ليس كعدد عدوهم وعدتهم ليست كعدة عدوهم فاذا استووا فى المعصية كانت الغلبة لعدوهم .

٣ - أمره أن يترفق بالمسلمين فى مسيرهم ولا يجشمهم مسيراً يتبعهم ولا يقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم لأنهم سائرون الى عدو مقيم .

٤ - أمره كذلك أن يقيم بمن معه فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يجمون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم .

---

(١) أنظر على سبيل المثال الطبرى ج ٣ ص ٤١٥ وابن الأثير الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٤٤٨ .

٥ - أمره أن ينحى منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابه الا من يثق هو بدينه ولا يرزأ أحداً من أهل هذه القرى شيئاً فأن لهم حرمة وذمة .

٦ - طلب منه الا يستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح .

٧ - أمره اذا وطأ أدنى أرض العدو أن يذكى العيون وأن لا يخفى أمرهم عليه كما أشار عليه بأن يكون عنده من العرب أو من أهل الارض من يطمئن الى نصحه لأن الكذوب لا ينفعه خبره وان صدقه فى بعضه .

٨ - أمره أن يكثر من الطلائع والسرايا عند دنوه من أرض العدو .

٩ - طلب منه أن ينتقى للطلائع أهل الرأى والبأس وأن يتخير لهم سوابق الخيل وأن يجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد والصبر والجلاد وألا يخص بها أحداً يهوى فيضيع من رأيه وأمره أكثر مما حابى به أهل خاصته .

١٠ - وألا يبعث طليعة ولا سرية فى وجه يتخوف عليها فيه ضيعة ونكاية .

١١ - أمره اذا عاين العدو أن يضم اليه أقاصيه وطلائعه وسراياه وأن يجمع اليه مكيدته وقوته وألا يعاجل عدوه المناجزة حتى يبصر عورة عدوه ومقاتله . وأمره أن يعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فيصنع بعدوه كما يصنع عدوه به . وأمره أن يذكى حراسه على عسكره وألا يؤت بأسير ليس له عهد الا ضرب عنقه يرهب بذلك عدوه وعدو الله .(١)

فهذه الوصايا تكشف عن ادراك عميق بفن الحرب كما تدل على اهتمام الخليفة رضوان الله عليه بحفظ أرواح المسلمين مع السعى لتحقيق الانتصار على الأعداء .

ومما يدل على أن الخليفة كان حريصاً على أن يلتزم القادة بروح الشريعة ويراعوا أحكام الحلال والحرام أنه بلغه أن خالد بن الوليد رضى الله عنه دخل الحمام وتدلك

---

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج٧ ص ٣٧ - ٣٨ .

بعصفر معجون بخمر فكتب اليه: "بلغني أنك تدلكت بخمر وأن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه كما حرم ظاهر الأثم وباطنه وقد حرم مس الخمر الا أن تغسل كما حرم شربها فلا تمسوها أجسادكم فأنها نجس وان فعلتم فلاتعودوا" (١)

أما عن توجيهه رضى الله عنه لقضاته فأن رسالته المشهورة الى أبى موسى الأشعرى فى القضاء تعتبر مثالاً فريداً فى توجيه القضاة.

فهذه الرسالة القيمة التى تدرس مادتها اليوم فى الجامعات اشتملت على ثلاثة أشياء يحتاجها القضاة: (٢)

١ - بيان وتوضيح لماهية القضاء وواجب القضاة.

٢ - تنبيهات على أشياء يجب أن يتحلى بها القاضى مثل مساواة الناس فى مجلسه ووجهه وأن يراجع قضاءه ويرجع الى الحق متى ماتضح له.

وأن يفهم الأشياء التى ليست فيها نصوص ويقيس الأشباه بالنظائر وأن يجعل للمتخاصمين أمداً لاحضار بيناتهم وشهودهم.

٣ - تحذيرات يجب أن يتجنبها القاضى مثل القلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق.

ومن توجيهات عمر رضى الله عنه لأبى موسى فى مجال القضاء كذلك أنه كتب اليه:

" لا تبيعن ولا تبتاعن ولا تشارين ولا تضارين ولا ترتشى فى الحكم ولا تحكم بين اثنين وأنت غضبان " (٣).

ان كل ماتقدم من شواهد ونصوص يقف دليلاً قاطعاً على أهمية التوجيه والارشاد الادارى عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

---

(١) انظر الطبرى ج ٤ ص ٦٦

(٢) انظر ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة ج ٢ ص ٧٧٥ والجاحظ - البيان والتبين ج ٢ ص ٤٩ وابن عبد ربه - العقد الفريد ج ١ ص ٨٦ - ٨٨

(٣) كنز العمال ج ٥ ص ٧٧٦

المبحث الرابع

توجيه عثمان لولاته وعماله

لعل أول مايلاحظه الباحث فى هذا الجانب هو قلة المادة العلمية المتعلقة بالاشراف والتوجيه فى هذه الفترة فى مصادر التاريخ الاسلامى ويعزى بعض الكتّاب هذا الأمر الى أن عثمان رضى الله عنه كان شيخاً كبيراً ولا تسمح له سنه بمباشرة بعض الأمور على وجهها الأتم . (١)

ولكن هذا القول فى رأيى ليس صحيحاً على اطلاقه . صحيح أن عثمان رضى الله عنه كان متقدماً فى السن ولكن تقدم السن هذا لم يحل دون قيامه بمهامه التى كلف بها ، فكان يولى العمال ويحاسبهم ويعزلهم ويتقبل شكايات الناس منهم . اضافة الى أن الخلافة كان لها جهازها الادارى المتكامل فللخليفة كتبته وموظفيه واذا أراد الخليفة أمراً فانه يأمر هؤلاء الموظفين باعداده وتجهيزه ويقوم هو بالاشراف عليه ومتابعته . ثم ان ورود بعض الأمثلة التى تتناول موضوع التوجيه فى كتب المصادر يدل على أن الخليفة كان يباشر هذه المرحلة من مراحل الرقابة . ولكن فى ظنى أن قلة هذه المادة فى كتب المصادر فى هذه الفترة ربما تسبب فيها عاملان :-

١ - أن المصادر قد استوعبتها أحداث الفتنة التى وقعت فى هذه الفترة فاهتمت بها دون غيرها من الأمور ولذلك نجدها قد أفاضت فى هذا الجانب على حساب الجوانب الأخرى .

٢ - أن النظام الادارى فى الدولة الاسلامية فى هذه الفترة قد استقر وأخذ حجمه وشكله العام وأصبح لديه من التراث والسوابق مايمكن للولاه الرجوع اليه والاهتداء به دون مراجعة الخليفة أو دون اضطرار الخليفة للكتابة اليهم وتبصيرهم ببعض الأمور، الأمر الذى ربما رفع عن الخليفة بعض مهام التوجيه ومن ثم قلت المادة فى هذا

(١) انظر مثلاً عباس محمود العقاد ـ ذو النورين عثمان بن عفان ـ مكتبة دار العروبة القاهرة ص ٢٢٠

الجانب. هذا وقد حدد عثمان رضى الله عنه لعماله وموظفية مهامهم منذ أول يوم تسلم فيه مهامه فقد ذكر الطبرى أن عثمان رضى الله عنه كتب الى عماله كتاباً بعد استخلافه جاء فيه :-

" أما بعد فأن الله أمر الائمة أن يكونوا دعاة ولم يتقدم اليهم أن يكونوا جباة وأن صدر هذه الامة خلقوا دعاة ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولايكونوا دعاة فأذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ألا وان أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم مالهم ولا تأخذوهم بما عليهم ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم " (١)

ففى هذا الكتاب حدّد الخليفة لعماله وموظفيه وظيفة الأئمة الرئيسية وهى أن يكونوا دعاة ولا يكونوا جباة وذكرهم بأن صدر هذه الأمة كانوا كذلك ووضّح لهم بأن هذه الوظيفة اذا عكست وأصبح الأئمة جباة وتركوا واجبهم انقطع حينئذ الحياء والأمانة والوفاء . ثم وجههم بعد ذلك الى أن ينظروا فى أعمال المسلمين فيعطوهم مالهم ولا يأخذوهم بما عليهم وأن يهتموا بأهل الذمة فيعطوهم الذى لهم ويأخذوهم بالذى عليهم فهذه أعدل السيرة .

كما كتب رضى الله عنه كتاباً الى أمراء الأجناد ذكرهم فيه بواجبهم وواجبه وقد جاء فيه : " أما بعد فأنكم حماة المسلمين وزادتهم وقد وضع عمر مالم يغب عنا بل كان على ملأمنا ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فأنى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه والقيام عليه " (٢)

كما كتب أيضاً الى عمال الخراج كتاباً حذرهم فيه من الظلم جاء فيه :-

" أما بعد فأن الله خلق الخلق بالحق فلايقبل الا الحق خذوا الحق واعطوا الحق به . والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم

---

(١) الطبرى - مرجع سابق ج ٤ ص ٢٤٤ - ٢٤٥

(٢) عن د . أحمد ابراهيم الشريف - دور الحجاز فى الحياة السياسية - مرجع سابق ص ٢٩٦

الى ما اكتسبتم . والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فأن الله خصم لمن ظلمهم" (١) .

ومن توجيهات عثمان رضى الله عنه توجيهه الذى وجه به عامله على العراق الوليد ابن عقبة وطالبه فيه بمعاملة أهل الكتاب معاملة حسنة وباتمام شروطهم على وجهها فقد جاء فى هذا الكتاب :-

" من عبد الله عثمان أمير المؤمنين الى الوليد بن عقبة سلام عليك فأنى أحمد الله الذى لا اله الا هو أما بعد . فأن الأسقف والعاقب وسراة أهل نجران الذين بالعراق أتونى فشكوا الىّ وأرونى شروط عمر لهم وقد علمت ما أصابهم من المسلمين وأنى قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم تركتها لوجه الله تعالى جل ثناؤه وأنى وفيت لهم بكل أرضهم التى تصدق عليهم عمر عقبى مكان أرضهم باليمن فاستوص بهم خيراً فأنهم أقوام لهم ذمة وكانت بينى وبينهم معرفة . وانظر صحيفة كان عمر كتبها لهم فأوفهم ما فيها . واذا قرأت صحيفتهم فأردها عليهم والسلام" . (٢)

فقد كان عثمان رضى الله عنه حريصاً على أن تلتزم ادارته بشروطها وعهودها تجاه مواطنيها مسلمهم ومعاهدهم لذا نراه يحرص على تنبيه الولاة والقادة على الالتزام بالعهود والمواثيق . ومن ذلك ما رواه ابن الأثير من أن عبد الله بن عامر استعمل قطن بن عوف على كرمان فأقبل جيش للمسلمين فمنعهم سيل فى وادى من العبور وخشى قطن الفوت فقال : من عبر له ألف درهم فحملوا أنفسهم وعبروا فأعطاهم قطن ما وعدهم فأبى ابن عامر أن يجرى ذلك وكتب الى عثمان فكتب له عثمان رضى الله عنه : أن أحسبها فأنه انما أعان بها فى سبل الله . (٣)

---

(١) الطبرى - مصدر سابق ج ٤ ، ص ٢٤٥

(٢) د . محمد حميد الله - مجموعة الوثائق السياسية - مرجع سابق ص ١٦٥

(٣) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ١٨٤

وهكذا فأن هذه الشواهد على قلتها تدل على أن عثمان رضى الله عنه كـــان يباشر رقابته على عماله من خلال ارشادهم وتوجيههم ولكن قلة الشواهد المتعلقـــة بهذا الموضوع انما ترجع للأسباب التى ذكرتها آنفا .

المبحث الخامس

توجيه على لولاته وعماله

رغم الظروف التي جاءت فيها خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ورغم عدم الاستقرار الذى ساد الدولة الاسلامية بسبب الفتنة وما نتج عنها من حروب وخصومات الا أننا نجد أن الأمام على رضى الله عنه قد باشر التوجيه والنصح لولاته بصورة واسعة تكشف عنها تلك الرسائل التى كان يبعث بها الى العمال كما تكشف عنها العهود التى كان يكتبها لهم وكذلك النصائح التى يزودهم بها شفاهة.

فمن أمثلة توجيهاته التى تضمنتها رسائله الى الولاة والعمال تلك الرسالة التى بعث بها الى بعض عماله وقد جاء فيها "أما بعد فأنك ممن أستظهر به على اقامة الدين وأمنع به نخوة الأثيم وأسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما أهمك واخلط الشدة ببعض من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق واعتزم بالشدة حين لا تغنى عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك وابسط لهم وجهك وألن لهم جانبك وآس بينهم فى اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء فى حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام."(١)

ففى هذه الرسالة أوصى الخليفة عامله بعدد من الوصايا التى جاءت بها السياسة الشرعية وهى :-

١ - الاستعانة بالله

٢ - خلط الشدة باللين.

٣ - استخدام الرفق فى مكانه والشدة فى مكانها كذلك.

---

(١) الشريف الرضى - نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٠

٤ - خفض الجناح للرعية وبسط الوجة والانة الجانب .

٥ - المساواة بين الناس فى اللحظة والنظرة والاشارة والتحية .

ومن توجيهه رضى الله عنه لمحمد بن أبى بكر عامله على مصر أنه كتب اليه :-

" . . . أصبر لعدوك وشمّر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمك ويعينك على ما ولاك أعاننا الله واياك على ماينال الا برحمته " (١) .

وكان رضى الله عنه كثيراً مايخوف عماله بالله ويذكرهم بحسابه ويعظهم حتى لا يقعوا فى الذنوب من ذلك كتابه الى يزيد بن قيس الأرحبى وقد جاء فيه . . " أما بعد فأنك أبطأت بحمل خراجك وما أدرى مالذى حملك على ذلك غير أنى أوصيك بتقوى الله واحذرك أن تحبط أجرك وتبطل جهادك بخيانة المسلمين فاتق الله ونزه نفسك عن الحرام ولا تجعل لى عليك سبيلاً فلا أجد يداً من الايقاع بك واعزز المسلمين ولا تظلم المعاهدين" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين " (٢-٣)

ونجد فى لهجة هذا الخطاب عتاباً سببه تأخير العامل لخراجه دون ذكر سبب مقبول فخوفه أمير المؤمنين من عقاب الله فى الآخرة ومن حسابه هو له فى الدنيا وحذره من أن يبطل أجره وجهاده بالخيانة كما طلب اليه العمل على اعزاز المسلمين وعدم ظلم المعاهدين .

ومن توجيهاته كذلك الى عامله على أذربيجان الأشعث بن قيس والتى ضمنها رسالة له " . . . وان عملك ليس لك بعصمة ولكنه فى عنقك أمانة وأنت مسترعى لمن

---

(١) الطبرى جـ ٥ ص ٩٧

(٢) الاية ٧٧ - القصص

(٣) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠١

فوقك ليس لك أن تفتئات في رعية ولا تخاطر الا بوثيقة وفي يديك مال من مال الله تعالى وأنت من خزانه حتى تسلمه الي" (١) .

والرسالة كما هو واضح بينت لهذا العامل صلاحياته وحدود مسئولياته فهذه الوظيفة ليست عصمة له وانما هي أمانة في عنقه وهومسترعى لله عز وجل ولا يجب عليه التعدي على رعيته كما أن الأموال التي في يده انما هي مال الله وهو خازن لها حتى يسلمها الى الخليفة ليصرفها في مواضعها حسب التزامه الى الأمة في أول خطبة له بعد اختياره .

ومن توجيهات أمير المؤمنين المكتوبة ماكتبه الى قثم بن العباس عامله على مكة حيث قال :" أما بعد فأقم للناس الحج وذكرهم بأيام الله عز وجل واجلس لهم العصرين فأفت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك سفير الى الناس الا لسانك ولا صاحب الا وجهك ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك فأنها اذا زيدت عن أبوابك في أول ردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة " (٢) .

فمن وظيفة الوالي أن يعلّم مواطنيه ولا يحجبهم من الدخول اليه لعرض حوائجهم كما أن من مهامه توزيع الأموال على مستحقيها .

ولما كان الحج موسماً عاماً يجتمع فيه الناس من كل مكان فقد علم الخليفة من مصادره الخاصة أن أهل الشام ينوون استغلال الموسم فبعث برسالة فيها نصيحة وتحذير الى عامله على مكة قثم بن العباس جاء فيها :" أما بعد فأن عيني بالمغرب كتب الي يعلمني أنه وجه الى الموسم أناس من أهل الشام العمى القلوب الصم الأسماع الكمه

---

(١) الشريف الرضي - نهج البلاغة - ج ٢ ص ١٣٣

(٢) التذكرة الحمدونية ص ٣٤٥

الأبصار الذين يلبسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق فى معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون عاجلها بآجل الأبرار المستقنين ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله .

" فأقم على مافى يديك قيام الحازم الطبيب والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع لأمامه واياك ومايعتذر عنه ولا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء فشلا والسلام ." (١)

ومن توجيهات الامام لولاته بشأن معاملة أهل الذمة ماكتبه الى أحد ولاته :

" اما بعد فأن دهاقين بلدك شكوا منك قسوة واحتقاراً وجفوة . ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم ولا أن يقضوا لعهدهم فأليس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاء ان شاء الله " (٢) .

وكان الامام رضى الله عنه ينتهز كل سانحة ليذكر ولاته ويوجههم فقد طلب منه أحد المواطنين أن يكتب له كتاب تزكية وتوصية الى والى أذربيجان قيس بن سعد فكتب اليه :- أما بعد فاقبل خراجك بالحق وأحسن الى جندك بالانصاف وعلم من قبلك مما علمك الله ثم أن عبد الله بن شبيل الأحمس سألنى الكتاب اليك فيه بوصايتك به خيراً فقد رأيته وداعماً متواضعاً فألن حجابك وافتح بابك واعمد الى الحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ." (٣)

---

(١) الشريف الرضى - منهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٥

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٥ .

(٣) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧٨

وكان رضى الله عنه يكتب الى ولاته يلومهم على بعض التصرفات ويحذرهم وينصح لهم من ذلك أنه بلغه أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف دعى الى مائدة فاستجاب فكتب اليه لائماً وناصحاً :- "أما بعد يابن حنيف وقد بلغنى أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها تستطاب لك الألوان وتنقل اليك الجفان وماظننت أنك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ماتقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وماأيقنت بطيب وجهه فنل منه". (١)

وبلغه أن عامله على البحرين قد أخذ مالاً فكتب اليه :-

" أما بعد فأنه من استهان بالأمانة ورغب فى الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه أضل بنفسه فى الدنيا ومايشقى عليه بعده أمر وأبقى وأشقى وأطول فخف الله ، انك من عشيرة ذات صلاح فكن عند صالح الظن بك وراجع ان كان حقاً مابلغنى عنك ولا تقلين رأيى فيك واستنظف خراجك ثم اكتب الى ليأتيك رأيى وأمرى ان شاء الله " (٢)

وكتب الى زياد حين استخلفه عبدالله بن عباس على البصرة محذراً :-

" وانى اقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغنى أنك خنت من فىء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر والسلام . " (٣)

كما كتب اليه أيضاً " فدع الاسراف مقتصداً واذكر فى اليوم غداً وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك . أترجو أن يؤتيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وأنت متمرغ فى النعيم أن تمنعه الضعيف والأرملة وأن يوجب لك ثواب المتصدقين وان المرء مجزى بما سلف وقادم على ماقدم والسلام . (٤) "

---

(١) الشريف الرضى - نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٢١
(٢) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٠١
(٣) الشريف الرضى - نهج البلاغة ج ٢ ص ١٥٦
(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٢

ونختم وصايا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى مجال التوجيه بما أوصى به حبر الأمة عبد الله بن عباس أمير البصرة بمعاملة بنى تميم معاملة حسنة لما لهم من مكانة فى الجاهلية والاسلام فقد كتب اليه قائلا : " . . . واعلم أن البصرة مهبط أبليس ومغرس الفتن وقد بلغنى تنمرك لبنى تميم وغلظتك عليهم وان بنى تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم آخر وأنهم لم يسبقوا بوغم فى جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحماً ماسة وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها فاربع أبا العباس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فأنا شريكان فى ذلك وكن عند صالح ظنى بك " (١)

ويجد الباحث المتتبع لآثار الامام على فى كتب المصادر الكثير من التوجيهات والنصائح المكتوبة الى الولاة والعمال ولكننا نكتفى بهذه النماذج من النصائح والتوجيهات للدلالة على أن أمير المؤمنين رضى الله عنه كان قد باشر التوجيه والاشراف بصورة واسعة رغم الظروف التى كانت تحيط به .

أما العهود فيكفينا فيها ذلك العهد الذى كتبه أمير المؤمنين الى الأشتر النخعى حين ولاه مصر والذى يمثل نظرية متكاملة فى مجال الحكم والادارة وقد تضمن قدراً كبيراً من التوجيهات نوجزها فيما يلى (٢) :-

١ - نصائح شخصية تضمنت أن يكون العمل الصالح هو أحب الأعمال اليه

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٤

(٢) ورد نص هذا العهد فى كتاب نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٦٥ وكتاب التذكرة الحمدونية - مرجع سابق ص ٣٠٩ - ٣٢١ وكتاب نهاية الأرب - مرجع سابق ج ٦ ص ١٩ - ٣٢ ومآثر الأناقة فى معالم الخلافة للقلقشندى - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - عالم الكتب ج ٣ ص ٦ - ١١ . كما أن هذا العهد شرح فى عدد من الكتب منها نظرية الحكم والادارة فى عهد الأمام على للأشتر للسيد عبد المحسن فضل الله - دار التعارف للمطبوعات لبنان - الطبعة الثانية ١٩٨٣ م وكتاب توفيق الفكيكى - الراعى والرعية - مطبعة أسعد بغداد ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م .

وأن يملك هواه وشح نفسه وأن يشعر قلبه الرحمة للرعية واللطف بهم ولا يكن عليهم سبعاً ضارياً وأن لا يندم على عفو ولا يسرعن الى عقوبة .

(٢) نصائح تتعلق بسياسة الرعية منها أن يتصفهم من نفسه ومن خاصة أهله وأن يكون أحب الأمور اليه أوسطها فى الحق وأعمها فى العدل وأجمعها لرضا الرعية . وأن يكون أبعد رعيته عنه أطلبهم لمعايب الناس فعليه أن يستر العورة ما استطاع وأن لا يبعد عن الحق وأن لا يدخلن فى مشورته بخيلاً ولا جباناً . وألا تكون بطانته من الأشرار وألا يساوى بين المحسن والمسىء وألا ينقض سنة صالحة عمل بها صدر هذه الامة . وأن يكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء . . وأن يهتم بالجنود ورؤسائهم وكذلك القضاة والكتاب والعمال كما عليه أن يهتم كذلك بالتجار والفقراء . ثم أشار عليه أن يتفقد أعمال موظفيه وأن يبعث العيون من أهل الصدق عليهم كما أمره أن يتفقد أمر الخراج وأهله وأن يجعل لذوى الحاجات وقتاً ومجلساً وألا يحتجب عن الرعية وحذره من سفك الدماء بغير وجه حق .

أما وصايا الامام الشفهية لعماله فمنها ماحدّث به أحد عماله حيث قال: استعملنى على بن أبى طالب على عكبراء (١) فقال لى وأهل الأرض معى يسمعون : انظر أن تستوفى ماعليهم من الخراج واياك أن ترخص واياك أن يروا منك ضعفاً ثم قال لى : رح الىّ عند الظهر فرجعت اليه عند الظهر فقال : انما أوصيتك بالذى أوصيتك به قدام أهل عملك لأنهم قوم خدع أنظر اذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيف ولا رزقاً يأكلونه ولا دابة يعملون عليها ولا تضربن أحداً منهم سوطاً واحداً فى درهم ولا تقمه على رجله فى طلب درهم ولا تبتع لأحد منهم عرضاً فى شىء من الخراج فأنا انما أمرنا أن نأخذ منهم العفو فأن أمنت خالفت ماأمرتك به فآخذك الله به دونى وان بلغنى عنك خلاف ذلك عزلتك . قال : قلت اذن أرجع اليك كما خرجت من عندك

---

(١) عكبراء بلدة بالقرب من بغداد - انظر معجم البلدان - المصدر ج ٤ ص ١٤٢

قال : وان رجعت كما خرجت قال : فانطلقت فعملت بالذى أمرنى به فجئت ولم أنقص من الخراج شيئاً "(١)

ومنها كذلك وصيته لعامله قيس بن سعد (٢) حين بعثه الى مصر سنه ٣٦هـ اذ أوصاه قائلاً : " سر الى مصر قد وليتكها وأخرج الى رحلك واجمع اليك شقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فأن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك وأحسن الى المحسن وأشدد على المريب وأرفق بالعامة والخاصة فأن الرفق يمن "(٣)

وأوصى رضى الله عنه قائده زياد بن حفصة الكندى حين أرسله فى طلب الخوارج قائلا له : " أخرج رحمك الله وانزل دير أبى موسى وأقم حتى يأتيك أمرى فأن كانوا ظاهرين فأن عمالى سيكتبون بخبرهم "(٤) .

كما أوصى قائده شريح بن هانى لما جعله على مقدمة جيشه : " اتق الله فى كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا والغرور ولا تأمنها على حال وأعلم أنك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروه سمت بك الأهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعاً رادعاً ولنزوتك عند الحفيظة واقماً مانعاً ."(٥) .

أما توجيهاته رضى الله عنه لعمال الخراج فمنها : " أما بعد فأن من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه مايحرزها واعلموا أن ماكلفتم به يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغى والعدوان عقاب يخاف لكان فى ثواب اجتنابه مالا عذر فى ترك طلبه . فأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فأنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة

---

(١) أبويوسف - كتاب الخراج ص٥٢ وكنز العمال - مصدر سابق ج ٥ ص ٧٧٣

(٢) هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى. أبو عبد الله. له عدة أحاديث. قاتل مع على ثم وفد على معاوية فأكرمه - كان جوادا داهية - مات فى آخر خلافة معاوية . انظر الذهب - سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ٣ ص ١٠٢

(٣) النويرى - نهاية الأرب - مصدر سابق ج ٢٠ ص ١٩١

(٤) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٣٦٥

(٥) الشريف الرضى - نهج البلاغة - مصدر سابق ج ٢ ص ٢٧٠

وسفراء الأئمة ولا تجشموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوها عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسن مال أحد من الناس مصلى ولا معاهد الا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الاسلام، فأنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي الأعداء فيكون شوكة عليه. ولا تدخروا أنفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وأبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم فأن الله سبحانه وتعالى قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة الا بالله العظيم" (١).

فهذه الرسالة قد اشتملت على التعريف بمهمتهم حيث أنهم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة ثم أمرهم بعدد من الأوامر ونهاهم عن كثير من النواهي وكلها تنصب في مصلحة أفراد الأمة.

كما أوصى بعض عمال الصدقة بقوله: " . . . وان لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا نفعل فأنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة وبؤس لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارمون وابن السبيل ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه الذل والخزي في الدنيا وهو في الاخرة أذل وأخزى وان أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة" (٢)

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٨
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٥ - ١٦٦

الفصل الرابع

المحاسبة في عصر النبوة والراشدين

ويشتمل علي المباحث الآتية :

١ - المبحث الأول : محاسبة النبي ﷺ لعماله وموظفيه

٢ - المبحث الثاني : محاسبة أبي بكر الصديق لعماله وولاته

٣ - المبحث الثالث : المحاسبة في عهد عمر رضي الله عنه

٤ - المبحث الرابع : محاسبة عثمان لعماله وولاته

٥ - المبحث الخامس : محاسبة علي رضي الله عنه لعماله

الفصل الرابع

المحاسبة فى عصر النبوة والراشدين

الحديث عن المحاسبة فى عصر النبوة والراشدين يمكن أن يكون فى خمسة مباحث كما يلى :-

- المبحث الأول : محاسبة النبى صلى الله عليه وسلم لعماله وموظفيه .
- المبحث الثانى : محاسبة أبى بكر الصديق لعماله وولاته ..
- المبحث الثالث : المحاسبة فى عهد عمر رضى الله عنه .
- المبحث الرابع : محاسبة عثمان لعماله وولاته .
- المبحث الخامس : محاسبة على رضى الله عنه لعماله ..

المبحث الأول

محاسبة النبى صلى الله عليه وسلم لعماله وموظفيه

كان النبى صلى الله عليه وسلم يحاسب عماله على أعمالهم وذلك بعد أن يوجههم ويبصرهم بحدود مسئولياتهم وكانت محاسبته صلى الله عليه وسلم ومايترتب عليها من جزاءات تتفاوت بحسب الخطأ الذى وقع فيه العامل . فبعض هذه الأخطاء لا يعالجه الا العزل وبعضها يكفى فيه العتاب ولفت النظر .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحاسب كل من أسند اليه عملاً وثبت تقصيره فيه سواء كان هذا العمل شعائريًا كامامة الصلاة وجمع الصدقات أو اداريا كالامارة على البلدان والمناطق أو عسكريا .

وكانت وسائل النبى صلى الله عليه وسلم فى معرفة الأخطاء هى مشاهدته لها أو رفعها اليه ممن حضرها .

فمن أمثلة محاسبته صلى الله عليه وسلم لمن يتولون أمر الشعائر محاسبته لمعاذ ابن جبل حين أطال فى الصلاة جاء فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : "أقبل رجل بناضحين فوافق معاذاً يصلى فترك ناضحيه وأقبل الى معاذ فقرأ بسورة البقرة فانطلق الرجل . وبلغه أن معاذاً نال منه . فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا اليه معاذاً . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ : أفتان أنت ؟ فلوصليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى فأنه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة" (١) .

فهنا نجد أن المحاسبة كانت بغرض تبصير معاذ رضى الله عنه بالطريقة المثلى فى أمامة الصلاة حيث أن الامام يصلى وراءه كبير السن والضعيف الذى يعجزه طول الوقوف والسجود وذو الحاجة الذى يخشى فوات حاجته اذا أطال الأمام فى صلاته وكذلك نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أرشد معاذاً الى أن يقرأ سوراً قصاراً مثل الأعلى والضحى والليل وذلك حتى لا يفتن المصلين خلفه .

أما محاسبته صلى الله عليه وسلم لعمال الصدقات فقد كانت تتم بصورة دورية حيث كان يحاسبهم على المستخرج والمصروف اضافة الى محاسبتهم على أخطائهم ان وجدت (٢) .

فمن أمثلة محاسبته صلى الله عليه وسلم لعمال الصدقات على أخطائهم محاسبته للوليد بن عقبة حين بعثه الى بنى المطلق فادعى أنهم خرجوا لحربه وقد روى أبن سعد هذه الواقعة حيث قال : "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط الى بنى المصطلق من خزاعة يصدقهم وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد . فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالجزور والغنم فرحاً به . فلما رآهم ولى راجعاً الى المدينة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه بالسلاح يحولون

---

(١) صحيح البخارى - كتاب الامامة والجماعة باب ٣٥ ج ١ ص ٢٤٩

(٢) انظر ابن تيمية - الحسبة فى الاسلام - مصدر سابق ص ١٥

بينه وبين الصدقة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم الركب الذين لقوا الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر على وجهه فنزل فى ذلك قوله تعالى :- " يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين " (١) فقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم القرآن وبعث معهم عباد بن بشر (٢) يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن وأقام عندهم عشراً ثم انصرف الى المدينة ؛ (٣)

فهنا وان لم تذكر المصادر كيفية محاسبة النبى صلى الله عليه وسلم لعامله الوليد ابن عقبة الا أن عزله واستبداله بعباد بن بشر بشير الى فداحة الخطأ الذى وقع فيه اذ لولا لطف الله سبحانه وتعالى ثم تثبت النبى صلى الله عليه وسلم لترتب على هذا الخطأ مقاتلة المسلمين بعضهم بعضا .

ومن أمثلة محاسبته لعمال الصدقات أيضا محاسبته لعامله ابن اللبتية على قبوله الهدايا فقد جاء فى صحيح البخارى عن أبى حميد الساعدى قال :استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على صدقات بنى سليم يدعى ابن اللبتية فلما جاء حاسبه قال : هذا مالكم وهذا هدية فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقاً ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه

---

(١) الحجرات الاية ٦٠

(٢) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغوراء بن عبد الأشهل الأنصارى الأشهلى. أبو الربيع أحد البدريين ومن سادة الأوس. أسلم على يد مصعب بن عمير. اشترك فى قتل كعب بن الأشرف - استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات مزينة وبنى سليم - استشهد فى اليمامة وكان أحد أبطالها . انظر الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٤٤٠ وسير أعلام النبلاء مرجع سابق ج ١ ص ٣٣٧

(٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج ٦ ص ٢٤

ثم قال : أما بعد فأني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول : هذا لكم وهذا هدية أهديت لي . أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه الا لقى الله يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحداً منكم لقى الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر . ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطه يقول : اللهم هل بلغت؟" (١) .

وقد أورد الامام البخاري رحمه الله تعالى هذا الحديث في باب محاسبة الامام عماله .

ورغم شدة النبي صلى الله عليه وسلم على عامله في هذا الحديث الا انه اكتفى بأخذ الهدية منه فقط . والسبب في اعتقادي يرجع الى أن هذا العامل قد أخذ الهدية متأولاً أو ربما لم يبلغه نهي النبي صلى الله عليه وسلم للعمال عن قبول الهدايا ودليلي على ذلك قوله: هذا مالكم وهذا هدية. فلو كان سارقاً أو غالاً أو بلغه نهي النبي صلى الله عليه وسلم للعمال عن قبول الهدية لما قال ذلك ولكنه كان يعتقد أن الهدية حق من حقوقه ولذلك اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ الهدية منه وردها الى بيت المال والتحذير من هذا الفعل حتى لا يتكرر .

ومن محاسبته صلى الله عليه وسلم لعمال الصدقات كذلك محاسبته لعامله أبوجهم ابن حذيفة (٢) حين بعثه مصدقاً فلاجه رجل في صدقته فضربه أبوجهم فشجه فأتى قومه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : القود يارسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكم كذا وكذا فلم يرضوا فزادهم حتى رضوا ثم طلبوا الزيادة مرة أخرى فزادهم فرضوا فأعلم الناس بذلك (٣) .

فهنا نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اقتاد من عامله وأعلم الناس بذلك حتى لا تكون للوالي أو العامل عصمة تعصمه من العقوبة اذا وقع في الخطأ .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع الى الشكاوى التي ترد عليه عن عماله ويتحقق

---

(١) انظر فتح الباري مصدر سابق - كتاب الأحكام ج ١٣ ص ١٦٤

(٢) هو أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن كعب القرشي العدوي . أسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم . كان عالماً بالانساب وكانت فيه شدة وصرامة . من المعمرين واشترك مرتين في بناء الكعبة مرة في الجاهلية ومرة في الاسلام - مختلف في تاريخ وفاته .
انظر الاستيعاب - مصدر سابق ج ٢ ص ٦٥٠ والاصابة مصدر سابق ج ٧ ص ٣٤

(٣) انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج ٥ ص ٤٥١

منها فأذا ثبت أو وقع الجزاء بالعامل والا فلاجزاء .

ومن أمثلة الشكاوى التى ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لم يجد دليلا على خطأ شكوى أهل اليمن لعلى بن أبى طالب فقد ورد أن عليالما أقبل من اليمن تعجل الى رسول الله واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع على فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فأذا عليهم الحلل فأمر على بنزع تلك الحلل فاشتكى الناس علياً فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس لا تشتكوا علياً فوالله انه لأخشن فى ذات الله أو فى سبيل الله (١) .

فعلى كرم الله وجهه حاسب الرجل الذى استخلفه فى القوم على تصرفه الذى تصرفه بغير وجه حق لأن هذه الثياب مال عام للمسلمين ولا يجوز لهؤلاء الجند الاستئثار بها دون غيرهم.

ولما اشتكى الناس على على تصرفه معهم للنبى صلى الله عليه وسلم وتحقق النبى صلى الله عليه وسلم فى المسألة أقر علياً فى تصرفه وبين ذلك للناس.

أما عن محاسبته لقادته العسكريين فقد حاسب خالد بن الوليد على قتاله فى يوم فتح مكة كما حاسبه كذلك على قتله لبنى جذيمة رغم حب النبى صلى الله عليه وسلم لخالد وثناءه عليه .

ففى يوم الفتح كان خالد على رأس جزء من جيش المسلمين وكانت معه قبائل أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وبعض قبائل العرب الأخرى حيث أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة من أسفلها وألا يقاتل ولكن صفوان بن أميه (٢) وعكرمة بن أبى جهل (٣) وسهيل ابن عمرو (٤) جمعوا له جمعاً من قريش والتقوا خالداً بالخندمة

---

(١) انظر النويرى - نهاية الأرب - مرجع سابق ج ١٧ ص ٣٦٩ - ٣٧٠

(٢) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشى . أبو وهب صحابى فصيح جواد من أشراف قريش فى الجاهلية والاسلام - اسلم بعد الفتح . توفى سنة ٤١ هـ انظر الاصابة مرجع سابق ج ٢ ص ١٨١ .

(٣) هو عكرمة بن أبى جهل عمرو بن هشام المخزومى القرشى . من صناديد قريش فى الجاهلية والاسلام . أسلم بعد فتح مكة - اشترك فى حروب الردة وولى الأعمال لأبى بكر . استشهد فى موقعة اجنادين سنة ١٣ هـ . انظر الاستيعاب مرجع سابق ج ٣ ص ١٠٨٢ والاصابة ص ٤٨٩ .

(٤) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشى العامرى . خطيب قريش وأحد سادتها . أسر يوم بدر وافتدى نفسه وأسلم يوم الفتح وسكن المدينة . تولى أمر الصلح يوم الحديبية ممثلا لقريش . مات بالطاعون فى الشام سنة ١٨ هـ . انظر الاستيعاب مرجع سابق ج ٢ ص ٦٦٨ .

فقاتلهم وقتل من قريش أربعة وعشرين رجلاً وأربعة رجال من هزيل فلما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم غضب غضبًا شديدًا على خالد وقال : ألم أنهه عن القتال ؟ فقيل له ان خالدًا قوتل فقاتل فقال : قضاء الله خير .» (١)

فغضب النبى صلى الله عليه وسلم واستنكاره دليل على رفضه لعمل خالد لأنه كان يريد أن يدخل مكة دونما قتال وذلك مراعاة لحرمة البلد الحرام .

أما عن قتاله لبنى جذيمة فقد روى أنه لما رجع خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة بعثه فى شوال الى بنى جذيمة ابن عامر وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يلملم (٢) داعيًا الى الاسلام ولم يبعثه مقاتلاً فخرج فى ثلثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار . فانتهى اليهم خالد ابن الوليد فقال : ماأنتم ؟ قالوا مسلمين قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد فى ساحتنا . قال : فما بال السلاح عليكم ؟ قالوا : ان بيننا وبين بعض العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح . قال : فضعوا السلاح فوضعوه . فقال لهم : استأسروا فاستأسر القوم بعضهم فكتف بعضهم بعضاً وفرقهم فى أصحابه فلما كان السحر نادى خالد : من كان معه أسير فليدافه أى فليجهز عليه فقتل بعض القوم أسراهم . فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ماصنع خالد فقال: اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد وبعث على بن أبى طالب فسمودى لهم قتلاهم (٣) .

---

(١) تقى الدين أحمد بن على المقريزى - امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع - صححه وشرحه محمود محمد شاكر - طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر - الطبعة الثانية ج ١ ص ٣٧٨ - ٣٨٠ .

(٢) يلملم موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن انظر رمعجم البلدان مرجع سابق ج ٥ ص ٤٤١ .

(٣) انظر النويرى - نهاية الأرب - مصدر سابق ج ١٧ ص ٣١٦ .

والصحيح في هذه الواقعة هو ماذكره البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : " بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالداً الى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا : صبأنا فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع الى كل رجل منا أسيره فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره فقلت : والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره . فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين "(١) .

ولا يلتفت في هذه القصة الى ماذكره صاحب كتاب الأغاني وغيره من أن بني جزيمة كانوا قد قتلوا في الجاهلية الفاكه بن الوليد أخو خالد بن الوليد وعمه الفاكه ابن المغيرة وأن مافعله خالد بهم انما كان انتقاماً منهم .(٢)

فلو صحت هذه الرواية لأقام عليه النبي صلى الله عليه وسلم حد القصاص لتعمده القتل ولكن لما كان القتل قد وقع عن طريق الخطأ فقد استنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وودى القتلى .

" ولا شك أن براءته صلى الله عليه وسلم مما صنع خالد تعتبر محاسبة له على ماصنع وان كان ذلك صدر عن اجتهاد منه الا أنه كان يجب عليه أن يتريث ويستشير أصحابه بل كان عليه أن يستفسر من خالفه كابن عمر رضي الله عنهما بل يستفسر القوم عن مرادهم "(٣) .

---

(١) انظر ابن حجر العسقلاني - فتح الباري - مصدر سابق ج ٨ ص ٥٦ ومسند أحمد مصدر سابق ج ٢ ص ١٥١ وسنن النسائي - مرجع سابق ج ٨ ص ٢٣٦

(٢) انظر أبو الفرج الأصبهاني - الأغاني - دار الفكر م ٣ ج ٧ ص ٢٨

(٣) د . عبد الله أحمد قادري - الكفاءة الادارية في السياسة الشرعية - مرجع سابق ص ١٢٢ .

وبعد . . فأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم باختياره للأصلح وباشرافه الدائم على العمال والولاة ومحاسبتهم على أعمالهم قد أرسى للمسلمين ولغيرهم الأسس الصحيحة التى تقوم عليها الرقابة الادارية .

وهذه الأسس عندما طبقها المسلمون وعملوا بها أخرجوا للناس فقهاً ادارياً محكما وواقعاً عملياً كان ولا يزال محل اعجاب الباحثين والدارسين .

المبحث الثاني

محاسبة أبي بكر الصديق لعماله وولاته

اتبع أبو بكر الصديق رضى الله عنه سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى محاسبة الولاة والعمال . فقد ذكر أن معاذاً بن جبل رضى الله عنه قدم من اليمن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال له أبو بكر : ارفع الى حسابك فقال معاذ : أحسابان ؟حساب الله وحساب عنكم . والله لا ألى لكم عملاً أبداً . (١)

فمطالبة أبى بكر رضى الله عنه لعامله برفع الحساب يدل دلالة واضحة على حرصه على معرفة مايدور فى مناطق الولاة البعيدة عنه . ورفع الحساب هنا قد يشمل الحساب المالى للولاية حتى يعرف الخليفة صادر هذه الأموال ووارد ها وقد يشمل تقريراً مفصلاً عن ولايته المالى منها والادارى وذلك حرصاً منه رضى الله عنه على رفع أى ظلم يقع على الرعية كما أن ذلك يقع ضمن المسئولية التى سيسأله الله عنها .

غير أنى لم أجد سبباً واضحاً لرفض معاذ رضى الله للمحاسبة.فمعاذ يعتبر من فقهاء الصحابة ولا شك أنه يعرف أن الخليفة من حقه أن يطلب ذلك لأنه راع ومسئول عن رعيته كما أن أبابكر رضى الله عنه متبع فى هذا الأمر لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس مبتدعاً ومعاذ رضى الله عنه من أعلم الناس بالسنة ولكن ربما كان ورعه وادراكه لمحاسبة الله عز وجل له فى هذا الأمر جعلته يمتثل ماأمر به وبالتالى لا يرى أن هنالك داعياً لمحاسبته من قبل العباد . أو ربما أراد أن يجعل من هذا الأمر سبباً لعدم العمل مع أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر ابن قتيبة - عيون الأخبار - مرجع سابق ج ١ ص ٦٠ وعبد الحى الكتانى التراتيب الادارية - مرجع سابق ج ١ ص ٢٣٧

وكان أبو بكر رضى الله عنه يسأل رعيته عن أحوالهم وعن ولاتهم. فبعد توليه الخلافة قام بأداء العمرة فى رجب سنة ١٢ هـ وبعد أن فرغ من أداء العمرة جلس قريبًا من دار الندوة وسأل الناس : هل من أحد يشتكى ظلامة أو يطلب حقًا ؟ فما أتاه أحد (١) بل ان الناس أثنوا على واليهم وكان يومئذ عتاب بن أسيد (٢).

ومن أمثلة محاسبته لولاته أن المهاجر بن أبى أمية عامله على اليمن رفع اليه أمر امرأتين مغنيتان غنت احداهما بشتم الرسول صلى الله عليه وسلم فقطع المهاجر رضى الله عنه يدها ونزع ثنيتها فكتب اليه أبو بكر رضى الله عنه معترضاً على هذا الحكم ومبينًا له الوجه الصحيح فى هذه المسألة حيث قال : "بلغنى الذى سرت به فى المرأة التى تغنت وزمرت بشتيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا ما سبقتنى فيها لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر" (٣).

وقد صنع المهاجر رضى الله عنه بالمرأة الثانية والتى تغنت بشتيمة المسلمين كما صنع بالأولى فقطع يدها ونزع ثنيتها فكتب اليه أبو بكر رضى الله عنه : "أما بعد فقد بلغنى أنك قطعت يد امرأة فى أن تغنت بهجاء المسلمين ونزعت ثنيتها فأذا كانت ممن تدعى الاسلام فأدب وتقدمة دون المثلة وان كانت نصية فلعمرى لما صفحت عنه من الشرك أعظم . ولوكنت تقدمت اليك فى مثل هذا لبلغت مكروهًا فاقبل الدعة واياك والمثلة فى الناس فأنها مأثم ومنفرة الا فى القصاص" (٤).

---

(١) انظر محى الدين بن عربى - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار - دار اليقظة العربية ج ١ ص ١٧٣

(٢) انظر ظافر القاسمى - نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الاسلامى - الكتاب الأول - الحياة الدستورية - دار النفائس - بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - ص ٣٢٠

(٣) الطبرى - مصدر سابق - ج ٣ ص ٣٤١

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٤٢

فهنا نجد أن الأمر موضع اجتهاد ولو كان الخليفة قد تقدم لواليه ببيان فى هذا الأمر ثم صنع الوالى ما صنع لما اكتفى الخليفة بالعتب والتأنيب ولبلغه منه مكروها كما قال .

ومن أمثلة محاسبة أبى بكر رضى الله عنه لقادة جيوشه أنه كان قد بعث عكرمة ابن أبى جهل الى مسيلمة باليمامة واتبعه بشرجبيل بن حسنة فبادر عكرمة بشرجبيل وطلب حظوة الظفر فنكبه مسيلمة فأحجم عكرمة عن مسيلمة وكتب الى أبى بكر رضى الله عنه بالخبر فكتب أبو بكر الى شرجبيل بن حسنة أن يقيم بأدنى اليمامة حتى يأتيه أمره . ثم كتب الى عكرمة يعنفه على تسرعه وقال له : " لا أرينك ولا أسمعن بك الا بعد بلاء والحق بعمان حتى تقاتل أهل عمان وتعين حذيفة وعرفجة وكل واحد منكم على خيله وحذيفة ما دمتم فى عمله على الناس فاذا فرغتم فامضى الى مهرة ثم ليكن وجهك منها الى اليمن حتى تلاقى المهاجر بن أبى أمية باليمن وحضر موت وأوطىء من بين عمان الى اليمن ممن ارتد وليبلغنى بلاؤك " (١) .

فعكرمة الذى حاول أن يتفرد بالانتصار على مسيلمة وأن ينال حظوة هذا الأمر منع بعد تهنيف شديد من البقاء باليمامة ومقاتلة مسيلمة وأرسل الى البحرين واليمن فيما يعد عقوبة له على تعجله وعدم استماعه لتوجيهات الخليفة رضى الله عنه . وقبل ذهابه الى اليمن طلب منه الذهاب الى عمان وأن يكون تحت قيادة حذيفة فالجزاء من جنس العمل فمن أراد الانفراد والاستحواذ بسمعة تحقيق الانتصار تكون أبلغ عقوبة له هى حرمانه من هذا الشرف بل وأبلغ من ذلك جعله تحت امرة قائد مثله .

ومن محاسبته لقواده كذلك محاسبته لخالد بن الوليد بسبب قتله لمالك بن نويرة

---

(١) الطبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٣١٥

اليربوعي [١] وذلك بسبب تنحي مالك ومن معه عن بني تميم الذين استقبلوا خالداً بالسمع والطاعة فاعتبر خالد أن مالكاً ومن معه من جملة المرتدين الذين يجب قتلهم فاعترض على خالد عدد من المسلمين الذين معه ومن بينهم أبو قتادة [٢] الذي ترك الجيش ورجع الى المدينة وأخبر أبابكر الصديق بالخبر، وبالرغم من غضب الصديق رضي الله عنه على أبي قتادة لتركه الجهاد وعودته الى المدينة الا أنه جزع من تصرف خالد فاستدعاه الى المدينة وحاسبه فأخبره خالد بوجهة نظره فعذره أبو بكر ورده وودى مالكاً ورد السبي والمال [٣].

ولا تصح في رأيي بعض الروايات التي وردت في كتب بعض الأدباء والمؤرخين [٤] والتي أرجعت السبب في مقتل مالك الى اعجاب خالد بزوجة مالك ورغبته في نكاحها ودليلي على عدم صحة ذلك الأسباب الآتية :-

١ - أن الشهود الذين شهدوا الحادثة مثل أبي قتادة وغيره والذين قاموا برفع الأمر الى الخليفة لم يذكروا هذا السبب وانما ذكروا أن خالداً قتل المسلمين بالظن. كما أن المصادر المعتمدة لم تذكر هذا السبب .

٢ - ماساقة أولئك الرواة من أن خالداً تزوج امرأة مالك بعد وفاته لايعد في نظري دليلاً على أن خالداً قد قتل مالكاً بسبب رغبته في الزواج من زوجته لأن زواج النساء

---

(١) هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعي التميمي - كنيته أبو حنظلة - فارس وشاعر أدرك الاسلام فأسلم فولاه النبي صلى الله عليه وسلم صدقات قومه بني يربوع - قتله خالد بن الوليد أثناء حرب المرتدين خطأ .
انظر الاصابة - مرجع سابق ج ٣ ص ٣٣٦ .

(٢) هو الحارث بن ربعي بن بلدمة الأنصاري السلمي الخزرجي - أبو قتادة. شهد أحداً ومابعدها. يقال له فارس رسول الله عليه وسلم . مختلف في تاريخ وفاته
انظر الاستيعاب - مرجع سابق ج ١ ص ١٦٢ والاصابة ج ٧ ص ١٥٥ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ١ ص ٣٧٧

(٤) انظر مثلاً الأغاني - مرجع سابق م ٥ ج ١٤ ص ٦٤-٦٥ والبلخي - كتاب البدء والتاريخ - مرجع سابق ج ٥ ص ١٥٩ - ١٦٠

اللائى يموت أولياؤهن فى الحروب كان أمراً شائعاً فى ذلك الوقت ولا غرابة اذا تزوج خالد امرأة من أشراف العرب بقصد تأليف القلوب أو بقصد اقالة العشرة .

(٣) ان أبابكر الصديق ماكان يمكن أن يقبل من خالد هذا الأمر اذا ما حدث وفق هذه الروايات لأن هذا القتل فى هذه الحالة يعتبر قتلاً عمداً ولا يتصور أن يقبله الصديق رضى الله عنه سواءاً حدث من خالد أو من غيره .

ومما يدل على رؤية أبى بكر الصحيحة لهذا الأمر قوله لبعض الصحابة الذين لاموا خالداً : هل تزيدون على أن تأول فأخطأ . (١)

وحاسب أبو بكر خالداً بسبب معاملته لجنوده فبعد أن قضى خالد رضى الله عنه على فتنة مسيلمة الكذاب باليمامة عقد صلحاً مع مجاعة بن مرارة (٢) . أحد رؤساء بنى حنيفة وكتب الى أبى بكر بهذا الصلح فأقره أبو بكر وطلب من خالد الالتزام به على الرغم من أن خالداً كان قد خدع فيه اذ أوهمه مجاعة أن بنى حنيفة مازال موجود منهم مقاتلون على رؤوس الجبال فلما تم الصلح اكتشف خالد أن المقاتلين المزعومين ماهم الا نساء بنى حنيفة اللائى كن قد لبسن لباس الحرب وظهرن على رؤوس الجبال (٣)

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء - مصدر سابق ج ١ ص ٣٧٧

(٢) هو مجاعة بن مرارة بن سلمة بن زيد . من بنى حنيفة قدم فى وفد بنى حنيفة الى النبى صلى الله عليه وسلم - أسره خالد بن الوليد فى حروب الردة وعقد معه صلحاً ووفد به على أبى بكر فعفا عنه وأمنه وكتب له أماناً ورده الى بلاده انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى - مصدر سابق ج ٥ ص ٥٤٩ - ٥٥٠

(٣) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٢٩٧

وبعد أن تم الصلح تزوج خالد من بنت مجاعة ودخل بها بأرض اليمامة فكان اذا جاءه المهاجرون والأنصار فسلموا عليه يرد عليهم السلام ويأمرهم بالجلوس فيجلس الرجل منهم حيثما جلس واذا جاءه أعمام زوجته يرفع مجالسهم ويقضى حوائجهم فغضب المسلمون لذلك واشتد عليهم مايفعله بهم خالد فكتب حسان بن ثابت (١) الى أبى بكر رضى الله عنه أبياتاً يصف له فيها معاملة خالد لهم . فلما وردت هذه الابيات على أبى بكر رضى الله عنه غضب لذلك غضبًا شديدًا ثم أقبل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ياأبا حفص ماترى الى خالد بن الوليد وحرصه على الزواج وقلة اكتراثه بمن قتل من المسلمين ؟ فقال عمر : أما والله لا يزال يأتينا من فعل خالد فى كل حين ماتضيق به الصدور . (٢)

ثم كتب أبو بكر الى خالد : "أما بعد يابن الوليد فأنك فارغ القلب حسن العزاء عن المسلمين اذا اعتكفت على النساء وبفناء بيتك ألف ومائتا رجل من المسلمين منهم سبعمائة من حملة القرآن. ان لم يخدعك مجاعة بن مرارة عن رأيك أن صالحك عنه صلح مكر وقد أمكن الله منهم . أماذا الله ياخالد ماهى بنكر وانها شبيهة بفعلك بمالك بن نويرة فسؤ ة لك ولأفعالك هذه القبيحة" (٣) .

ومن محاسبته له عتبه عليه عندما خرج حاجاً من العراق سرًا وهو على قيادة جيش المسلمين وترك جيشه بالعراق دون أن يعلم به أحد فقد ذكر ذلك ابن الأثير حين قال : " خرج خالد حاجاً من العراق سرًا لخمس يقين من ذى القعدة ومعه عدة من

---

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصارى يكنى أبو الوليد أحد المخضرمين الذين شهدوا الجاهلية والاسلام - شاعر مشهور - صحب النبى صلى الله عليه وسلم ونافح عنه. توفى فى المدينة سنة ٥٤ هـ .
انظر الاصابة - مرجع سابق ج ١ ص ٣٢٦

(٢) انظر ابن أعثم - كتاب الفتوح - مرجع سابق ج ١ ص ٣٩

(٣) د . محمد حميد الله - مجموعة الوثائق السياسية - مرجع سابق ص ٢٩٨-٢٩٩

أصحابه يعسف البلاد فأتى مكة وحج ورجع فما توافى جنده بالخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقة فقدما معاً وخالد وأصحابه محلقون ولم يعلم بحجه الا من كلمه به ولم يعلم أبو بكر بذلك الا بعد رجوعه فعتب عليه وكانت عقوبته اياه أن صرفه الى الشام ممداً جند المسلمين باليرموك" (١) .

وللحقيقة فأن سياسة أبى بكر الصديق تجاه عماله وموظفيه قد تناولها كثير من الباحثين (٢) ونقلوا عن الطبرى أن أبا بكر كان لا يقيد من عماله . (٣)

وفى رأيى أن هذا القول على اطلاقه غير صحيح ودليلى على ذلك ما استعرضته من حوادث على الرغم من أن معظمها قد وقعت نتيجة لتأويل أو اجتهاد خاطىء ومع ذلك رأينا تأنيب أبى بكر وتعنيفه لمن وقعت منهم تلك الأخطاء ولووقعت تلك الأخطاء نتيجة ظلم متعمد لكان لأبى بكر رضى الله عنه موقف آخر .

فقد ورد عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : " بلغنا أن أبابكر الصديق رضى الله عنه ولى رجلاً على اليمن فأتاه رجل أقطع اليد والرجل فذكر أن والى اليمن ظلمه فقال أبو بكر : ان كان ظلمك لأقيدنك منه " (٤)

وفى هذا النص اشارة واضحة الى عدم صحة عبارة الطبرى ومن نقل عنه .

وقد تعجبت كثيراً ممن تحدث عن سياسة أبى بكر رضى الله عنه فى محاسبة عماله

---

(١) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ مصدرسابق ج ٢ ص ٤٠٠

(٢) انظر مثلاً محمد الخضرى بك - محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية - الدولة الأموية - المكتبة التجارية الكبرى بمصر ج ٢ ص ١٠ ود . محمد ضيف الله البطانية - تاريخ الحضارة العربية الاسلامية - منشورات دار الفرقان - عمان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ج ١ ص ٦٩

(٣) انظر الطبرى - مصدرسابق ج ٣ ص ٢٧٨

(٤) انظر محمد بن ادريس الشافعى - الأم - أشرف على طبعه وباشر تصحيحه محمد زهدى النجار - دار المعرفة - بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ج ٦ ص ٤١

فقال : "... وقد كان من سياسة أبى بكر المبنية على الحكمة أنه لا يقيد منه عماله وقواده اذا حصل منهم أمر فى وجهتهم لقتال العدو لأن مفاجأة القائد وهو فى جهاد عدوه بالعقاب تخبث نفوس بقية القواد وتطمع فيهم الجند وتطلق ألسنة العيابين وتفسد الأمر...

ثم قال : " وهذه السياسة الحكيمة التى نراها فى الأمم العريقة فى الاستعمار لا تعجل بمحاسبة عمالها على خطأ كان منهم ولا تخذ لهم فى أثناء قيامهم بأعمالهم فى خدمتها وانما تتريث فى الأمر حتى اذا سكتت الزوابع وكفت السنة الشكاية وكان الأمر ثابتاً لا شبهة فيه ، عمدت الى نقل عاملها الى مكان آخر وربما زادت فى مرتبته حتى لا يتوهم الشاكون أن نقله كان بسعيهم أو أجابة لمطالبهم وفى ذلك قطع لمطامع الشاكين" (١) . وللرد على ماسبق من قول أقول :-

أولاً : أنه ليس صحيحا أن أبا بكر لا يقيد من عماله كما سبق وأن ذكرت.

ثانيا : أن المسلمين ليسوا كغيرهم من الأمم يتعلقون بالأفراد فالمسلمون يعملون من أجل تحقيق مبادئ معينة وزوال فرد أو أفراد لا يؤثر فى هذا الأمر ولقد حدث أن عزل عمر رضى الله عنه خالداً بن الوليد عن القيادة فلم تتوقف الفتوحات ولم تنقطع الانتصارات.

---

(١) عبد الوهاب النجار - الخلفاء الراشدون - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ٥١

ثالثاً : أن الاسلام ليس عنده عصمة لأحد لأن من يقترف خطأ يحاسب عليه كأئناً من كان وقد اقتاد النبي صلى الله عليه وسلم كما رأينا من ولاته وفعل نفس الشيء الخلفاء من بعده .

رابعاً : عندما استخلف أبو بكر تعهد لجماعة المسلمين بأن الضعيف عنده قوى حتى يأخذ الحق له والقوى عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه فكيف يمكن لنا أن نتصور تنكر الصديق رضي الله عنه لهذا العهد والمبدأ .

خامساً : عند الأمم الحديثة التي يتحدث عنها المؤلف بأعجاب قانون المصلحة هو السائد ولذلك أقامت هذه الأمم حضارتها على أشلاء أبناء الشعوب المستعمرة فكان طبيعيا وفق قانون المصلحة أن تكافيء هؤلاء القادة الذين قدموا لها هذه الخدمات. أما في الأسلام فالقانون السائد هو قانون العدل والحق وبالتالي فلا مجال للمقارنة .

المبحث الثالث

المحاسبة في عهد عمر رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه شديد المحاسبة لعماله وذلك حرصاً منه على عدم الاعتداء على الرعية ورفع الظلم عنها وكان رضوان الله عليه يحقق في كل شكاية تصله تتعلق بتظلم من أحد ولاته فإذا ثبت أن الوالي ظلم أو حاد أوقع عليه العقوبة. وكانت محاسبته الدائمة للولاة والعمال تبعدهم عن الظلم وتكفهم عن الجور وتمنعهم من استغلال ولاياتهم لمصلحة خاصة يجنونها لأنفسهم. ولذا كان أكثرهم قوة يخافه أكثر مما يخافه غلامه.(١)

" فمذهب التذنيب بالعمل الذي اعتبره البعض فتحاً جديداً في تهذيب العاملين المخطئين قد أدركه عمر ببساطة وطبقه بفاعلية. فالخشية من تحول بعض القيادات الشعبية الى طبقة جديدة تستأثر بخيرات المجتمع لنفسها كان الشغل الشاغل لعمر فواجهه باجراءات حاسمة وكل ذلك من سمات القيادة الملهمة بالفطرة "(٢).

والدارس لمصادر تاريخ صدر الاسلام يلحظ بوضوح محاسبة عمر رضي الله عنه لولاته على مايرتكبونه من أخطاء يترتب عليها عزل الكثير منهم ومعاتبة آخرين وتوقيع عقوبات أخرى على البعض الآخر.

فمن أمثلة محاسبة عمر لولاته وعماله على ما يقع منهم من تجاوزات على الناس ما رواه ابن الجوزي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : " كنا مع عمر في مسير فأبصر رجلاً يسرع في سيره فقال : ان هذا الرجل يريدنا فأناخ فجاء الرجل فبكى عمر رضي الله عنه فقال : ماشأنك قال : ياأمير المؤمنين اني شربت الخمر فضربني أبو موسى وسوّد

---

(١) انظر د. أحمد ابراهيم الشريف - دور الحجاز في الحياة السياسية ص ٢٢٥
(٢) د. سليمان الطماوي - عمر بن الخطاب وأصول الادارة - مرجع سابق ص ٩٣

وجهى وطاف بى ونهى الناس أن يجالسونى ، فهممت أن آخذ سيفى فأضرب به أبا موسى أو آتيك لتحولنى الى بلد لا أعرف فيه ، أو ألحق بأرض الشرك فبكى عمر رضوان الله عليه وقال : مايسرنى أنك لحقت بأرض الشرك وان لى كذا وكذا . وقال ان كنت لمن شرب الخمر فقد شرب الناس الخمر فى الجاهلية ثم كتب الى أبى موسى : ان فلانا أتانى فذكر كيت وكيت فأذا أتاك كتابى هذا فمر الناس أن يجالسوه وأن يخالطوه وان تاب فأقبل شهادته وكسأه وأمر له بمائتى درهم » (١) .

فهذا الرجل قد أصاب حداً بشربه الخمر وكان المفروض على الوالى أن يقيم عليه حد السكر فقط ولكن الوالى تجاوز فى عقوبته الأمر الذى استدعى تدخل الخليفة لرفع الظلم عن الرجل وذلك بأن كتب الى أبى موسى ليلغى تلك العقوبات الزائدة عن الحد وأن يقبل توبته اذا تاب. ولارضاء الرجل وازالة الغبن الذى لحق به أمر الخليفة بكسوته وأعطاه مائتى درهم تطييباً لخاطره .

ومن أمثلة رفضه الظلم ومحاسبته لعماله أن جيشاً له خرج للغزو فانتهوا الى نهر ليس عليه جسر فقال أمير ذلك الجيش لرجل من أصحابه : أنزل فأبغنا مخاضة نجوز فيها وذلك فى يوم شديد البرد فقال الرجل : انى أخاف ان دخلت الماء أن أموت فأكرهه الأمير : فقال الرجل : ياعمراه . ياعمراه ثم لم يلبث أن هلك فبلغ ذلك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو فى سوق المدينة فقال : يالبيكاه . يالبيكاه وبعث الى أمير ذلك الجيش فنزعه وقال له : لولا أن تكون سنة لأفدت منك . لا تعمل لى عملا أبداً . (٢)

---

(١) ابن الجوزى - مناقب عمر مصدر سابق ص ١٣١

(٢) انظر ابن شبه - تاريخ المدينة المنورة مصدر سابق ج ٣ ص ٨١٢ - ٨١٣

فهذا القائد قد استحق الزجر والعزل بسبب تكليفه بعض رعيته مالا يطيقون وتعريضهم للتهلكة .

وقد أورد ابن الجوزى حادثة قريبة من هذه ذكر فيها أن أحد العمال أرغم رجلاً من قومه على النزول فى وادى لينظر عمقه مما أدى الى وفاته فاستقدم عمر رضى الله عنه ذلك العامل وألزمه بدفع الدية وعزله من عمله .(١)

ومن الجائز أن تكون هاتين القصتين خبرًا واحدًا صيغ بعبارات مختلفة ومما يرجح ذلك أن ابن الجوزى قد أوردها فى موقع آخر من كتابه وفيها أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : "أما لولا أنى أخاف الله أن تكون سنة بعدى لضربت عنقك ولكن لا تبرح حتى تؤدى ديته والله لا أوليك أبدا"(٢) .

ومن أمثلة محاسبته رضى الله عنه لولاته محاسبته لواليه أبى موسى الأشعرى حين حلق شعر أحد جنوده لرفضه قبول بعض السهم الذى غنمه فى الحرب واصراره على الحصول على سهمه كاملاً فكتب الخليفة الى واليه يأمره بأن ينصف الجندى ويسمح له بالقصاص منه وكان ذلك الجندى قد اتبع أسلوبا غير لائق فى عرض مظلمته اذ جمع شعره وضرب به صدر عمر ولكن عمر رضى الله عنه لم يغضب من فعله وانما قال : لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا أحب الى من جميع ما أفاء الله علينا . وقد امتثل الوالى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه لتعليمات الخليفة الراشد وأرضى الجندى المتظلم .(٣)

---

(١) انظر ابن الجوزى - مناقب عمر ابن الخطاب - مرجع سابق ص ٩٣ وكذلك ص ١٤٢
(٢) انظر المصدر السابق ص ٧٦
(٣) انظر المصدر السابق ص ٣٠٦

كما حاسب رضى الله عنه عامله على الصدقات محمد بن مسلمة وذلك حين قصّر في حق امرأة مسكينة.جاء في كتاب الأموال : " بينما عمر نصف النهار قائل في ظل شجرة واذا أعرابية فتوسمت الناس فجاءته فقالت انى امرأة مسكينة ولى بنون وان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً فلم يغطنا فلعلك يرحمك الله أن تشفع لنا اليه فصاح بيرفأ أن أدع لى محمد بن مسلمة. فقالت: انه أنجح لحاجتى أن تقوم معى اليه . فقال : انه سيفعل ان شاء الله، فجاءه يرفأ فقال : أجب فجاءه فقال : السلام عليك ياأمير المؤمنين ، فاستحيت المرأة فقال عمر : والله ماآلو أن أختار خياركم . كيف أنت قائل اذا سألك الله عز وجل عن هذه ؟ فدمعت عينا محمد . ثم قال عمر: ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فصدقناه واتبعناه فعمل بماأمره الله به فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسنته حتى قبضه الله ثم استخلفنى فلم آل أن أختار خياركم . أن بعثتك فأد اليها صدقة العام وعام أول وماأدرى لعلى لاأبعثك ثم دعا لها بجمل فأعطاها دقيقًا وزيتاً وقال : خذى هذا حتى تلحقينا بخيبر فأنا نريدها فأتته بخيبر فدعا لها بجملين آخرين وقال : خذى هذا فأن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة فقد أمرته أن يعطيك حقك العام وعام أول" (١)

ان أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه يعرف من من عماله تصلح معه الموعظة ومن منهم تصلح معه الشدة . فمحمد بن مسلمة من الصنف الذى تصلح معه الموعظة ولذلك دمعت عيناه عندما ذكره أمير المؤمنين بسؤال الله له عن المرأة المسكينة ومع ذلك فقد ألمح اليه أنه ربما يعزله عن عمله وقام الخليفة رضوان الله عليه برفع المظلمة الواقعة على هذه المرأة.

---

(١) أبى عبيد - الأموال - مرجع سابق - ص ٧١٢ - ٧١٣ .

وأمر محمد بن مسلمة أن يعطيها حقها لهذا العام والعام الذى قبله عندما يذهب لعمله .

وكان عمر رضى الله عنه عندما يأتيه وفد من جهة من الجهات يسألهم عن أميرهم وعما اذا كانوا ناقمين عليه فى شىء فأذا اشتكوا منه تحقق من شكايتهم وعمل على ازالة الضرر .

فمن ذلك شكوى أهل الكوفة من عاملهم عمار بن ياسر حيث ذكروا لعمر رضى الله عنه أنه لا يحتمل ماهو فيه فدعاه عمر فخرج وخرج معه وفد من أهل الكوفة ممن كان يظن أنهم سيشهدون له فكانوا أشد عليه ممن تخلف عنه وقالوا لعمر : انه غير كاف وغير عالم بالسياسة ولا يدرى على ماستعملته ؟ وأخبروا عمر عنه بأشياء يكرهها فعزله عمر وقال لعمار : أساءك العزل ؟ قال والله ماسرنى حين استعملت ولقد ساءنى حين عزلت . فقال له عمر : قد علمنا أنت بصاحب عمل ولكنى تأولت "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين" (١) .

ثم سأل عمر وفد الكوفة فقال : من تريدون أميراً عليكم ؟ فقالوا : أبو موسى الأشعرى فأمره عليهم " (٢) .

وللحقيقة فأنى أشك فى هذا الجزء الأخير من الرواية وذلك لما نعلمه من حرص عمر رضى الله عنه على مصالح الناس وعدم المجاملة فى الحق فكيف يعلم عمر أن عماراً غير كفء ثم يعينه على مصالح الناس وهو القائل : " من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يستعمله الا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين " (٣) وكفاءة عمار ليست محل نزاع ولكن أهل الكوفة معروف عنهم أنهم كانوا كثيرى الشكوى من أمرائهم ولم يكل عليهم أحد الا شكوه وحتى أبا موسى الذى اختاروه بأنفسهم عادوا بعد فترة وجيزة فاشتكوا

---

(١) سورة القصص الاية (٥)
(٢) انظر ابن الأثير الكامل فى مصدر سابق ج ٣ ص ٣١ - ٣٢
(٣) انظر ابن الجوزى - مناقب عمر - مصدر سابق ص ٧٨

منه وقالوا ان غلامه يتجر فى العلف. فعزله عمر رضى الله عنه وصرفه الى البصرة (١).

وفى أثناء اماراته على البصرة خرج أبو موسى غازياً فى سبيل الله فلما فتح الله عليه مدينة أصبهان كتب الى عمر رضى الله عنه يخبره بالفتح وأرسل وفداً مع الكتاب فجاءه رجل من عنيزة اسمه ضبة بن محصن (٢) وطلب أن يكون فى الوفد فرفض أبو موسى طلبه فذهب الرجل الى عمر شاكياً وكتب أبو موسى فى شأنه كتاباً الى عمر فظل عمر يرده أياماً ثم أذن له فشكا أبا موسى وقال انه انتقى ستين غلاماً من أبناء الدهاقين وله جارية تدعى عقيلة تغدى جفنة وتعشى جفنة وليس ذلك لبقية المسلمين كما أن له قفيزان وأنه فوض زياداً وأجاز الحطيئة (٣) الشاعر بألف فدعا عمر أبا موسى فلما حضر واجهه بهذه التهم وأحضر غريمه كذلك. وطلب عمر من أبى موسى الرد على هذه الاتهامات فقال عن الستين غلاما أنه دل عليهم وأنه فداهم من ماله فقال خصمه : لقد صدق وماكذبت وعندما سأله عن الجارية سكت أبو موسى فعلم عمر رضى الله عنه أن الرجل قد صدق فى اتهامه ثم سأله عن القفيزين فقال : نعم قفيز أكيل به لأهلى ودوابى فقال خصمه : صدق وماكذبت . ثم سأله عن تفويض زياد فقال أبو موسى : انى قد وجدته وافر العقل مدبراً فأخذته وأما عن اجازته الشاعر الحطيئة فقال أبو موسى : انه قد أسكت لسانه عن هجائه وهجاء المسلمين بالمال . فطلب منه عمر رضى الله عنه أن يرسل اليه بالجارية وزياد فأرسل له الجارية . فأبقاها عمر رضى الله عنه بالمدينة وعندما وصل زياد الى المدينة اختبره عمر فوجده مدبراً فأقره وأقر أبا موسى . (٣)

---

(١) انظر ابن الأثير - الكامل ج ٣ ص ٣٢

(٢) ضبة بن محصن العنزى روى عن عمر بن الخطاب - انظر الطبقات ج ٧ ص ١٠٣

(٣) هو جرول بن أوس بن مالك العبسى - أبو مليكة - شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وكان هجاءاً توفى سنة ٤٥هـ وقيل سنة ٥٩ - انظر الأغانى ج ٢ ص ٤١ ومابعدها .

(٤) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٤ ص ١٨٤ - ١٨٦

وكان أهل الكوفة والبصرة دائمى الشكاية من أمرائهم فقد شكوا سعداً بن أبى وقاص رضى الله عنه وقالوا عنه أنه لا يحسن حتى الصلاة فاستدعاه عمر رضى الله عنه وسأله فقال سعد : أما أنا فأنى كنت أصلى بهم صلاه رسول الله صلاتى العشى لا أخرم فيها أركد فى الأوليين وأخرم فى الأخريين فقال عمر : ذلك الظن بك وأرسل من سأل عنه بالكوفة فكانوا لا يأتون مسجداً من مساجد الكوفة الا قالوا خيراً حتى أتوا مسجداً لبنى عبس فقال رجل يقال له أبو سعدة : أما اذا نشدتمونا بالله فأنه لا يعدل فى القضية ولا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية . فقال سعد : اللهم ان كان كاذباً فأعم بصره وأطل عمره وعرضه للفتنة . قال الراوى : فأنا رأيته يتعرض للاماء فى السكك فأذا سئل كيف أنت ؟ يقول كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد . (١)

وقد سبق أن ذكرنا سؤال عمر لعمرو بن معديكرب عن سعد وثناء عمرو عليه . (٢)

كما أن أهل البصرة شكوا عاملهم المغيرة بن شعبة الى عمر واتهموه بالزنا لأحن كانت بينهم فجمعهم عمر وسألهم فلما اختلف الشهود أقام عليهم حد القذف وعزل المغيرة عن الولاية (٣) وذلك حتى يحفظ للولاية احترامها وللسلطة هيبتها .

كذلك اشتكى أهل حمص عاملهم سعيد بن عامر الى عمر بن الخطاب ونقموا عليه فى أشياء ذكروا منها :-

١ - أنه لا يخرج اليهم الا بعد أن يرتفع النهار .

٢ - وأنه لا يخرج اليهم بالليل البتة .

٣ - وأنه لا يخرج اليهم مرة كل شهر .

٤ - وأنه تنتابه حالة من الذهول من حين لآخر .

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١١٣

(٢) انظر البيان والتبين ج ٢ ص ٦٨

(٣) انظر الطبرى ج ٤ ص ٧٠ - ٧١ وابن الاثير الكامل ج ٢ ص ٥٤٠ - ٥٤٢

فأرسل اليه عمر ليحضر فلما حضر سأله عن هذه الأشياء فأجاب بأنه ليس لأهله خادم فهو يعجن لأهله خبزهم كل يوم ولذلك لا يخرج حتى يرتفع النهار. أما كونه لا يجيب أحداً فأنه قسم يومه بين الخلق والخالق فجعل النهار للعباد والليل للقيام والتهجد .

أما أنه لا يخرج اليهم مرة كل شهر فذلك لأنه لا يملك غير ثوب واحد ويضطر الى غسله مرة كل شهر فيبقى بداره حتى يجف ثوبه. أما عن الحالة التى تغشاه فقد ذكر للخليفة أنه شارك أهل مكة قبل اسلامه فى قتل الصحابى الأسير خبيب بن عدى (١) وأنه كلما تذكر ذلك الموقف أصابته تلك الغاشية فأثنى عليه عمر وبعث اليه بألف دينار ليستعين بها على قضاء حوائجه فوزعها على المسلمين واستقال من عمله. (٢) أما الأمير الذى خلفه على حمص فقد سأل عنه عمر رضى الله عنه وفداً قدم عليه فقال : كيف أميركم ؟ قالوا : خير أمير الا أنه بنى علية يكون فيها فكتب اليه كتاباً وأرسل بريداً وأمره أن يحرقها فلما جاءها جمع حطباً وأحرق بابها فأخبر الأمير بذلك فقال : دعوه فأنه رسول ثم ناوله الكتاب فلم يضعه من يده حتى ركب اليه فلما رآه عمر قال : ألحقنى الى الحرة وفيها ابل الصدقة قال عمر للوالى : انزع ثيابك فألقى اليه نمرة من أوبار الابل ثم قال له : افتح واسقى هذه الابل فلم يذل ينزع حتى تعب ثم قال له : متى عهدك بهذا ؟ قال : قريب يا أمير المؤمنين قال : فلذلك بنيت العلية وارتفعت بها على المساكين والأرملة واليتيم . ارجع الى عملك ولا تعد. (٣) وكان عمر رضى الله

---

(١) هو خبيب بن عدى بن مالك بن عامر الأوسى الانصارى. شهد بدراً. أسره المشركون وباعوه لأهل مكة، فقتلوه انتقاما لبعض قتلى بدر . انظر أسد الغابة مرجع سابق ج ١ ص ٥٩٧ - ٥٩٩ .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٣١٥

(٣) انظر كنز العمال ج ٥ ص ٧٧١

عنه حريصا على ألا ينفصل الوالى عن رعيته ولهذا السبب عندما سمع أن سعداً بن أبى وقاص والى الكوفة قد اتخذ قصراً أرسل اليه محمد بن مسلمة وأمره بأن يحرق باب هذا القصر ثم يرجع ففعل فبلغ ذلك سعداً فقال : هذا رسول أرسل لهذا فاستدعاه سعد فأبى أن يدخل اليه فخرج اليه سعد وعرض عليه نفقة فلم يأخذها وأبلغه كتاب عمر اليه وفيه : " بلغنى انك اتخذت قصراً جعلته حصناً ويسمى قصر سعد بينك وبين الناس باب ، فليس بقصرك ولكنه قصر الخيال. أنزل منه مما يلى بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر باباً يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت ". فحلف له سعد بأنه ما قال الذى قالوا . فرجع محمد من فوره حتى اذا دنا من المدينة فنى زاده فتبلغ بلحاء الشجر فقدم المدينة فأبلغ عمر قول سعد فصدقه وقال : هو أصدق ممن روى عليه وممن أبلغنى .(١) كذلك حاسب عمر رضى الله عنه واليه على مصر عمرو بن العاص على نقصان خراج مصر فقد جبى المقوقس من خراج مصر عشرين ألف ألف دينار وجبى عمرو خراجها فى العام الذى يليه باثنى عشر ألف ألف دينار فكتب الخليفة الى عمرو ابن العاص كتاباً أشار فيه الى تأخير الخراج وقلبته واتهم جهاز عمرو بن العاص الادارى بالفساد والتقصير فرد عمرو على الخليفة بكتاب نفى فيه التهمة عن نفسه وعن جهازه الادارى . وتبودلت الرسائل والكتب بين الخليفة وواليه فيما يتعلق بهذا الأمر .(٢)

---

(١) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٥٣٠ وانظر كذلك أبو حنيفة أحمد بن داؤد الدينورى. الأخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة د . جمال الدين الشيال - دار احياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى وشركاؤه الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٦٠ ص ١٢٤

(٢) انظر كنز العمال ج ٥ ص ٦٩٦ - ٧٠٢

وكان الخليفة عمر رضى الله عنه قد كتب الى واليه عمرو بن العاص كتاباً ذكر فيه أنه قد بلغه أن أموال عمرو قد زادت ويسأله كيف حصلت هذه الزيادة.جاء فى الكتاب " من عبد الله عمر الى عمرو بن العاص سلام عليك . أما بعد فأنه قد بلغنى أنه فشت لك فاشية من خيل وابل وبقر وعبيد وعهدى بك قبل ذلك ولا مال لك فأكتب الىّ من أين أصل هذا المال ». (١) وابراءً لذمته رد عمرو بن العاص على كتاب أمير المؤمنين بكتاب جاء فيه : " لعبد الله عمر أمير المؤمنين . سلام عليك فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فأنه أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشية مال فشت لى وأنه يعرفنى قبل ذلك ولا مال لى وانى أعلم أمير المؤمنين أنى ببلد السعر فيه رخيص وانى أعالج من الزراعة مايعالجه الناس وفى رزق أمير المؤمنين سعة.والله لو رأيت خيانتك حلالاً ما خنتك .» (٢)

وكان عمر رضوان الله عليه - يحاسب ولاته حتى على تصرفاتهم الشخصية اذا رأى أن هذه التصرفات يمكن أن تخدش سمعة الادارة أو تمسها بسوء . وكان دقيقاً فى رقابته على التصرفات الشخصية والآثار الناجمة عنها. فمن أمثلة ذلك أنه حاسب عامله على ميسان (٣) النعمان بن عدى لأنه قال شعراً فى الخمر ولم يكن يشربها وعندما استدعاه عمر وسأله قال له انما أنا شاعر أقول مالا أفعل فلم يقبل عمر اعتذاره وعزله (٤)

وعندما تزوج حذيفة بن اليمان عامله على المدائن من أهل الكتاب كتب اليه عمر : " بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقتها " فكتب اليه حذيفة : لا أفعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام ؟ وماأردت بذلك ؟ فكتب اليه :لا بل حلال ولكن فى نساء الأعاجم خلابة فأن أقبلتم عليهن غلبتكم على نسائكم . فقال حذيفة

---

(١) القلقشندى مآثر الأناقة فى معالم الخلافة ج ٣ ص ٢٥٢
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٨٠
(٣) ميسان - كورة واسعة القرى والنخل بين البصرة وواسط.فتحت فى أيام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه - معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٢ - ١٤٣
(٤) أنظر أسد الغابه ج ٤ ص ٥٥٩

الآن تطلقها "(١)

وكان مما يحاسب عليه عمر الاداريين اللحن والخطأ فى اللغة العربية - لغة القرآن واللغة الرسمية للدولة - فقد كتب الى أبى موسى الأشعرى أن أضرب كاتبك سوطاً وأعزله عن عمله وذلك أن كاتب أبى موسى كتب الى عمر : من أبو موسى وكان عليه أن يكتب من أبى موسى (٢) .

ومن محاسباته على التصرفات الخاصة التى ربما يكون لها تأثير على الصالح العام محاسبة معاوية الى الشام حين قدم على عمر وهو أبيض فضرب عمر بيده على عضده فأقلع عن مثل الشراب أو الشراك فقال : هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذوى الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك . (٣) ومنها أنه رضى الله عنه استعمل مجاشع ابن مسعود على عمل فبلغه أن امرأته تجدد بيوتها فكتب اليه عمر رضى الله عنه : " من عبد الله أمير المؤمنين الى مجاشع بن مسعود سلام عليك أما بعد فقد بلغنى أن الخضيراء تحدث بيوتها فاذا أتاك كتابى هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يديك حتى تهتك ستورها . فأتاه الكتاب والقوم عنده جلوس فنظر فى الكتاب فعرف القوم أنه قد أتاه بشىء يكرهه فأمسك الكتاب بيده ثم قال للقوم : انهضوا فنهضوا ولا يدرون الى ماينهضهم . فانطلق بهم حتى انتهى الى باب داره فدخل فلقيته امرأته فعرفت الشر فى وجهه فقالت له مالك ؟ فقال لها : اليك عنى فقد أرضتنى فذهبت المرأة وقال للقوم : ادخلوا فدخل القوم فقال : فليأخذ كل رجل مايليه من هذا النحو واهتكوا فهتكوها جميعا حتى ألقوها الى الأرض والكتاب فى يده لم يضعه " (٤) .

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٤٧ .
(٢) محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ١٣٥
(٣) انظر أبو العباس المبرد - الكامل فى اللغة والأدب مكتبة المصارف بيروت ج ١ ص ١٥
(٤) ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة مرجع سابق ج ٣ - ص ٨١٩

وسياسة عمر هذه التى ألزم بها واليه مجاشع بن مسعود كان قد طبقها بنفسه مع واليه على الشام يزيد بن أبى سفيان. فعندما جاء عمر الى الشام وكان يزيد والياً عليها دعا عمر الى طعامه فأذا بيت مستور فوضع عمر رضى الله عنه طيلسانه ثم خفق بتلك الستور يقطعها بينما أخذ يزيد يقول أعوذ بالله من غضب الله وغضب أمير المؤمنين. فبين له عمر وجهة نظره فى هذا الأمر حين قال له :- أتلبس الحيطان مالوا ألبسته قوماً من الناس لسترهم من الحر والقر. (١)

وبلغ عمر أن عامله عياض بن غنم قد اتخذ حماماً وتقلب فى النعيم فأرسل اليه فلما حضر أعطاه عصاً وجبة صوف وغنماً وقال له أرعها فأن أباك كان راعياً . ثم استدعاه بعد مدة فلما رأى أن العقوبة قد حققت القصد منها أرجعه الى ولايته واشترط عليه ألا يلبس رقيقاً . (٢)

وطلب عمر عامله زياد بن عبد الله (٣) فجاءه وعليه ثياب من كتان وخفاف من نوع فاخر وكان فى يد الخليفة مخصرة على رأسها حديدة فغمزها فى خفى زياد حتى آذى رجليه . فلما كان الغد رجع اليه زياد فى خفين غليظين وعليه ثوبان من قطن فلما رآه عمر هش له وقال : هكذا يا زياد ، هكذا يا زياد . (٤)

ان عمر رضى الله عنه لم يفرض على ولاته أسلوبه فى الحياة وكل ما طالبهم به هو القصد والاعتدال. فلقد وفد عليه عامله من اليمن وعليه حلة فاخرة وهو مرجل الشعر فقال له عمر أهكذا بعثناك فأمر بالحلة فنزعت عنه فالبسه جبة صوف ثم سأله عن ولايته

---

(١) انظر مصدر السابق ج ٣ ص ٨٣٢

(٢) انظر الطبرى ج ٤ ص ٢٠٧ وابن شبة - تاريخ المدينة ج ٣ ص ٨١٧ وابن الجوزى - مناقب عمر ص ١١٨ - ١٢٠

(٣) زياد بن عبد الله الأنصارى صحابى له رواية ويعد من أهل الكوفة - انظر اسد الغابة ج ٢ ص ١٢٠

(٤) انظر د . سليمان الطماوى - عمر بن الخطاب وأصول السياسة ص ٧٤

فلم يذكر الا خيراً فرده الى عمله ثم وفد عليه بعد ذلك فأذا العامل أشعث مغبر وعليه أطلاس - فقال له عمر : لا وكل هذا . ان عاملنا ليس بالشعث ولا العافى كلوا واشربوا وادهنوا انكم تعلمون الذى أكره من أمركم (١)

ومن محاسبته لقادته العسكرين محاسبته لخالد بن الوليد حيث أنه أصاب أموالا عظيمة فقصده رجال منهم الأشعث بن قيس (٢) فأجازه خالد بعشرة آلاف فلما بلغ عمر ذلك كتب الى أبى عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويكشف عمامته وينزع قلنسوته ويقيده بعمامته ويسأله عن هذه العشرة آلاف ان كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف وان كان من مال الصائغة فهو خيانة ثم عزله عن عمله .

ولما قدم خالد الى المدينة سأله عمر من أين هذا اليسار الذى تجيز منه بعشرة آلاف ؟ فقال : من الأنفال والسهمان . قال : فما زاد عن الستين ألفاً فليس لك ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفا ثم قال " ياخالد والله انك علىّ لكريم وانك الى لحبيب ولن تعمل لى بعد اليوم على شىء " (٣) .

كما كان قد حاسبه على تدلكه بالخمر فكتب اليه خالد : انا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر فكتب اليه عمر : ان آل المغيرة ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه ثم كتب الى أبى عبيدة لمحاسبته (٤) .

ومنها محاسبته لقادة الفتح بالشام حين كتب اليهم أن يوافوه بالجابية (٥) ليوم سماه لهم ويستخلفوا على أعمالهم فلقوه على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٦٢

(٢) الأشعث بن قيس بن معدى يكرب الكندى له صحبه ورواية وأصيبت عينه يوم اليرموك وكان من امراء على فى صفين تزوج أخت أبى بكر الصديق - توفى سنة ٤٠ هـ انظر سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٧

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية ج ٧ والطبرى ج ٤ ص ٦٦ - ٦٨

(٤) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٥٣٦

(٥) الجابية : قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفر فى شمالى حوران . انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٩١

وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال : ماأسرع مارجعتم عن رأيكم اياى تستقبلون فى هذا الزى وانما شيعتم منذ سنتين فقالوا : ياأمير المؤمنين انها يلاصقه (١) وان علينا السلاح قال : فنعم اذن (٢) .

وكتب عتبة بن غزوان الى عمر بن الخطاب يخبره بفتوحاته (٣) فقال : عمر لعتبة : من استخلفت على أهل البصرة ؟ فقال: مجاشع بن مسعود. فلامه عمر على استعمال رجل من أهل الوبر على أهل المدر (٤) .

وهذا ان دل على شيء انما يدل على سعة فقه عمر الادارى ومعرفته بالناس فأهل الحضر يصعب عليهم الانقياد لأهل البادية وهذا هو مبدأ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب الذى اكتشفته الادارة الحديثة مؤخرًا. أما عن الأمير نفسه فلا اعتراض عليه بدليل أن عمر نفسه كان قد ولاه فيما سبق ولكن فيما يناسبه . ولو حاول باحث أن يستقصى محاسبات عمر رضى الله عنه لولاته وعماله وقواده لوجد الكثير والكثير جداً من الشواهد التى لا يسمح المجال باستعراضها ، جميعاً ولكنى اخترت بعض النماذج والأمثلة التى تدل على اهتمامه رضوان الله عليه بهذا الأمر حتى عرف عنه أنه كان يأخذ ولاته بالشدة وبالرقابة الصارمة .

وسنتعرض فيما يلى لبعض وسائل عمر رضى الله عنه فى الرقابة .

---

(١) اليلمق هو القباء المحشو أنظر الكامل فى التاريخ ٢ج ص ٥٣٦
(٢) انظر الطبرى ج ٣ ص ٦٠٧ وابن الأثير والكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٥٠٠
(٣) انظر الطبرى ج ٣ ص ٥٩٥
(٤) عتبة بن غزوان بن جابر - أبو عبد الله. كان سابع سبعة فى الاسلام مع رسول الله . هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدراً وبقية المشاهد. أحد قادة الفتوح مات سنة ١٧هـ.
انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

وسائل عمر بن الخطاب فى المحاسبة :-

فى ممارسته للرقابة الادارية استخدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عددا من الوسائل التى تمكنه من ممارسة المحاسبة من هذه الوسائل :-

١ - تلقى الشكاوى والتحقيق منها .

٢ - السؤال عن أحوال الرعية والرعاة .

٣ - التفتيش الادارى .

٤ - الاجتماع السنوى فى موسم الحج .

٥ - احصاء أموال الولاة عند تعينهم ومقاسمتهم عند عزلهم اذا ثبتت زيادتها بطريقة غير مشروعة .

٦ - الاستدعاء من مقر العمل الى عاصمة الخلافة .

وسنحاول هنا التعرض لهذه الوسائل بشىء من التفصيل :-

١ - تلقى الشكاوى والتحقيق فيها :-

ويسميها بعض الكتاب بسياسة الباب المفتوح (١) ويقصد بها أن عمر رضى الله عنه كان يفتح بابه لاستقبال شكاوى رعيته ضد العمال والموظفين ويحقق فى هذه الشكاوى ويرتب عليها الجزاءات المناسبة بل ان عمر رضى الله عنه كان يشجع رعيته على ممارسة هذا الحق (٢) .

وقد كان رضى الله عنه يحقق فى القضايا التى ترده ولا يفصل فيها الا بعد تدقيق وتمحيص فقد قال عنه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه : " كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع (٣) .

---

(١) انظر د . أحمد أبراهيم أبو سن - الادارة فى الاسلام - مرجع سابق ص ١٢٤

(٢) انظر الطبرى مصدر سابق ج ٤ ص ٢٠٤ وابن شبه - تاريخ المدينة المنورة ج٣ ص ٨٠٦

(٣) كتاب الأمالى للقالى ص ٢١

ولذلك نجده قد اتخذ عاملاً للتحقيق فى الشكاوى [١] فلقد أوكل رضى الله عنه الى محمد بن مسلمة مهمة التحقيق فى الشكاوى التى ترد عليه من المواطنين وقد اتبع فى أسلوب التحقيق العلانية.فكان يسأل من يريد سؤاله على ملاء من الناس [٢] ..

وسنذكر فيما يلى بعض الشكاوى التى وردت على عمر وحقق فيها ثم اتخذ بشأنها القرار المناسب .

١ - من تلك الشكاوى شكوى المصرى الذى ضرب ابن عمرو بن العاص ابنه فى السباق الذى جرى بينهما . فقد كسب ابن ذلك المصرى السباق ولكن ابن عمرو ابن العاص ضربه بالسوط وقال له : خذها وأنا ابن الأكرمين اتكالاً على سلطان أبيه فما كان من هذا القبطى الا أن رحل الى المدينة وقطع المسافات الشاسعة طالباً عدل عمر . فما كان من عمر الا ان استدعى عمراً وابنه ومكن المصرى من آخذ حقه وقال قولته المشهورة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا [٣] .

وان المرء ليعجب من التحول الذى طرأ على ذلك القبطى وقومه فقد كان الرومان يذلونهم أشد الاذلال ومع ذلك لا يشكون ولا يتذمرون ولكنه فى ظل حكم المسلمين كان مطمئناً الى أن شكواه لن تضيع وأن عمر لن يغلق الباب فى وجهه .

٢ - ومنها قصة ذلك التجيبى الذى قال له عمرو بن العاص على ملأ من الناس : يا منافق فأقسم ذلك التجيبى ألا يغسل رأسه ولا يدهنه حتى يبلغ عمر ويشكو اليه عمراً بن العاص فأتى عمر رضى الله عنه وقال له : ياأمير المؤمنين ان عمراً نقضنى ولا والله ما نافقت منذ أسلمت فكتب عمر رضى الله عنه الى عمرو بن العاص وكان اذا غضب عليه يكتب الى العاص بن العاص :-

---

(١) انظر أبى عبد الله الجهشيارى - الوزراء والكتاب حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى - الطبعة الثانية ١٤٠١-١٩٨٠م ص ٨٥

(٢) انظر محمد عبد الله الشيانى - الخدمة المدنية - مرجع سابق ص ٣٣

(٣) انظر الأبشيهى - المستطرف مرجع سابق ج ١ ص ٢٣٩ وابن الجوزى - مناقب عمر ص ٩٨ وأبو المحاسن - النجوم الزاهرة - مرجع سابق ج ١ ص ١٠٤

" أما بعد فأن فلانا التجيبى ذكر انك نفقته وقد أمرته ان أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين أو قال سبعين فقام الرجل فى المسجد وطلب شهادة من سمع عمر ينفقه فقام عامة أهل المسجد يشهدون له. فقام اليه رجل وقال : أتريد أن تضرب الأمير وعرض عليه الأرش (١) فأبى الرجل فأمكنه عمرو من السوط وجلس بين يديه فقال الرجل لعمرو : أتقدر أن تمتنع منى بسلطانك؟ قال : لا . قال : فأنى أدعك لله. (٢)

٣ ومنها ما رواه أحد الدهاقين حيث ذكر أن عاملا لعمر بن الخطاب كانت له ضيعة مجاورة لهذا الدهقان فظلمه وتعدى عليه فقال ذلك الدهقان : لأرحلن الى عمر ابن الخطاب فقالت له زوجة : انى أخاف الا تصنع شيئاً فقال لها : انى اكره أن تحدث العجم بأنى قد قلت شيئاً ولم أفعله. قال : فخرجت حتى أتيت المدينة فدخلت على عمر وكان جالساً على عباءة فرفع رأسه وقال : كأنك لست من أهل الملة ؟ فقلت أنا رجل من أهل الذمة. قال ماحاجتك؟ فأخبره بالقصة فقال عمر لخادمه : أتنى بالدواة والمكتب فأته بجراب فأدخل يده فيه وأخرج صحيفة فكتب فيها ثم أخرج سيراً يشدها به فلم يقدر عليه فتناول خيطاً من العباءة التى تحته وقد تنشرت جوانبها فشدها به . قال الدهقان : فأردت ألا أخذها ثم تناولتها متثاقلاً فكأنه عرف مافى نفسى فقال : ائته فأن كفاك والا فأقم واكتب الى فخرجت حتى قدمت على أهلى فقالوا : ماصنعت؟ قلت: أتيت رجلاً لم يقدر على سير يشد به صحيفته حتى تناول خيطاً من عباءة تحته قد تنشرت جوانبها فشدها به . قالوا ماعليك من ذلك اذا نفذ أمره؟ قال:

---

(١) الأرش هو المال الواجب فى الجناية على مادون النفس وقد يطلق على بدل النفس وهو الدية. انظر الموسوعة الفقهية - وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م مطبعة الموسوعة الفقهية ج ٣ص ١٠٤

(٢) انظر ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة - مرجع سابق ج ٣ ص ٨٠٨ وابن الجوزى مناقب عمر - مرجع سابق ص ٩٦ .

فأتيت ذلك العامل فناولته الكتاب فلما قرأه ارتعدت فرائصه حتى سقط الكتاب من يده وقال : ويلك ماصنعت ؟ اذهب فالأرض أرضك فقلت لا أقبلها. فقال : لا والله ماأخذتها أبداً وكان عمر قد كتب للعامل بأن يرضى الدهقان أو يقبل اليه راحلاً . (١)

٤ - ومن تلك الشكايات التى وردت على عمر وتحقق منها شكاية الجارود بن المعلى سيد عبد القيس لقدامة بن مظعون عامل عمر على البحرين بسبب شربه للخمر فطلب عمر من الجارود أن يأتى بمن يشهد معه فأتى بأبى هريرة الذى شهد بأنه لم يره يشرب الخمر ولكنه رأه يتقيأها فأرسل عمر الى قدامة فاستقدمه وسأل زوجه فأقرت عليه فأقام عليه الحد وعزله عن عمله . (٢)

٥ - ومن الشكاوى التى تحقق عمر منها شكوى أبى بكرة (٣) ومعه بعض أهل البصرة لواليهم المغيرة بن شعبة حيث اتهموه بالزنا فأرسل اليه عمر كتابا جاء فيه :-

" أما بعد فقد بلغنى نبأ عظيم فبعث أبا موسى أميراً فسلم اليه مافى يدك والعجل " (٤) - وأجرى الخليفة تحقيقاً فى الأمر كانت نتيجته عدم ثبوت التهمة على المغيرة فجلد عمر أبا بكرة وأصحابه حد القذف وعزل المغيرة . (٥) .

وهكذا اتخذ عمر من فتح بابه لاستقبال الشكاوى وسيلة من وسائل الرقابة الادارية فالموظف الذى يعلم أن أخطاءه يمكن أن تصل الى الخليفة سيحاول بقدر الامكان

---

(١) انظر البيهقى - المحاسن والمساوئ - مرجع سابق ص ٤٩٤

(٢) انظر ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة ج ٣ ص ٨٤٢ - ٨٤٥ ونهاية الأرب ج ١٩ ص ٣٦٣

(٣) أبو بكرة اسمه نفيع بن الحارث تدلى فى حصار الطائف ببكرة فسمى بذلك . اعتقه النبى صلى الله عليه وسلم - أخو زياد بن أبيه لأمه - روى جملة أحاديث سكن البصرة وكان من فقهاء الصحابة توفى سنة ٥٢ هـ انظر سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥

(٤) ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٧ ص ٨٣ .

(٥) انظر النويرى - نهاية الأرب - مصدر سابق ج ١٩ ص ٣٥

تجنب الوقوع فى الأخطاء وسيسعى لرد المظالم الى أهلها حتى لا يكون عرضة لغضب الخليفة ومحاسبته وهذا الأسلوب العمرى أخذت به الادارات الحديثة حيث أنشئت فى كثير من الادارات أقسام لتلقى الشكاوى والتحقيق فيها .

٢ - السؤال :-

من وسائل عمر رضى الله عنه فى الرقابة السؤال الدائم عن أحوال الرعاة والرعية فما يجيئه قادم من ناحية من النواحى الا سأله عمر عن أحوال المصر الذى قدم منه .

جاء فى كنز العمال "كان عمر اذا استعمل عاملاً فقدم عليه الوفد من تلك البلاد قال: كيف أميركم ؟ أيعود المملوك ؟ أيتبع الجنازة ؟ كيف بابه ؟ ألين هو ؟ فأن قالوا بابه لين ويعود المملوك نزكه والا بعث اليه ينزعه ." (١)

وجاء فى عيون الاخبار : "كان عمر اذا قدم عليه الوفد سألهم عن أحوالهم وأسعارهم وعمن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض ؟ فأن قالوا : نعم حمد الله تعالى ، وان قالوا : لا كتب اليه : أقبل" (٢) .

وكان رضى الله عنه يسأل حتى عن نفسه فقد روى عنه أنه قال لحذيفة :- "نشدتك الله ويخف الولاية عليك كيف ترانى ؟ قال : ماعلمت الا خيرًا فنشده بالله فقال : ان أخذت فى الله فقسمته فى ذات الله فأنت أنت والا فلا . فقال : والله ان الله ليعلم ماآخذ الا حصتى ولا آكل الا وجبتنى ولا ألبس الا حلتى ". (٣)

ومن اهتمام عمر رضى الله عنه بالسؤال عن أحوال الناس أنه كان فى أيام فتوح العراق يخرج من المدينة فيسير الميلين والثلاثة على طريق العراق فلا يطلع عليه راكب من تلك الجهة الا يسأله عن الأخبار فبينما هو يومًا كذلك اذ طلع عليه البشير بالفتح فلما رآه عمر سأله ماالخبر ؟ قال : فتح الله على المسلمين وانهزمت العجم وجعل الرسول

---

(١) كنز العمال - مرجع سابق ج ٥ ص ٧٧٠
(٢) ابن قتيبة - عيون الأخبار - مرجع سابق ج ١ ص ١٤
(٣) ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة - مرجع سابق ج ٢ ص ٧٧٧

يخب بناقته وعمر يعدو الى جواره ويسأله ويستخبره والرسول لا يعرفه حتى دخل المدينة فاستقبل الناس عمرًا يسلمون عليه بالخلافة وامرة المؤمنين فقال الرسول وقد تحير سبحان الله ياأمير المؤمنين ألا أعلمتنى ؟ فقال عمر : لا عليك ثم أخذ الكتاب فقرأه على الناس (١) .

ومن ذلك سؤاله رضى الله عنه لأهل حمص عن أميرهم فقالوا : خير أمير الا أنه بنى له علية يكون فيها فأرسل عمر بريداً وأمره أن يحرقها ثم استقدمه ليحاسبه (٢) .

وجاء فى الموطأ أن قادمًا قدم على عمر بن الخطاب من قبل أبى موسى الأشعرى فسأله عمر عن الناس فأخبره ثم قال له عمر: هل من مغربة خبر ؟ قال : نعم رجل كفر بعد اسلامه قال : فما فعلتم به ؟ قال قربناه فضربنا عنقه فقال عمر : أفلا حبستموه ثلاثًا وأطعمتموه كل يوم رغيفًا واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله ؟ ثم قال عمر: اللهم انى لم أحضر ولم آمر ولم أرضى اذ بلغنى (٣) .

وكتب عمر رضى الله عنه الى أمير العراق أن يبعث اليه برجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله (٤) .

وكتب كذلك الى عمرو بن العاص كتابا يسأله فيه أن يصف له مصر كأنه يشاهدها ثم كتب اليه أن يبعث اليه بعض الأقباط ليسألهم عن مصر وخراجها (٥) .

فهذه الأخبار جميعها تدل على أن عمر رضى الله عنه كان يستخدم السؤال لمعرفة أحوال الناس وبالتالى توفير المعلومات اللازمة لممارسة الرقابة الادارية . فالولاة والعمال يعلمون أن عمر دائم السؤال عنهم وأن الناس يبلغونه ما دق وعظم من أعمالهم ولذلك

---

(١) انظر أبى حنيفة الدينورى - الأخبار - الطوال - مصدر سابق ص ١٢٣ - ١٢٤
(٢) انظر كنز العمال - مصدر سابق ج ٥ ص ٧٧١
(٣) انظر الموطأ - مصدر سابق ج ٢ ص ٧٣٧ .
(٤) انظر ابن الجوزى - مناقب عمر - مصدر سابق ص ٥٩
(٥) انظر ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة - مرجع سابق ج ١ ص ٧٤

فهم يحرصون على عدم ارتكاب الأخطاء حتى لا يسأل عنها الخليفة فينالون العقوبة .

٣ - التفتيش الادارى :-

يقصد بالتفتيش الادارى الكشف عن الأخطاء والتحقق من المخالفات . " ولقد كان عمر أول من أنشأ نظام التفتيش فى الاسلام وهو من ابتكاراته التى دعت اليها الحاجة ، وسار الحكم الاسلامى من بعده على سنته فلم تخل حكومة اسلامية على مدى العصور من صاحب عمال " (١) .

وكان عمر رضى الله عنه يستخدم محمد بن مسلمة كما سبقت الاشارة فى التفتيش على الولاة والتحقيق فيما يصله من مخالفات . (٢)

وكان رضى الله عنه يقوم بهذا التفتيش بنفسه فى أحيان كثيرة فقد بلغه أن يزيد ابن أبى سفيان يأكل ألوان الطعام فقال لمولاه : اذا علمت أنه حضر عشاؤه فأعلمنى فلما حضر عشاؤه أعلمه فأتاه عمر رضى الله عنه فاستأذن فأذن له فدخل ، فقرب يزيد عشاءه فجاء بثريد لحم فأكل عمر رضى الله عنه ثم قرب شواء فبسط يزيد يده وكف عمر رضى الله عنه ثم قال : الله الله يايزيد بن أبى سفيان أطعام بعد طعام والذى نفس عمر بيده لئن خالفتم سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم . (٣)

وروى ابن شبه بسنده كذلك قال : "خرج عمر رضى الله عنه ومعه بلال المؤذن رضى الله عنه فجعل يأتى بيوت ناس من العمال فيستأذن فأذا أذن له قال : أنا ومن معى قال : فيدخل عمر رضى الله عنه وهو متنكر فيفتش بيوتهم - فدخل على خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتش بيوته فلم يجد فيها الا متاع الغازى " (٤) .

---

(١) ظافر القاسمى - نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ - مرجع سابق ص ٥٠٦
(٢) انظر الدينورى - الأخبار الطوال - مرجع سابق ص ١٢٤
(٣) انظر ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة - مرجع سابق ج ٣ ص ٨٣١ - ٨٣٢
(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٣٦

وتأكيداً على أهمية التفتيش قال عمر رضى الله عنه : " لئن عشت ان شاء الله لأسيرن فى الرعية حولاً فأنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى أماهم فلايصلون الىّ وأما عمالهم فلا يرفعونها الىّ فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين وبالجزيرة شهرين وبالبحرين شهرين وبالكوفة شهرين وبالبصرة شهرين والله لنعم الحول هذا "(١).

وهذا النص يؤكد ايمان عمر رضى الله عنه العميق بأن المسئولية أولاً وأخيراً هى مسئوليته هو (٢).

٤ - الاجتماع السنوى فى الحج :-

نظراً لصعوبة الاتصال فى ذلك الوقت فقد جعل عمر رضى الله عنه من موسم الحج مؤتمراً ادارياً سنوياً يجتمع فيه مع عماله ويسألهم عن أحوالهم وأحوال رعاياهم ثم يجمع بينهم وبين رعيتهم فينصف المظلوم ويردع الظالم وكان عمر رضى الله عنه طوال فترة حكمة حريصاً على حضور هذا الموسم فقد ذكر السيوطى أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل أبابكر على الحج فى أول حجة كانت فى الاسلام ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة المقبلة فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ثم حج أبو بكر من قابل فلما قبض أبو بكر واستخلف عمر استعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ثم لم يزل يحج سنة كلها حتى قبض (٣).

فكان عمر رضى الله عنه يكتب الى عماله أن يوافوه بالموسم فوافوه فقام فقال : أيها الناس انى استعملت عليكم عمالى هؤلاء ولم استعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ولا من أعراضكم ولكنى استعملتهم ليحجزوا بينكم أو يردوا عليكم فيئكم فمن كانت

---

(١) ابن الجوزى - مناقب عمر - مرجع سابق ص ١٢١
(٢) انظر نجدة خماش - الادارة فى العصر الأموى - دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ ص ١٩
(٣) انظر السيوطى - تاريخ الخلفاء - مرجع سابق ص ١٣٢

له مظلمة عند أحد منهم فليقم فما قام من الناس أحد غير فلان قام فقال : ياأمير المؤمنين ان عاملك فلاناً ضربني مائة سوط. فقال : يضرب مائة فاستقد منه فقام عمرو ابن العاص رضى الله عنه فقال ياأمير المؤمنين انك متى تفتح هذا على عمالك تكثر عليهم وتكون سنة يأخذ بها من بعدك . فقال : أنا لا أقيد منه وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه ؟ فقال : دعنا اذن نرضيه قال : أرضوه قال : فافتدى منه بمائتى دينار كل سوط بدينارين "(١) .

واضافة الى نظر شكاوى المتظلمين من الولاة والعمال ومحاسبة هؤلاء فقد كان مؤتمر الحج فرصة للخليفة ليبسط منهج الحكم والادارة على نوابه والتشاور فيها وفرصة للقاء الولاة بعضهم ببعض للتداول والتفاكر فى المشكلات الادارية التى يلاقونها والاستفادة من خبرات بعضهم البعض فى كيفية حلها والتغلب عليها .(٢)

٦ - احصاء أموال الولاة ومقاسمتهم :-

من وسائل عمر الفعالة فى الرقابة انه كان يحصى أموال ولاته عند التعيين . فقد ذكر أن عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم وكان اذا استعمل عاملا كتب ماله".(٣)

وغرض عمر من هذا الاجراء هو تبين حالة العامل المالية عند عودته أو انتهاء عمله ليتصرف معه على ضوء مايراه من ثرائه فقد يصادر أمواله أو يقاسمه .(٤)

فمن العمال الذين قاسمهم الخليفة بعد أن كان قد أحصى أموالهم أبا هريرة رضى الله عنه الذى كان عاملاً له على البحرين اذا اجتمعت له اثنى عشر ألفاً قدم بها الى المدينة فقال له عمر : ياعدو الله وعدو المسلمين سرقت مال الله ؟ فقال أبو هريرة :

---

(١) ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة - مرجع سابق ج ٣ ص ٨٠٧
(٢) انظر د. أحمد ابراهيم أبو سن - الادارة فى الاسلام - مرجع سابق ص ١٢٧
(٣) انظر السيوطى - تاريخ الخلفاء - مرجع سابق ص ٢٢٧
(٤) انظر د. محمد سلام مدكور - معالم الدولة الاسلامية - مكتبة الفلاح - الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ص ٤٠٢

لست بعدو الله ولا المسلمين ولكن عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله ولكن جاءت تلك الثروة نتيجة خيل تناتجت وعطاء مدخر وسهام اجتمعت. ولكن الخليفة رغم ذلك قاسمه أمواله . (١)

ومن قاسمهم عمر رضى الله عنه عامله على مصر عمرو بن العاص فقد بعث عمر رضى الله عنه محمد بن مسلمة الأنصارى الى عمرو بن العاص فى مصر حيث سلمه كتاباً من الخليفة جاء فيه: "اما بعد فأنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجبتم الحرام وقد بعثت اليك محمد بن مسلمة الأنصارى ليقاسمك مالك فأحضر مالك والسلام" وقد نفذ عمرو طلب الخليفة فأحضر ماله وقاسمه محمد بن مسلمة . (٢)

ومنهم كذلك عتبة بن أبى سفيان (٣) الذى ولاه عمر صدقات الطائف ثم عزله فقد تلقاه فى بعض الطريق فوجد معه ثلاثين ألفا فقال : أنى لك هذا ؟ قال : والله ما هو لك ولا للمسلمين ولكنه مال خرجت به لضيعة اشتريتها فقال عمر : عاملنا وجدنا معه مالاً ماسبيله الا بيت المال . (٤)

وقد شمل هذا الاجراء عدداً من الولاة الذين عملوا لعمر وكانوا من خيرة الناس أمثال خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وأبو موسى الأشعرى وغيرهم الأمر الذى جعل ابن تيمية يدافع عنهم قائلا : "..(ولهذا شاطر عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عماله من كان له فضل ودين ولا يتهم بخيانة وانما شاطرهم لما كانوا خصوا به لأجل الولاية من محاباة وغيرها وكان الأمر يقتضى ذلك لأنه امام عدل يقسم بالسوية .» (٥)

---

(١) انظر عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها - مرجع سابق - ص ١٠٠

(٢) انظر بن تغرى بردى - النجوم الزاهرة - مرجع سابق ج ١ ص ٢١ وابن عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها - مرجع سابق ص ١٠١ - ١٠٢

(٣) عتبة بن أبى سفيان بن حرب ولاه عمر على صدقات الطائف شهد الجمل مع عائشة ولاه معاوية مصر مخرج مع ابن الاشعث وقتل آنذاك. انظر ابن قتيبة المعارف مرجع سابق ص ١٩٥

(٤) انظر ابن عبد ربه - العقد الفريد - مرجع سابق ج ١ ص ٤٥

(٥) ابن تيمية - السياسة الشرعية - مرجع سابق ص ٤٠

ولقد تحدث بعض الباحثين عن مقاسمة عمر لعماله فقال : " ولقد شاطر عمر بعض العمال مافى أيديهم حينما رأى عليهم سعة لم يعلم مصدرها ولم يفعل هذا الفعل الا قليلاً وربما وجد هذا الفعل مجالاً للانتقاد من الوجهة النظرية الدينية ولكن عمراً يعرف من من عماله يستحق أن تقع به تلك العقوبة اذا ماذا يعمل برجل ولاه وهو يعرف مقدار عطائه ورزقه ثم يراه بعد ذلك قد أثرى ثروة لوجمعت أعطياته مابلغتها ، لم ير عمر أمام ذلك الا هذه المصادرة وقد اكتفى بأن يشاطر العامل مايملك" (١) .

وللحقيقة فأن الفقهاء قد جوزوا فعل عمر هذا كما يظهر من كلام القاضى ابن فرحون المالكى . (٢)

وقال أبو حامد الغزالى : " . . . والمظنون بعمر رضى الله عنه انه لم يبدع العقاب بأخذ المال على خلاف المألوف من الشرع وانما ذلك لعلمه باختلاط ماله بالأموال المستفادة من الولاية واحاطته بتوسعه فيها ولقد كان عمر يراقب الولاة بعين كالئة ساهرة فلعله خمن الأمر فرأى شطر ماله من فوائد الولاية وثمراتها فيكون ذلك كالاسترجاع للحق بالرد الى نصابه " (٣)

وعلق فقيه معاصر على الموضوع بأن " فعل عمر كان نابعاً من نظرة الاسلام الى الوظيفة وأنها تكليف لا تشريف وأنه لا ينبغى لمن يتولى مصلحة من مصالح المسلمين أن يستقل مركزه وجاهه وسلطانه لكسب مزيد من المال أو لجلب الهدايا التى ماكانت تجلب لولا المركز والسلطان وقد كانت مثل هذه الأموال مشوبة فينبغى أن ترد الى أصلها وأصلها بيت مال المسلمين وعمر رضى الله عنه لم يكن مبتدعا فى هذا الاجراء

---

(١) محمد الخضرى بك ـ محاضرات فى تاريخ الدولة الاسلامية ـ الدولة الأموية ج ٢ ص ١٣ ونفس النص نقله عبد الوهاب النجار فى كتابه الخلفاء الراشدون ص ٢٣٤ دون الاشارة لمصدره .

(٢) انظر ابن فرحون المالكى ـ درة الغواص فى محاضرة الخواص ـ مرجع سابق ص ٢٩١/٢٩٢

(٣) الغزالى ـ شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل ـ تحقيق د . أحمد الكبيسى ـ الطبعة الأولى مطبعة الارشاد بغداد ج ١ ص ٢٤٤-٢٤٥

بل كان متبعاً سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى المعاملة مع الجباة والولاة وحديثه صلى الله عليه وسلم مع ابن اللبتية الذى جاء بالزكاة والهدايا خير شاهد "(١)

وهذه الوسيلة - احصاء الأموال ومايترتب عليها من اجراءات كالمقاسمة تعتبر وسيلة فعالة فى عملية الرقابة لأن العامل الذى يعلم أن الخليفة سيقاسمه أمواله اذا أحس بزيادتها غير المشروعة سيجتهد ألا يكسب حراماً حتى لا يفقد بعض ماله وسيقاوم فى نفسه دوافع الكسب الحرام .

وقد أردف عمر هذه الوسيلة باجراء آخر هو قراره بألا يدخل العمال العائدون الى المدينة ليلاً وانما يدخلونها نهاراً ليرى الناس مايحملون معهم من مال (٢) .

٦ - الاستدعاء :-

من الوسائل التى اتبعها عمر فى رقابته أنه كان يستدعى اليه العمال لينظر فى أعمالهم وليطلع على أحوالهم ويحاسبهم على أفعالهم ويحقق معهم فيما نسب اليهم من أخطاء . فقد كان يستدعى عماله ليطلع على مطاوى نفوسهم ويكشف بنفسه ان كانوا اخذوا أنفسهم بأسباب النعيم .؟ لأن عمر كان يؤثر الخشونة ويريد من عماله أن يكونوا كذلك . (٣)

فقد طلب من قادة الفتوح أن يستخلفوا على أعمالهم ويوافوه بالجابية (٤) . كما استدعى عامله على حمص عمير بن سعد حيث مكث حولاً كاملاً لا يأتيه خبره (٥) .

---

(١) د . ماجد أبو رخية - حكم التعزير بأخذ المال فى الاسلام - مرجع سابق ص ٣٥/٣٦
(٢) انظر د . عوف الكفراوى - الرقابة المالية فى الاسلام - مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٣م ص ١٣٠
(٣) انظر محمد كرد على - الادارة فى عز العرب - مرجع سابق ص ٢٩
(٤) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٥٠٠
(٥) انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٢ ص ٥٦١

واستدعى أبا موسى الأشعرى حين كان والياً على البحرين مع جميع عماله وطلب اليهم أن يستخلفوا على أعمالهم .(١)

ولعمر رضى الله عنه وسائل أخرى فى الرقابة منها ارسال العيون للكشف عن أحوال العمال بصفة مستمرة ليعلم العامل بأن الخليفة يتابع أعماله .(٢)

---

(١) انظر أبو العباس المبرد - الكامل فى اللغة والأدب - مرجع سابق ص ٨٩

(٢) انظر الجاحظ - التاج فى أخلاق الملوك - مرجع سابق ص ٤٥

المبحث الرابع

محاسبه عثمان لعماله وولاته

باشر عثمان رضى الله عنه محاسبته لعماله التزاماً بالسياسة الادارية التى وضعها سلفه الصالح وكانت وسائله فى الرقابة والمحاسبة هي :-

١ - شكاية المواطنين من عمالهم التى يرفعونها للخليفة ومن ثم يقوم الخليفة بالتحقيق فيها .

٢ - ظهور أخطاء ادارية تستلزم تدخل الخليفة ولو لم يتقدم أحد بالشكاية. فمن أمثلة النوع الأول الذى يدل على حرص عثمان رضى الله عنه على تشجيع المواطنين على ممارسة حقوقهم فى التصدى لانحرافات الولاة ذلك الكتاب الذى بعث به رضى الله عنه الى أهل الأمصار وقد جاء فيه :- "أما بعد فأنى آخذ عمالى بمواقاتى كل موسم وقد رفع الى أهل المدينة أن أقواماً يشتمون ويضربون فمن ارعى شيئاً من ذلك فليوافى الموسم يأخذ حقه حيث كان منى أو من عمالى أو تصدقوا فأن الله يجزى المتصدقين" (١)

فهذا الكتاب صريح فى دلالته فهو يمثل دعوة لرفض الظلم وعدم السكون عليه ولو كان من الخليفة نفسه كما أنه اتباع للمنهج الراشد الذى ابتكره عمر بن الخطاب رضى الله عنه بدعوة الناس وولاتهم الى موسم الحج حيث تتم المحاسبة والمواجهة بين الناس وولاتهم . وقد كتب عثمان رضى الله عنه هذا فى سنة ٣٥هـ وبالفعل حضر اليه فيمن حضر من العمال معاوية وعبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد فحاسبهم . (٢) وهذا الكتاب الذى كتبه عثمان رضى الله عنه يعتبر أبلغ رد على من قال :- "هذه نية عثمان وهذا اتجاهه ولكنه كان واقعاً تحت نفوذ آهله

---

(١) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٥٥

(٢) انظر المصدر السابق ج ٣ ص ١٥٦

ولم يكن رجاله أهل صدق وأمانة فكانوا يسيرون على غير ما يأمر به وكانوا يعمون عليه الحقائق التى يريد استقصاءها . ولم يكن هو من الحزم والقوة كما كان عمر فيستقصى الأمور بنفسه ، ويرسل من الأمناء من يستقصيها له كما رأينا عمر يفعل من قبل وأنما يرسل الى العمال أنفسهم يسألهم ثم يستقدمهم ليسألهم فلا يقولون الا ما يبرىء ساحتهم (١)

فكتاب عثمان رضى الله عنه الى العامة كى يوافوه بالموسم مع عمالهم ومحاسبته لهؤلاء العمال تفنيد لكل ما ذكر الكاتب السابق من حديث ومن أمثلة استجابة عثمان رضى الله عنه للتحقيق فى شكايات المواطنين أن أهل الكوفة أخرجوا عاملهم سعيد بن العاص واختاروا أبا موسى الأشعرى والياً عليهم وكتبوا فيه الى عثمان رضى الله فأقره عليهم ثم رد عليهم سعيد بن العاص فخرجوا اليه ومنعوه من الدخول الى الكوفة (٢) .

وأبو موسى الأشعرى نفسه كان عرضة للاتهام والشكاية من أهل البصرة حسب رواية ابن الأثير الذى قال " فى هذه السنة (٣) عزل عثمان أبا موسى عن البصرة واستعمل عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان وقيل كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان وكان سبب عزله أن أهل ايزج (٤) والأكراد كفروا فى السنة الثالثة من خلافة عثمان فنادى أبو موسى فى الناس وحثهم على الجهاد وذكر من فضل الجهاد ما شيأ فحمل نفر على دوابهم وأجمعوا أن يخرجوا رجالة وقال آخرون لا تعجل بشىء حتى تنتظر ماذا يصنع ؟ فأن أشبه قوله فعله فعلنا كما

---

(١) د . أحمد ابراهيم الشريف - دور الحجاز فى الحياة السياسية - مرجع سابق ص ٣١٥ .

(٢) انظر أبى الفلاح عبد الحى ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب فى آخبار من ذهب - مكتبة القدس بالقاهرة - ١٣٥٠هـ ج ١ ص ٤٠

(٣) سنة ٢٩ هـ

(٤) ايزج كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان - انظر معجم البلدان - مرجع سابق - ج ١ ص ٢٨٨

يفعل فلما خرج أخرج شقله من قصره على أربعين بغلاً فتعلقوا بعنانه وقالوا : أحملنا على بعض هذه الفضول أو ارغب فى المشى كما رغبتنا فيه فضرب القوم بسوطه فتركوا دابته فمضى وأتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا : ما كل ما نعلم تحب أن تسألنا عنه ؟ فأبدلنا به . فقال : من تحبون ؟ فقالوا فى كل أحد عوض عن هذا العبد الذى قد أكل أرضنا . أما منكم خسيس فترفعونه ؟ أما منكم فقير فتميرونه ؟ يا معشر قريش حتى متى يأكل لهذا الشيخ الأشعرى هذه البلاد ؟ فانتبه لها عثمان فعزل أبا موسى ".(١) وعلى الرغم من أن هذه الرواية قد وردت فى الكامل وعلى الرغم من مكانة ابن الأثير كمحدث ومؤرخ الا أن لى بعض الاعتراضات على هذه الراوية منها :-

(أ) أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه تربى فى مدرسة النبوة ولا يتصور أن يخالف قوله فعله كما تقول الرواية ولو حدث منه ذلك فلا يتصور منه ضرب الناس فقط لأنهم طلبوا منه أن يحملهم أو يمشى معهم .

(ب) أن عثمان وقد تربى فى مدرسة النبوة كذلك وهو صاحب الحياء والأدب لا يمكن أن يقبل سباب مسلم أمامه ناهيك عن صحابى من صحابة رسول الله .

(جـ) أن عثمان رضى الله عنه لا يمكن أن يكون قد عزل أبا موسى لأن ابا موسى ليس قرشياً ولا يتصور أن يعزله لمجرد أن أناسا لا يرون لأحد سوى قريش حقاً فى هذا الأمر .

ان وجود مثل هذه الرواية فى مصادر التأريخ الاسلامى هو الذى يجنى على قيادات المسلمين وزعاماتهم ويفتح الباب لأصحاب الادعاء والمصلحة والأهواء للطعن فى هذه القيادات حتى يطعنوا فى الدين الذى أخرج هذه القيادات ورباها .

ومن أمثلة استقبال عثمان رضى الله عنه شكاوى الناس والاستجابة لها قبوله لشكاوى أهل الكوفة حين شكوا واليهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، واتهموه بشرب

---

(١) ابن الأثير الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٩٩ - ١٠٠

الخمر فاستدعاه عثمان رضى الله عنه وحاسبه وأقام عليه الحد بعد عزله .(١)

وعلى الرغم من عدم اتفاقهم فى شهادتهم عليه بأنه قد شرب الخمر الا أن عثمان رضى الله عنه وحرصاً منه على مكانة المنصب الادارى رأى أن يعزله على الرغم من كفاءته التى أشرنا اليها فى الفصل السابق .

ومن أمثلة النوع الثانى أى المحاسبة التى يقوم بها الخليفة دون طلب من أحد من الناس وانما تأتى من داخل الجهاز الادارى عزل عثمان رضى الله عنه لعمرو بن العاص عن ولاية مصر حين اختلف عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن ابى السرح أمير خراج مصر حيث كتب عبد الله بن سعد الى عثمان بأن عمراً قد كسر الخراج وكتب عمرو الى عثمان كذلك بأن سعداً قد كسر علىّ مكيدة الحرب .(٢) فخشى عثمان رضى الله عنه على الادارة من هذا الاختلاف واختار أن يعزل عمرو بن العاص ويثبت عبد الله بن سعد.

هذا النزاع الادارى الذى وقع بمصر وقع كذلك بالعراق ففى سنة ٢٥هجرية عزل عثمان رضى الله عنه سعد بن وقاص عن ولاية الكوفة حيث أن سعداً اقترض من بيت المال قرضاً فلما تقاضاه عبد الله بن مسعود المسئول عن الخراج لم يتيسر لسعد قضاء الدين فارتفع بينهما الكلام فتنازعا فانقسم أهل الكوفة الى قسمين قسم مع عبد الله بن مسعود وقسم مع سعد فلما علم عثمان بذلك غضب غضباً شديداً وعزل سعداً واستعمل الوليد ابن عقبة بن أبى معيط .(٣)

ومن امثلة محاسبة عثمان رضى الله عنه لعماله بسبب تعديهم على الناس محاسبته لعامله على الكوفة سعيد بن العاص حين عير هشام بن عتبة بن أبى وقاص(٤) بعينه

---

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٦٠
(٢) انظر ابن الأثير - الكامل ج ٣ ص ٨٨
(٣) انظر المرجع السابق ج ٣ ص ٨٢
(٤) هشام بن عتبة أبى وقاص - كان مع على يوم صفين وكان من أشجع الناس .
انظر المعارف - مصدر سابق ص ١٤١

العوراء لرؤيته هلال شوال وافطاره بناءاً على تلك الرؤية فقام الأمير بضربه وحرق داره فبلغ ذلك عثمان رضى الله عنه فعاتبه على ذلك وكتب اليه يلومه .(١) وحتى فى أيام الفتنة لم يترك عثمان رضى الله عنه محاسبته لعماله فقد أرسل اليهم كتاباً جاء فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين الى جملة عماله ونوابه. أما بعد فاعلموا أن الناس يتكلمون فى حقى بكلام ينسبونى منه الى الظلم وأننى لا أرضى بالظلم أبداً ولا أقبل أن يقوم عمالى ونوابهم بأى عمل أو حكم لا يوافق أحكام الله ثم أقسم عليكم بأن كل من يرى لى حقًا ويرى لزوم طاعتى بمجرد اطلاعه على مضمون هذه الرسالة أن يتجه إلىّ ويحضر الى المدينة لأتحقق من أحوالكم فأن صدر عنكم أى جور أو ظلم أصلحته ثم أولى رجلاً أمينا عادلاً مكانه وسأحافظ على حقوق الرعية كما يجب ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله"(٢) .

وبالفعل حضر هؤلاء العمال الى المدينة وجرت مواجهة ومحاسبة بين الخليفة وعماله استعرضوا فيها شكاوى العامة ومايشكون منه(٣) وهكذا كان عثمان رضى الله عنه يمارس حقه فى محاسبة عماله فى أصعب الظروف ومع ذلك يأتى من يتهمه بأنه كان يجامل عماله على حساب رعيته .

---

(١) انظر ابن أعثم - الفتوح مصدر سابق ١ ص ٣٨١
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٤٠٥
(٣) انظر ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ٤٢

المبحث الخامس

محاسبة على رضى الله عنه لعماله

نستعرض فى هذا المبحث محاسبة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لعماله وولاته . وهنا يحار المرء من كثرة محاسبته لعماله ومعرفته بأدق تفاصيل شئونهم رغم الظروف التى كان يواجهها، وليس ذلك بغريب عليه اذ يقول فى هذا الصدد : " يجب على الوالى أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه احسان محسن ولا اساءة مسىء ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء فأنه اذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسىء وفسد الأمر وضاع العمل ".(١)

فهذا النص يؤكد ويبين سياسته فى متابعة العمّال ومحاسبتهم وقد التزم رضى الله عنه هذا المنهج فى محاسبة العمال وسنرى ذلك من خلال استعراض بعض النماذج والأمثلة لمحاسباته .

فمن اشاداته بالمحسنين اشادته بعمر بن أبى سلمة المخزومى والتى جاء فيها " . . . فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا متهم ولا مأثوم "(٢)

وأشاد كذلك بعامله على المدائن حين أدى الخراج على وجهه اذ كتب اليه يقول : " . . . فقد أديت خراجك وأطعت ربك وأرضيت امامك فعل البر التقى النجيب فغفر الله ذنبك وتقبل سعيك وحسّن مآبك "(٣)

وكان رضى الله عنه يهتم اهتماماً كثيراً بمعرفة أخبار عماله وموظفيه ويفتش عليهم بأرسال المفتشين والعيون ليأتوه بأخبارهم .

---

(١) النويرى - نهاية الادب - مصدر سابق ج ٦ ص ١٩
(٢) الشريف الرضى - نهج البلاغة - مصدر سابق ج ٢ ص ٢١٧
(٣) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠١

كتب الى كعب بن مالك [١] : "أما بعد فاستخلف على عملك واخرج فى طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالى وتنظر فى سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب" [٢] [٣]

فهذا النص يؤكد انتهاج أمير المؤمنين على للسياسة العمرية فى التفتيش على العمال والموظفين لمعرفة مدى التزامهم بحدود وظائفهم وعدم تعديهم على أفراد الأمة. وكان الخليفة يعرف من أحوال عماله حتى أمورهم الخاصة ويحاسبهم عليها. من ذلك محاسبته رضى الله عنه لعامله على البصرة عثمان بن حنيف حين دعاه غنى من أغنياء البصرة الى مأدبة فذهب اليها الوالى فكتب اليه الخليفة معاتباً له على تصرفه، ربما لعلمه بحال هذا الغنى وغرضه من هذه الدعوة. وطلب الخليفة من واليه أن يتحرى الحلال ويبتعد عن الحرام [٤] ورسالة الخليفة الى واليه بدأها بعبارة "بلغنى" مما يدل على اطلاعه على الأمور وأن أخبار الولاة تأتيه أولاً بأول.

ومما يؤكد حرصه على معرفة مايدور فى الأقاليم ورفع الظلم عن الناس أنه كتب رسالة الى عمال الصدقات يأمرهم فيها أن يرفعوا اليه المظالم التى يرتكبها الجنود فى حق أفراد الرعية حتى يقوم بمحاسبتهم ورد هذه المظالم. [٥]

وكان يتلقى الشكاوى من مواطنيه مسلمهم وكافرهم ويحقق فيها. من ذلك أنه كتب الى أحد ولاته رسالة يذكر فيها أن أهل بلد أتوا الى الخليفة وشكوا عاملهم الذى كان

---

(١) كعب بن مالك بن كعب الخزرجى. أبوعبد الله شهد العقبة ولم يشهد بدراً وشهد بقية المشاهد الا أنه تخلف فى غزوة تبوك وقد نزلت الايات تتحدث عن توبته وتوبة الله عليه وعلى اخوانه. من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر أسد الغابة - مرجع سابق ج ٤ ص ١٨٧ - ١٨٩

(٢) العذيب ماء بينه وبين القادسية أربعة أميال - انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٩٢

(٣) أبويوسف - كتاب الخراج - مرجع سابق ص ١١٤

(٤) انظر الشريف الرضى - نهج البلاغة - مرجع سابق ج ٢ ص ٢٢١

(٥) انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٤

يعاملهم بغلظة وقسوة واحتقار وجفوة وقد بين له أمير المؤمنين الطريقة المثلى التى كان يجب عليه أن يعاملهم بها (١) .

ومن أمثلة محاسبته رضى الله عنه لعماله محاسبته لعامله مصقلة بن هبيرة (٢) الذى كتب اليه يلومه على توزيع المال فى غير وجهه. فقد جاء فى رسالة أمير المؤمنين اليه "أما بعد فقد بلغنى عنك أمر أكبرت أن أصدقه أنك تقسم فىء المسلمين فى قومك ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب والشعراء كما تقسم الجوز فو الذى خلق الحبة وبرأ النسمة لأفتشن عن ذلك تفتيشاً شافياً وان وجدته حقاً لتجدن بنفسك علىّ هواناً فلاتكونن من الخاسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" (٣) .

وقد رد مصقلة على كتاب أمير المؤمنين برسالة جاء فيها :-

" اما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فليسأل ان كان حقاً فليعجل عزلى بعد نكالى فكل مملوك لى حر وعلىّ آثام ربيعة ومضر ان كنت رزأت من عملى ديناراً ولا درهماً ولا غيرها منذ وليته الى أن ورد علىّ كتاب أمير المؤمنين ولتعلمن أن العزل

---

(١) انظر الشريف الرضى نهج البلاغة مرجع سابق ج ٢ ص ١٥٥

(٢) مصقلة بن هبيرة من بنى شيبان . كان مع على بن أبى طالب ثم هرب الى معاوية فهدم على داره .
انظر ابن قيتبة - المعارف - مرجع سابق ص ٢٢٧

(٣) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مرجع سابق ج ٢ ص ١٧٧ . وقد جاءت هذه الرسالة فى نهج البلاغة بعبارات مختلفة كما يلى : " بلغنى عنك أمر ان كنت فعلته فقد أسخطت الهك وعصيت امامك . انك تقسم فىء المسلمين الذى حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من أعراب قومك فو الذى فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقاً لتجدن علىّ هواناً ولتخفضن عندى ميزاناً فلاتستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالا ألا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين فى قسمة هذا الفىء سواء" .
انظر نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١٨

أهـون على من التهمه . " (١)

ولكن الطبرى يذكر أن أمير المؤمنين بعث برسالة الى مصقلة بن هبيرة يطالبه فيها بخمسمائة ألف . جاء فى الرسالة التى أوردها الطبرى :-

" أما بعد فأن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأعظم الغش على أهل المصر غش الامام وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف فابعث بها الىّ ساعة يأتيك رسولى والا فأقبل حين تنظر فى كتابى فأنى قد تقدمت الى رسولى اليك ألا يدعك أن تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك الا أن تبعث بالمال والسلام عليك " (٢)

وكان الرسول الذى بعث به أمير المؤمنين هو أبو جرة الحنفى الذى طالب مصقلة بالمال والا فليشخص الى أمير المؤمنين . فلما قرأ مصقلة كتاب أمير المؤمنين أقبل حتى نزل البصرة فمكث بها أياما . ثم ان ابن عباس سأله المال وكان عمال البصرة يحملون من كور البصرة الى ابن عباس الذى كان يجمع المال ويبعث به الى أمير المؤمنين على . فطلب مصقلة من ابن عباس أن ينظره أياماً . ثم أقبل حتى أتى علياً رضى الله عنه فأقره أياماً ثم طالبه بالمال فأدى اليه مائتى ألف وعجز عن بقية المال . (٣)

ومنها محاسبته لعامله يزيد بن ججية التيمى الذى ولاه على الرى سنة ٣٦هـ فكسر من خراجها ثلاثين ألفاً فاستدعاه على رضى الله عنه فلما حضر سأله عن المال فأنكر أخذه له فخفقه على بالدرة خفقات ثم حبسه ووكل به مولاه سعداً فهرب منه الى الشام . (٤)

---

(١) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مرجع سابق ج ٢ ص ٢٠٢

(٢) الطبرى - مرجع سابق ج ٥ ص ١٢٩

(٣) انظر المرجع السابق ج ٥ ص ١٢٦

(٤) انظر ابن الأثير - الكامل ج ٣ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ والنويرى نهاية الأرب ج ٢٠ ص ١٩٧

ومنها محاسبته لعامله على البحرين النعمان بن العجلان حين بلغه أنه أخذ مال البحرين إذا أرسل اليه الخليفة يستوضحه الأمر فلما علم الوالى بانكشاف أمره حمل المال ولحق بمعاوية. (١)

ومنها كذلك محاسبته لأحد عماله اذ كتب اليه يقول: "بلغنى أنك جردت الأرض فأخذت ماتحت قدميك وأكلت ماتحت يديك فارفع الىّ حسابك واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس" (٢).

ومن أمثلة حرصه على اصلاح الرعية ومحاسبة المعتدين ماروته سودة بنت عمارة الهمدانية (٣) لمعاوية بعد أن أصبح خليفة حيث ذكرت له أنها جاءت لعلى بن أبى طالب فى رجل كان قد ولاه أمر صدقات قومها فجار عليهم، فجاءت الى على فألفته قائمًا يصلى فلما رآها انفتل من صلاته ثم أقبل عليها برأفه وتعطف فقال: ألك حاجة؟ فقالت: نعم وأخبرته الخبر فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد علىّ وعليهم أنى لاآمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك. ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كأنها طرف الجراب فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ فاذا قرأت كتابى فاحفظ بما فيه وبما فى يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. قالت: ثم دفع الرقعة الىّ فوالله ماختمها بطين ولا حزمها بشىء فجئت بالرقعة الى صاحبه فانصرف عنا

---

(١) انظر اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مرجع سابق ج ٢ ص ٢٠١

(٢) الشريف الرضى - نهج البلاغة - مرجع سابق ج ٢ ص ٢٧٤

(٣) سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية - شاعرة من شواعر العرب كانت من أنصار على ثم وفدت على معاوية فأكرمها.
انظر عمر رضا كحالة - أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام - مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤٠٤ - ١٩٨٤م ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧٣

معـــزولاً . (١)

ومنهـا كذلك محاسبته لعامله على فارس زياد اذ ادعى زياد بأن الأكراد قـــد كسرت عليه الخراج فكتب اليه أمير المؤمنين :- "أما بعد فأن رسولى أخبرنى بعجب زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه أن الأكراد هاجت فكسرت عليك كثيرًا من الخراج. وقلت له : لا تعلم بذلك أمير المؤمنين . يا زيـاد أقسم بالله انك لكاذب ولئن لم تبعث بخراجك لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر الا أن تكون لما كسرت مـن الخراج محتملا ." (٢)

وكان على رضى الله عنه يجعل من نفسه قدوة لذا نجد أن محاسبته لنفسه ولأهل بيته كانت أشد من محاسبته لعماله وموظفيه. فقد استعمل عمر بن أبى سلمة علـــى أصبهان فقدم ومعه مالاً وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت أم كلثوم بنت على الى عمـــر تطلب منه سمناً وعسلا فأرسل اليها ظرف عسل وظرف سمن فلما كان الغد خرج علـــى وأحضر المال والسمن والعسل فعد الزقاق فنقصت زقيـــن فسأله عنهما فكتمه وقـــال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما فأخبره فأرسل الى أم كلثوم فأخذ الزقيـــن منهـا فرأهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم مانقص منهما فكان ثلاثة دراهم فأرسل اليهـــا فأخذها منها ثم قسم الجميع . (٣)

ويختم هذا المبحث بمحاسبة على رضى الله عنه لعامله على البصرة عبد الله ابـــن العباس ففى سنة ٤٠هـ ذهب ابن عـــباس رضى الله عنه الى مكة لأداء الحج واستخلف على البصرة أبو الأسود الدؤلـى وعلى الخراج زياد فاختلف زياد وأبو الأســـود

---

(١) انظر ابن اعثم - الفتوح ج ٢ ص ٥٧
(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٥٦ .
(٣) انظر ابن الأثير الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٤٠٠

وتهاجيا فعيّر أبو الأسود زياداً. فلما جاء ابن العباس من الحج اشتكى اليه زياد فاستدعى ابن العباس أبا الاسود ووبخه بكلام جارح (١) .

فما كان من أبى الأسود الا أن كتب لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه كتاباً جاء فيه :- "ان ابن عمك قد أكل ماتحته بغير علمك ولم يسعنى كتمانك رحمك الله فانظر فيما هناك واكتب لى برأيك فيما أحببت والسلام" (٢)

فكتب اليه أمير المؤمنين كتاباً جاء فيه "أما بعد فمثلك من نصح الأمام والأمة ووالى على الحق فقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الىّ ولم أعلمه بكتابك فلا تدع اعلامى بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح فأنك بذلك جدير وهو حق واجب عليك" (٣)

وكتب رضى الله كتاباً الى ابن عباس يستوضح منه مانسب اليه وقد جاء فيه "أما بعد . ياابن العباس فقد بلغنى عنك أمور الله أعلم بها فأن تكن حقاً فلست أرضاها لك وان تكن باطلاً فأثمها على من اقترفها فأذا ورد عليك كتابى هذا فأعلمنى فى جوابه ماأخذت من مال البصرة من أين أخذته وفيما وضعته" (٤)

فرد ابن عباس على كتاب أمير المؤمنين : "أما بعد فأن الذى بلغك باطل وانى لما تحت يدى ضابط وحافظ فلاتصدقن الظنين والسلام" (٥) .

ولكن يبدو أن أمير المؤمنين أراد أن يستوثق أكثر ويبرئ ساحة ابن عمه وعامله وحبر هذه الأمة فكتب اليه يطلب تقريراً مالياً عن الجزية من أين أخذت وفيما وضعت (٦) .

---

(١) انظر ابن أعثم - الفتوح ج ٢ ص ٢٣٨
(٢) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٣٨٦
(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٨٦
(٤) الفتوح - مرجع سابق ج ٢ ص ٢٣٩
(٥) النويرى - نهاية الأرب ج ٢٠ ص ٢٠٣ - ٢٠٤
(٦) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٣٨٧

ولكن ابن عباس رضى الله عنه فهم من هذا الاجراء اتهاماً له فاستعفاه وقد جاء فى بيان سبب هذا الاستعفاء أما بعد فقد فهمت تعظيمك مرزأة مابلغك أنى رزأته من أهل هذه البلاد فابعث الى عملك من أحببت فأنى ظاعن عنه والسلام" (١).

وأختلف المؤرخون بعد ذلك هل فارق ابن عباس ابن عمه ورجع الى مسقط رأسه مكة ام أنه بقى معه حتى استشهاده . ؟

قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٠هـ " فى هذه السنة خرج عبد الله ابن عباس من البصرة ولحق بمكة فى قول أكثر أهل السير ،وقد أنكر ذلك بعضهم وقال:لم يزل عاملاً عليها لعلى حتى قتل وشهد صلح الحسن مع معاوية ثم خرج الى مكة. والأول أصح وانما كان الذى شهد صلح الحسن عبيد الله بن عباس " (٢) .

وقال ابن أعثم " ثم اعتزل ابن عباس عمل البصرة وقعد فى منزله فكتب اليه على ابن أبى طالب رضى الله عنه بكتاب يعذله فيه على غضبه ويكذب من سعى به اليه وأعاده الى عمله . (٣)

وسواء حصل هذا أم ذاك استقال ابن عباس أم بقى فى منصبه،بقى بالبصرة أم ذهب الى مكة فأن ماحصل فى اعتقادى يعتبر أمراً عادياً تشهده الادارات على اختلاف الزمان والمكان.فأن المنافسة بين الاداريين تولد نوعاً من الشحناء والبغضاء ينتج عنها استنصاراً بالسلطات العليا التى تقوم بالتحقيق فى الأمر وبيان الحكم الذى قد يقبله البعض ويرفضه البعض الآخر. ولكن أهل الأهواء والأغراض

---

(١) النويرى - نهاية الأرب - مرجع سابق ج ٢٠ ص ٢٠٤
(٢) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٣٨٦
(٣) ابن أعثم - الفتوح ج ٢ ص ٢٤٠

جعلوا من هذا الذى حدث بين على وابن عباس مناسبة للطعن فى هذا الدين والتشكيك فى رموزه الفكرية والفقهية . (١)

---

(١) انظر مثلاً طه حسين - الفتنة الكبرى - على وبنوه - دار المعارف بمصر الطبعة السابعة ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٩

الباب الثالث

الرقابة الإدارية في الدولة الأموية

ويشتمل علي الفصول التالية :

١ - **الفصل الأول** : الإختيار للوظيفة فى الدولة الأموية

٢ - **الفصل الثاني** : التوجيه فى الدولة الأموية

٣ - **الفصل الثالث** : المحاسبة

٤ - **الفصل الرابع** : أجهزة الرقابة وتطورها

أتحدث فى هذا الباب عن الرقابة الادارية فى الدولة الأموية وذلك من خلال الفصول التالية :-

١ - الفصل الأول : الاختيار للوظيفة فى الدولة الاموية .

٢ - الفصل الثانى : التوجيه فى الدولة الأموية .

٣ - الفصل الثالث : المحاسبة فى الدولة الأموية .

٤ - الفصل الرابع : أجهزة الرقابة وتطورها

تمهيد :-

ورثت الدولة الأموية عن العهد الراشدى ستة أقاليم هى الحجاز، الشام الكوفة ، البصرة ، خراسان ومصر .

فأتخذ الأمويون من الشام قاعدة لهم وجعلوا دمشق عاصمة لدولتهم. وتعود أهمية الشام الى أنها مركز للأمويين وفيها ثغور المسلمين على بلاد الروم وتتركز فيها الصوافى والشواتى وعلى موانئها تبنى السفن وتتحرك الأساطيل لغزو البحر ، كما أن فيها عدداً من الامارات الهامة مثل حمص وقنسرين وأنطاكية وطرابلس والجزيرة .(١)

ويعتبر العراق الذى كان يضم ولايتى الكوفة والبصرة مركز ثقل للمعارضين للحكم الأموى ، لذا اهتم به الأمويون وحرصوا على ضبطه واستقراره وولوا عليه أفضل قادتهم وولاتهم .(٢)

وكان اقليم خراسان يتبع البصرة ادارياً فى كثير من الأحيان ، حيث كان ولاة العراق فى الغالب يعينون ولاة خراسان .(٣)

---

(١) انظر محمود شاكر - التاريخ الاسلامى - العهد الأموى - المكتب الاسلامى الطبعة الأولى ١٩٨٩م ص ٨٧

(٢) انظر الطبرى - مرجع سابق ج ٥ ص ٢٣٤

(٣) انظر ثابت اسماعيل الراوى - العراق فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ٥١

أما الحجاز الذى كان يضم مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف فقد اهتم به الأمويون كذلك لأنه يعتبر مركزاً من مراكز المعارضة لهم، ولثقله الروحى والثقافى والسياسى ولذا كان الأمويون يجرون فيه الكثير من التغييرات الادارية بقصد ضبطه وضمان ولائه. (١)

وظلت مصر وأفريقية على ولاء تام للدولة الأموية (٢).

أما الأقاليم التى فتحت فى عهد الأمويين فقد جعلوا القادة العسكريين مسئولين عنها اداريا وأعطوهم سلطات واسعة مكنتهم من ضبطها وادارتها. (٦)

وقد اعتمد الأمويون فى ادارتهم على عدد من الدواوين بعضها ورثوه من العهد الراشد وبعضها الآخر أنشاؤها هم لحاجة المجتمع اليها وسأحاول فيما يلى استعراض أهم الدواوين التى اعتمدت عليها الدولة ومدى التطور الذى حدث بها.

١ - ديوان الجند :-

أنشأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا الديوان ليحدد من خلاله العطاء للمقاتلين وكان يعرف باسم الديوان لأنه لم يكن يوجد غيره فلم يحتاجوا تمييزه بلفظ آخر يضاف اليه. (٤)

ويرجع السبب فى انشاء هذا الديوان حسب رواية الجهشيارى الى أن أبا هريرة قدم على عمر من البحرين ومعه مال كثير فقال له عمر: ماذا جئت به ؟ قال: خمس مائة ألف درهم. فقال عمر: أتدرى ماتقول ؟ قال: نعم فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس قد جاءنا مال كثير فأن شئتم كلناه كيلاً وان شئتم

---

(١) انظر محمود شاكر - التاريخ الاسلامى - العهد الأموى - مرجع سابق ص ٩١
(٢) انظر المرجع السابق ص ٩٢ - ٩٣
(٣) انظر ثابت الراوى - العراق فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ٥٠
(٤) انظر نجدة خماش - الادارة فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ٢٥٦

أن نعد عداً فقام اليه رجل فقال : ياأمير المؤمنين قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً لهم فقال : دونوا الدواوين "(١) .

وكان الديوان عبارة عن سجلات يكتب فيها أسماء المسلمين المستحقين للعطاء مع ذكر مبلغ عطائهم الذى كان يقدر بحسب سابقة الشخص فى الاسلام ومقدار بلائه أو قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان الخليفة يحمل هذه السجلات التى رتبت على البيوت والقبائل فيطوف على أصحابها ويسلمهم عطاءهم .(٢)

ويرجع الماوردى سبب تسمية الديوان الى وجهين: الأول أن كسرى اطلع ذات يوم على كتابه وهم يحسبون مع أنفسهم فقال : ديوانه أى مجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء تخفيفاً للأسم فقيل ديوان. والثانى أن الديوان بالفارسية اسم للشيطان فسمى الكتاب بأسمه لحذقهم بالأمور وقوتهم على الجلى والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق ثم سمى مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان .(٣)

وفى العهد الأموى توسع عمل هذا الديوان نظراً لازدياد عدد المقاتلين "وكان من الطبيعى نتيجة للزيادات التى طرأت على أهل الديوان أن يصار الى تدوين جديد بين فترة وأخرى ولدينا مثال على ذلك بما حدث فى مصر حيث مر ديوان مصر فى أربع مراحل الأولى فى عهد عمرو بن العاص الذى كان أول من دون هذا الديوان ثم دونه عبد العزيز بن مروان (٤)

---

(١) الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ١٦

(٢) انظر الطبرى - مرجع سابق ج ٤ ص ٢٠٩

(٣) انظر الماوردى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ١٩٩

(٤) هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم ولى العهد بعد عبد الملك وأمير مصر لأكثر من عشرين عاماً . روى عن الصحابة والتابعين وروى عنه ابنه عمر وآخرون مات سنة ٨٥ هـ .
انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٢٤٩

التدوين الثانى فى خلافة عبد الملك بن مروان . (١) ودون قرة بن شريك (٢) التدوين الثالث فى خلافة الوليد بن عبد الملك (٣) . وأخيراً دون بشر بن صفوان (٤) التدوين الرابع فى خلافة يزيد بن عبد الملك (٥) وقد يعود تعدد التدوين فى مصر الى الزيادات التى طرأت على أهل الديوان ، فبعد أن كان عدد أهل الديوان فى ولاية عمرو بن العاص الأولى هو ستة عشر ألفاً ارتفع فى عهد معاوية بن أبى سفيان الى أربعين الفاً" (٦)

وفى العراق توسع عدد المقاتلين كذلك فعندما قدم زياد البصرة كان عدد المقاتلين أربعين ألفاً فبلغ بهم ثمانين ألفاً وارتفع عدد المقاتلين فى الكوفة الى ستين ألفاً (٧) وفى سنة ٩٦هـ كان فى خراسان من مقاتلة أهل البصرة فقط ٥٧ ألف مقاتل (٨) .

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص الأموى . أبو الوليد. الخليفة الفقيه ولد سنة ٢٦هـ . روى عن عدد من الصحابة وحدث عن عروة والزهرى. تولى الخلافة بعد أبيه وقضى على حركة ابن الزبير . كان من دهاة الرجال توفى فى شوال سنة ٨٦ هـ.
انظر ابن قتيبة - المعارف - مرجع سابق ص ٢٠٠ - ٢٠٣

(٢) قرة بن شريك القيسى - تولى حكم مصر لمدة سبع سنوات وبنى جامع الفسطاط . توفى سنة ٩٦هـ. انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٤٠٩

(٣) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان. أبو العباس. بويع له بعد أبيه. توسعت الدولة فى عهده. بنى المسجد الأموى وجدد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. مات فى جماد الآخرة سنة ٩٦هـ. انظر المعارف - مرجع سابق ص ٢٠٣

(٤) هو بشر بن صفوان الكلبى . أحد الشجعان من ذوى الرأى والحزم. ولى مصر سنة ١٠١هـ ثم تولى أفريقية وأقام بالقيروان وغزا صقلية - مات بالقيروان سنة ١٠٩هـ
انظر الكندى - تاريخ ولاة مصر - مرجع سابق ص ٦٠

(٥) يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموى. أبو خالد. تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز . ولد فى سنه ٧١هـ وتوفى سنة ١٠٥هـ.
انظر المعارف - مرجع سابق ص ٢٠٦

(٦) نجدة خماش - الادارة فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ٢٦٠

(٧) انظر ابن عبد ربه - العقد الفريد - مرجع سابق ج ٥ ص ٨

(٨) انظر الطبرى ج ٦ ص ٥١٢

وعندما جاء الحجاج [١] الى العراق أجرى تعديلاً فى هذا الديوان نزولاً على رغبة الخليفة عبد الملك الذى طلب اليه أن يعرض الناس ويعيد تنظيم عطائهم حسب الكفاءة والمقدرة فأعفى الحجاج العرفاء السابقين واختار عرفاء جدد وجعل الجندية خدمة الزامية . [٢]

ويأتى اهتمام الأمويين بهذا الديوان نظراً للحروب التى خاضوها ضد أعدائهم فى داخل الدولة وخارجها فاحتاجوا الى الجندى المدرب المطيع فكان هذا العدد الكبير من الجنود. وفى المقابل توسع الأمويون فى العطاء الا فى بعض الحالات النادرة وهذا التوسع فى العدد والعطاء أضفى على هذا الديوان أهمية خاصة .

٢ - ديوان الخراج :-

يمثل هذا الديوان الادارة المالية فى الدولة ويعتبر من أهم الدواوين ومنذ أن أسس عمر بن الخطاب ديوانه فى المدينة وجد فى الكوفة والبصرة والشام ومصر ديوانان أحدهما بالعربية لأحصاء المقاتلين وأعطياتهم وثانيهما كان خاصاً بالأموال وكان مكتوبا بالفارسية فى العراق وبالقبطية فى مصر [٣] .

وكانت ادارة هذا الديوان مركزية فى العاصمة دمشق ، بينما كانت توجد له فروع فى الأقاليم . وكان معاوية أول من أمر بتسجيل وحفظ مقادير الجزية والخراج لكل

---

(١) هو الحجاج بن يوسف أمير العراق . كان ذو شجاعة واقدام ودهاء وفصاحة وتعظيم للقرآن مع سفك للدماء - انظر المعارف - مرجع سابق ص ٢٢٢ - ٢٢٤ وسير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ٣٤٣ .

(٢) انظر عبد الواحد ذنون طه - العراق فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى - منشورات مكتبة بسام الموصل - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ص ١٢٦ - ١٢٧

(٣) انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ٣٨

منطقة أو اقليم . (١)

وقد تم خلال العصر الأموى العمل على تعريب هذه السجلات . ففى العراق قام صالح بن عبد الرحمن (٢) بهذا التعريب بينما قام به فى الشام سليمان ابن سعد الكاتب . (٣) وتم التعريب فى مصر سنة ٨٧ هـ وكان آخر ديوان تم تعريبه هو ديوان خراسان وذلك فى سنة ١٢٤ هـ على يد اسحق بن طليق الكاتب (٤ - ٥)

٣ - ديوان الرسائل :-

ويسمى ديوان الانشاء وأصله فى الاسلام يرجع الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم الذى استخدم كتاباً كتبوا له القرآن الكريم كما كتبوا له الرسائل الى الملوك والأمراء.

وفى العهد الأموى أسس ديوان منظم وظيفته كتابة الرسائل وحفظ السجلات واختص هذا الديوان بجميع المراسلات واصدار النشرات والرسائل وتنسيق العمل بين الدواوين الأخرى . وكانت المراسلات السياسية قصيرة جداً ومقصورة على مايراد منها الى أن جاء الوليد بن عبد الملك فأدخل المحسنات والصياغة الأدبية . (٦)

---

(١) انظر نجدة خماش - الادارة فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ٢٧٤

(٢) صالح بن عبد الرحمن التميمى بالولاء - أبو الوليد - أول من حول ديوان الخراج من الفارسية الى العربية بالعراق . قلده الحجاج أمر الدواوين . وفد على سليمان بن عبد الملك فولاه خراج العراق . قتله ابن هبيرة سنة ١٠٣ هـ . انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ٣٨ - ٣٩ والكامل للمبرد ج ١ ص ٢٢٨

(٣) سليمان بن سعد الخشنى - من أهل الأردن . أول من نقل الدواوين من الرومية الى العربية . ولاه عبد الملك جميع دواوين الشام واستمر فى عمله حتى عزله عمر بن عبد العزيز - توفى سنة ١٠٥ هـ . انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب ص ٤٧ و ٥٦

(٤) هو اسحق بن طليق - أبو نصر - من بنى نهشل . كان كاتباً لنصر بن سيار بخراسان أول من عرب الدواوين بخراسان - انظر الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٦٧

(٥) انظر نجدة خماش الادارة فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ٢٧٧

(٦) انظر أبى العباس القلقشندى . صبح الاعشى فى صناعة الانشاء دار الكتب المصرية طبعة ١٩٢٢ ج ٦ ص ٣٩١

وكان لمتولى ديوان الرسائل مكانة رفيعة عند الخليفة يكاد ألا يزاحمه عليها أحد وكان الخليفة لا نشغاله بأمور الدولة لا يقرأ الكتب المرسلة اليه بنفسه ولكنه يتركها الى صاحب ديوان الرسائل الذى كان عليه كذلك مراقبة مايكتب فى الديوان كما كان عليه أن يتصفح ما يأتيه من مراسلات. (١)

٤ - ديوان الخاتم :-

يعتبر معاوية أول من اتخذ ديواناً للخاتم وذلك بغرض ضبط المعاملات المالية فى الدولة وذلك بعد ان اكتشف تزويرًا فى مراسلاته اذ كتب الى زياد بأن يعطى أحد أفراد الرعية مبلغ مائة ألف درهم فمضى الرجل الكتاب وجعلها مائتى ألف درهم فلما رفع زياد حسابه الى الخليفة قال معاوية : ماكتبت له الا بمائة ألف فكتب الى زياد بذلك واتخذ معاوية ديواناً للخاتم. (٢)

فصار ديوان الخاتم يتولى تسجيل الأوامر الصادرة من الخليفة ثم يختم الأصل ويرسله ولم يكن الخاتم يوضع فى أدنى الرسالة وانما كانت الرسالة تطوى ويلصق طرفها بالشمع والطين الذى يطبع عليه وهو طرى خاتم الخلافة ويترك حتى يجف فأذا فتحت الرسالة من قبل أن تصل الى مرجعها عرف ذلك اذ لا سبيل الى فتحها الا بتمزيق الخاتم.

أما الخاتم الذى يوضع فى نهاية الرسالة فهو أمر عرف منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم وذلك حين أراد أن يرسل كتبه الى الملوك أخبر بأن الروم لا يقرأون الكتاب الا اذا كان مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه محمد رسول الله كل كلمة فى سطر واستمر العمل بخاتم النبى صلى الله عليه وسلم طيلة فترة أبى بكر وعمر وسقط من عثمان رضى الله عنه فى البئر فاتخذ خاتماً بديلاً. (٣)

---

(١) انظر المرجع السابق ج ١ ص ١١٣
(٢) انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ٢٤
(٣) انظر نجدة خماش الادارة فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ٢٨٧

وفى عهد الدولة الأموية كان لكل خليفة خاتمه الخاص . (١)

وسنتحدث عن ديوان المظالم وديوان البريد فى الفصل الخاص بأجهزة الرقابة فى الدولة الأموية .

كذلك أنشأت الادارة الأموية مجموعة من الدواوين الأخرى للقيام بمهام محددة مثل ديوان الصدقات والذى كانت مهمته منحصرة فى جميع الصدقات وصرفها فى مصارفها الشرعية . وعمال هذا الديوان يختلفون عن عمال ديوان الخراج لاختلاف مهام الديوانين . (٢)

ومنها ديوان الطراز الذى كانت مهمته تنحصر فى تجهيز الأزياء الرسمية للدولة ونقوشها .

ومنها كذلك ديوان المستغلات الذى ظهر لأول مرة فى خلافة الوليد بن عبد الملك وهو الديوان الذى تسجل فيه أراضى الدولة وأملاكها . (٣)

ومنها ديوان الأحباس الذى ظهر فى آخر العهد الأموى حيث وضع قاضى مصر توبة بن نمر (٤) الذى كان فى عهد هشام بن عبدالملك (٥) يده على

---

(١) انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ٦٠

(٢) انظر د . ابراهيم سليمان الكردى ود .عبدالتواب شرف الدين - المرجع فى الحضارة العربية الاسلامية - منشورات ذات السلاسل - الكويت ١٤٠٤-١٩٨٤م ص ٨٠

(٣) انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ٤٧

(٤) توبة بن نمر الحضرمى - أبو محجن. تولى قضاء مصر فى سنة ١١٥هـ فكان أول قاض بمصر تولى أمر الأحباس وذلك فى خلافة هشام وكان جواداً كريماً . توفى وهو على قضاء مصر فى ربيع الأول سنة ١٢٠هـ .
انظر الكندى - تاريخ ولاة مصر - مرجع سابق ص ٢٥٧ - ٢٦٢

(٥) هو هشام بن عبدالملك بن مروان. أبو الوليد. كان أحولاً حازماً استمرت ولايته قرابة العشرين عاماً. توفى بالرصافة من أرض قنسرين فى ربيع الاخر سنة ١٢٥هـ .
انظر ابن قتيبة - المعارف - مرجع سابق ص ٢٠٦

الأحباس بعد أن كانت فى أيدى أهلها ، فلم يمت توبة حتى صارت الأحباس ديواناً عظيماً وكان ذلك فى سنة ١١٨هـ (١)

---

(١) انظر الكندى - تاريخ ولاة مصر - مرجع سابق ص ٢٦٠

الفصل الأول

الإختيار في الدولة الأموية

ويشتمل علي المباحث التالية :

١- المبحث الأول : الإختيار في عهد معاويه وولده يزيد

٢- المبحث الثاني : الإختيار من عهد مروان وحتى نهاية عهد سليمان

٣- المبحث الثالث : الإختيار في عهد عمر بن عبدالعزيز

٤- المبحث الرابع : الإختيار من عهد يزيد وحتى نهاية الدولـة

أتحدث فى هذا الفصل عن اختيار الولاة والعمال فى الدولة الأموية وذلك عبر المباحث الآتية :-

المبحث الأول :- الاختيار فى عهد معاوية وولده يزيد (١)

المبحث الثانى : - الاختيار من عهد مروان حتى نهاية عهد سليمان (٢)

المبحث الثالث : - الاختيار فى عهد عمر بن عبد العزيز (٣)

المبحث الرابع : - الاختيار من عهد الوليد حتى نهاية الدولة .

المبحث الأول

الاختيار فى عهد معاويه وولده يزيد

عندما تولى معاوية رضى الله عنه الخلافة عمد الى اختيار العناصر المتبوعة فى قومها فولاها الولايات خاصة أصحاب التجارب ممن عمل مع الخلفاء الراشدين الذين سبقوه أمثال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد . ثم عمد بعد ذلك الى بعض أفراد البيت الأموى فولاهم بعض الولايات ولكنه كان يراقب تصرفاتهم بدقة متناهية اضافة الى تعيينه الأكفاء من الناس دون النظر الى قبائلهم أو أوضاعهم الأجتماعية .

---

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب الأموى أبو خالد . غزا القسطنطنية . تولى الخلافة بعد أبيه فى رجب سنة ٦٠هـ . توفى فى ربيع الأول سنة ٦٤هـ . انظر المعارف - مرجع سابق ص ١٩٨

(٢) سليمان بن عبد الملك بن مروان . أبو أيوب . تولى الخلافة بعد أخيه الوليد سنة ٩٦ كان فصيحاً محباً للخير والجهاد . مات فى صفر سنة ٩٩هـ . انظر سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١١١

(٣) عمر عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى . أبو حفص الأمام الحافظ العلامة الزاهد أمير المؤمنين . كان حسن الخلق والخلق . تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك . مات سنة ١٠١هـ . انظر المرجع السابق ج ٥ ص ١١٤

ولقد كانت سياسته رضى الله عنه فى الاختيار محل دراسة للباحثين الذين اختلفت نظرتهم لها . قال أحدهم فى بيان هذه السياسة :-

" ساعد معاوية على النجاح فى وضع أسس النظام المركزى ثلاثة عوامل :-

أولها :- اشتغاله بعد اسلامه مع الرسول الكريم .

ثانياً :- البيئة التى نشأ فيها وترعرع .

ثالثاً :- دراسة التطورات الجديدة التى سادت أقاليم الدولة الاسلامية منذ نهاية عصر الراشدين .

" وتجلى افادة معاوية من العامل الأول فى تحديد علاقاته بالشخصيات التى دفعت أحداث التطور فى الدولة الاسلامية ، أن يتصل بها سواء فى ميدان المحبة والصداقة أو العداوة والبغضاء . فكان كثير من الشخصيات التى ناهضت معاوية أو تلك التى استطاع أن يجذبها الى جانبه من صحابة الرسول وممن التفت حوله واضطلعت بأداء مشاريعه .

" ووقف معاوية بالتالى على طبيعة كل شخص من صحابة الرسول كما عرف أمثل السبل لاكتسابها الى جانبه والاستفادة منها فى اعداد النظام الادارى اللامركزى الجديد للدولة الاسلامية وكفلت هذه الخطوة لنظام الخلافة أن يقترن منذ مطلع نشاطه بالنظام الادارى اللامركزى وأن يتم الانسجام بينهما بما يحقق للدولة الاسلامية أهدافها فى الداخل والخارج بنجاح باهر وسرعة فائقة منقطعة النظير" . (١)

" وكان للبيئة التى نشأ فيها معاوية أثر كبير أيضاً فى اختيار رجال ادارته

---

(١) د . ابراهيم العدوى - مصر الاسلامية - مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م ص ٧٢

اللامركزية عن ثقة ودراسة وعلم راسخ فهو ابن أبى سفيان زعيم مكة وأعظم شخصياتها حنكة وتجربة وأوسعها اتصالاً وخبرة بالبيوت الكبرى فى مدن الحجاز وخارجها كذلك . فتلقن معاوية على يد هذا الوالد الخبير أصول الحكم وادارته ، كما يفهمها أهل مكة ، ووفق وجهة النظر التى آمن بها أبو سفيان من حيث تكوين الأنصار والأشياع واصطناع الرجال والعمال . ووقع اختياره معاوية على أبناء ثقيف من أهل الطائف لتشكيل ادارته الجديدة . ونبغ من بنى ثقيف على عهد معاوية المغيرة بن شعبة الذى تولى امرة الكوفة وزياد بن أبيه الذى تولى امرة البصرة اذ حمل هذان الرجلان فى اخلاص عميق ومثالية رائعة لواء النظام الادارى اللامركزى فى شرق الدولة وأسهما مع معاوية فى وضع أسس النظام الجديد واقراره" (١)

" واخيرا عزّز معاوية هذه الطبقة من رجال ادارته بمجموعة اختارها من ذوى التجارب الواسعة وكذلك ممن لهم مطامع يمكن استغلالهم عن طريقها لتحقيق أهداف نظامه اللامركزى . ومن ثم ظهرت طبقة جديدة من الرجال استفاد منها معاوية لخلق توازن داخل الادارة والهيئات المختلفة العاملة فيها . وتكونت هذه المجموعة من أبناء الطبقة الوسطى من قريش الذين لا يخشى الأمويون منهم بأساً أو ضراً وصار من الممكن الاعتماد عليهم فى ادارة المناطق النائية أو الولايات المليئة بأسباب الفتن والقلاقل" (٢)

فمعاوية برأى كاتب آخر قد حافظ على أصول الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين فى الادارة ، وما حاد عنها الا فيما قضت به المصلحة ودعا اليه الواقع الجديد (٣) .

واستفادة معاوية رضى الله عنه من أفراد البيت الأموى مثل عتبة بن أبى سفيان

---

(١) المرجع السابق ص ٧٢

(٢) المرجع السابق ص ٧٣

(٣) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٤٦

والوليد بن عتبة [١] وسعيد بن العاص بن أمية ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك وغيرهم ، لم تكن الصحابة سبباً في اختيارهم وانما كان كثير منهم ممن خدم أبابكر وعمر رضى الله عنهما ، ورأى أن يستفيد من جهودهم ومواهبهم ولا سيما أولئك الذين أظهرتهم أحداث الفتوحات الاسلامية بالشام وغيرها . [٢]

وهو نفس المعيار الذى تم بموجبه اختيار أبناء القبائل العربية الأخرى أمثال عبد الله بن عامر بن كريز والمغيرة بن شعبة وحسان بن مالك [٣] والضحاك بن قيس الفهرى [٤] وعمرو بن العاص السهمى والأحنف بن قيس التميمى والنعمان بن بشير الانصارى [٥] ومسلمة بن مخلد الأنصارى [٦] فقد تم اختيارهم على أساس الكفاءة والمقدرة . [٧]

---

(١) هو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب . تولى لعمه معاوية امارة المدينة كان صاحب حلم وجود وسؤدد . مات بالطاعون سنة ٦٤هـ . انظر سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٣٤

(٢) انظر د . عمر سليمان العقيلى - خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ص ٧٣ - ٧٤

(٣) حسان بن مالك بن بحدل الكلبى - أبو سليمان - أمير العرب وأحد قادة معاوية . بايع مروان وناصره - له قصر بدمشق - انظر سير أعلام النبلاء مرجع سابق ج ٣ ص ٥٣٧

(٤) هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهرى . أبو أمية . يعد من صغار الصحابة وله أحاديث . كان من القيادات التى اعتمد عليها معاوية . بايع ابن الزبير بعد وفاة يزيد - قتل فى مرج راهط سنة ٦٤ هـ .
انظر المعارف - مرجع سابق ص ٢٣٣ واسد الغابة - مرجع سابق ج ٢ ص ٤٣٢ .

(٥) النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى - أبو عبد الله . ولد فى السنة الثانية للهجرة روى عدداً من الأحاديث . كان من أمراء معاوية قتل فى آخر سنة ٦٤هـ .
انظر المعارف - مرجع سابق ص ١٦٧

(٦) هو مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصارى الخزرجي . نائب مصر لمعاوية . ولد عام الهجرة وتوفى سنة ٦٢هـ بالأسكندرية . انظر سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٢٤ .

(٧) انظر د . عمر سليمان العقيلى - خلافة معاوية - مرجع سابق ص ٧٣ - ٧٤ .

وكان معاوية رضى الله عنه يعرف مقدرات الرجال فيضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

فقد ولى عمرو بن العاص ولاية مصر لأنه سبق له أن تولى أمرها مرتين وقد عرف طبائع أهلها وموارد ها كما أن السكان قد عرفوه وتعودوا عليه . (١)

وذكر الطبرى أن معاوية كان يولى العامل الطائف فأذا أحسن ادارتها أضاف اليه مكة المكرمة فاذا أحسن الادارة اضاف اليه المدينة (٢) .

" وغنى عن البيان أن الطائف كانت مدينة مهمة فى ذلك الوقت حيث تتمركز فيها قبيلة ثقيف القوية وأن من يستطيع من الولاة أن يسيطر على الطائف سياسياً واقتصادياً فأن بقية المدن تسهل السيطرة عليها بعد ذلك " (٣)

ولما كان العراق منطقة ثورات وقلاقل فقد أسند معاوية أمر ادارته الى رجلين حنكتهما التجارب وصقلتهما الأحداث وعرفا بالحكمة والدهاء فقد أوكل امارة الكوفة الى المغيرة بن شعبة الذى عمل على ضبط الأمور فيها كما تولى أمر الوساطة بين معاوية وزياد الذى كان يتولى أمر فارس لعلى بن أبى طالب فعمل على اقناعه بالعمل مع معاوية بعد مقتل أمير المؤمنين على وتنازل الحسن فلما قبل زياد ولاه معاوية أمر البصرة . (٤)

وظل زياد أميراً على البصرة وأعمالها حتى سنة خمسين التى مات فيها المغيرة فكتب معاوية الى زياد حيث ولاه الكوفة والبصرة معاً فكان أول أمير جمعت له البصرة

---

(١) انظر النجوم الزاهرة - مصدر سابق ج ١ ص ١١٣
(٢) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٥ ص ٢٩٦
(٣) د . محمد سليمان العقيلى - خلافة معاوية - مرجع سابق ص ٧٥
(٤) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٤٢٢

والكوفة فاستخلف على البصرة سمرة بن جندب [١] وشخص الى الكوفة فكان يقيم ستة أشهر بالكوفة وستة أشهر بالبصرة ثم اضيفت اليه خراسان . [٢]

وقد وضع زياد نظاماً ادارياً دقيقاً ساعده على تحقيق سياسته ونظم به أحوال الرعية . فقد حول التقسيم القبلى فى كل من البصرة والكوفة وخراسان الى تقسيم ادارى. فقد قسم جند البصرة الى خمسة أقسام وقسم جند الكوفة الى أربعة أقسام ادارية وشكل كل قسم من قبائل مختلفة وعين له رئيساً من قبله ويخضع له مباشرة واستطاع بهذا النظام أن ييسر لنفسه حكم العراق والمشرق وأن يديرها بأهلها. [٣]

ومما يشير الى ضبط زياد للأمور فى امارته أنه قدم قادم على معاوية فقال له معاوية : هل من مغربة خبر ؟ قال : نعم . نزلت بماء من مياه العرب فبينما أنا عليه أورد أعرابى أبله ، فلما شربت ضرب على جنوبها وقال : عليك زياداً فقلت له : ما أردت بهذا ؟ قال : هى سدى ما قام لها راع منذ ولى زياد . فسر معاوية بذلك وكتب به الى زياد . [٤]

وكان زياد يجلس فى كل يوم الا يوماً واحداً هو الجمعة فيبدأ بمرسل عماله فينظر فيما قدموا له ويسألهم عن بلادهم ويجيبهم فيما سألوا ثم ينظر فى نفقاتهم ، وفى أعطيات رجاله ثم فيما دخل فيه من المبيعات وفى الاسعار ويسأل عن الأخبار وينظر فيما يحتاج اليه من حفر نهر واصلاح قنطرة أو تسهيل عقبة أو نقل طريق الى

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزارى ـ من علماء الصحابة. نزل البصرة وله أحاديث. كان نائباً لزياد. توفى سنة ٥٨هـ. انظر ابن قتيبة ـ المعارف مرجع سابق ص ١٧٢ وسير أعلام النبلاء ـ مرجع سابق ج ٣ ص ١٨٣

(٢) انظر الطبرى ج ٥ ص ٢٣٤

(٣) انظر د . حسين محمد سليمان ـ رجال الادارة فى الدولة الاسلامية العربية دار الاصلاح ـ الدمام ١٤٠٤ هـ ص ٢٠٠

(٤) انظر ابن قيتبة ـ عيون الأخبار ـ مرجع سابق ج ١ ص ٨

غيره ثم يأخذ كتب العمال فيمليها بنفسه .(١)

وكان معتداً بخبرته حيث يقول فى ذلك : " ماغلبنى معاوية فى شىء من أمور السياسة قط الا فى شىء واحد وذلك أنى استعملت رجلا على بعض البلاد فكسر الخراج فخشى أن أعاقبه ففر منى الى معاوية فكتبت اليه أسأله تسليمه الىّ فكتب فى جوابه : أما بعد فليس ينبغى لمثلى ومثلك أن تسوس الناس جميعاً بسياسة واحدة لكن تكون أنت للغلظة والفظاظة وأكون أنا للرأفة والرحمة فأذا هرب هارب وجد له باباً يلج فيه والسلام "(٢) .

وكان عمال معاوية رضى الله عنه لا يخافون فى الحق حتى من معاوية نفسه فقد روى أن معاوية حبس مرة العطاء فقام اليه أبو مسلم الخولانى (٣) فقال : يا معاوية انه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك ، فغضب معاوية ونزل من على المنبر فقال لهم : مكانكم فغاب عنهم ساعة ثم خرج عليهم فقال : ان أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى وكأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفىء النار بالماء واذا غضب أحدكم فليغتسل وانى دخلت فاغتسلت.وصدق أبو مسلم ليس من كدى ولا من كد أبى فهلموا الى أعطياتكم .(٤)

وكان أبو مسلم يذكّر معاوية رضى الله عنه بوظيفته فقد دخل عليه فقال له : السلام عليك أيها الأجير فقالوا : قل أيها الأمير فقال : السلام عليك أيها الأجير.فقالوا :

---

(١) انظر ابن خلدون - التذكرة الحمدونية - مرجع سابق ص ٤٠٧

(٢) أبو عبد الله القلعى ، تهذيب السياسة مرجع سابق ص ٢٦٤ والذهبى - سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ج ٣ ص ١٥٤ .

(٣) أبو مسلم الخولانى - اسمه عبد الله بن ثوب .من أهالى الشام.توفى فى خلافة يزيد بن معاوية انظر المعارف مرجع سابق ص ٢٥٠ وطبقات ابن سعد مرجع سابق ج ٧ ص ٤٤٨

(٤) أبو طاهر الحبيطانى ، قناطر الخيرات - سلطنة عمان وزارة التراث القومى والثقافة ١٩٨٣م ج ٢ ص ١٨٩ .

قل: أيها الأمير. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فانه أعلم بما يقول ، قال أبو مسلم : " انما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها فأن أنت هنأت جرباها وداويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها . وفاك سيدها أجرك وان أنت لم تهنأ جرباها ولم تداوى مرضاها ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها "(١)

ومما يدل على صلاح أولئك العمال وصدقهم وتحريهم للحق أن زياداً بعث الحكم بن عمرو الغفارى (٢) على رأس جيش الى خراسان فغنموا غنائم كثيرة فكتب اليه زياد يقول : ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن أصطفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة فكتب اليه الحكم : بلغنى ماأمر به أمير المؤمنين وانى وجدت كتاب الله قبل كتابه وانه والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل له فرجاً ومخرجاً . ثم قال للناس: اغدوا على أعطياتكم ومالكم فقسمه بينهم ثم قال : اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك فتوفى عاجلا .(٣)

" أما القضاء فقد تركه معاوية لجماعة من أفاضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الفقهاء من الصحابة والتابعيين حتى يستطيع هؤلاء توجيه الناس وتعليمهم أمور دينهم . ففى دمشق شبت معاوية رضى الله عنه أبا الدرداء عويمر بن عامر الخزرجى الأنصارى (٤) مقرئ أهل دمشق وعالمهم على القضاء فظل فى منصبه حتى وافته

---

(١) ابن تيمية السياسة الشرعية - مرجع سابق ص ١٣ - ١٤ والقلعى تهذيب السياسة مرجع سابق ص ١٢٩

(٢) الحكم بن عمرو الغفارى - له صحبة ورواية وفضل وصلاح ورأى واقدام. نزل البصرة ومات مجاهداً بخراسان سنة ٥١هـ انظر سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٧٤ - ٤٧٥

(٣) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مرجع سابق ج ٣ ص ٤٧٠

(٤) هو عويمر بن عامر بن قيس الأنصارى الخزرجى - أبو الدرداء - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاضى دمشق وأحد أوعية العلم - توفى فى خلافة معاوية . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٢ ص ٣٣٥ .

المنية سنة ٣٢ هـ . وتروى المصادر أن ابا الدرداء عندما حضرته الوفاة قال لـه معاوية : من ترى لهذا الأمر؟ قال : فضالة بن عبيد الليثى الأنصارى [١] فأرسل معاوية الى فضالة بن عبيد فولاه القضاء .

ثم جاء بعده النعمان بن بشير الأنصارى ثم بلال بن أبى الدرداء الأنصارى الذى ظل فى منصبه حتى وفاة معاوية بن أبى سفيان فى رجب سنة ٦٠هـ .

وفى فلسطين كان عبادة بن الصامت [٢] أول من ولى أمر القضاء هناك. أما فى البصرة فتولى القضاء كل من عمران بن الحسين الخزاعى وعبد الله بن فضالة الليثى وزرارة بن أوفى الجرشى وعمير بن يثربى الضبى [٣] وفى الكوفة تولى القضاء شريح ابن الحارث الكندى [٤] .

أما فى المدينة المنورة فقد استقضى مروان عليها عبد الله بن نوفل بن الحارث ولم يزل قاضياً عليها حتى عزل مروان سنة ثمان وأربعين ثم ولى سعيد بن العاص فاستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف [٥] فلم يزل قاضياً عليها حتى عزل سعيد ابن العاص وولى مروان بن الحكم ثانية سنة أربع وخمسين فاستقضى مروان بن الحكم مصعب ابن عبد الرحمن بن عوف [٦] فلم يزل قاضياً عليها حتى عزل مروان سنة سبع وخمسين

---

(١) فضالة بن عبيد الليثى الأنصارى الأوسى. أبو محمد. القاضى الفقيه . صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. من أهل بيعة الرضوان. كان ينوب معاوية فى الامرة اذا غاب توفى سنه ٥٧هـ . انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١١٣

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى . أبو الوليد . أحد النقباء ومن البدريين شهد المشاهد كلها مع النبى صلى الله عليه وسلم . مات ببيت المقدس. انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٢ ص ٥

(٣) لم أجد لهم تراجماً .

(٤) شريح بن الحارث بن قيس الكندى . أبو أمية قاضى الكوفة . يقال أنه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن. أسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يره . توفى سنه ٧٨هـ انظر المعارف - مرجع سابق ص ٢٤٦ .

(٥) ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى . كان ثقة فقيهاً كثير الحديث توفى بالمدينة سنة ٩٤هـ . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٢٨٧

(٦) مصعب بن عبد الرحمن بن عوف . من الشجعان الأبطال. كان على شرطة مروان بالمدينة المنورة قتل مع ابن الزبير . انظر ابن قتيبة . المعارف . مرجع سابق ص ١٣٩

فى آخر ذى القعدة ."(١)

وفى مصر ولى معاوية رضى الله عنه على قضائها سليم بن عتر التجيبى (٢) وظل فى منصبه من سنة أربعين هجرية حتى سنة ستين للهجرة. ويروى الكندى أن سليم استحدث أمرين هامين جداً فى تاريخ القضاء أبان فترة عمله فقد سن نظام التعويضات الذى لم يكن معروفاً من قبل . كما أنه كان أول من سجل الأحكام فى مصر. (٣)

هؤلاء هم عمال وولاة وقضاة معاوية اختارهم اختياراً خاصاً وحرص على أن يضع فى كل وظيفة الشخص الملائم لها، الأمر الذى جعل أحد الكتاب يقول عنهم : " ومن ينظر فى سيرة أولئك العمال يأخذه العجب من عفتهم عن الأموال وتبلغهم بالقليل وانفاقهم بلا حساب لتأليف الشارد واستمالة الخصم "(٤) .

وبعد وفاة معاوية اعتمد ابنه يزيد ٦٠ - ٦٤هـ على نفس العناصر التى اعتمد عليها أبوه تقريباً . ولم يجر تعديلاً يذكر الا فى بعض المواضع والولايات.

ويبدو لى أن قصر مدة يزيد فى الخلافة - أربع سنوات وأحداث خروج الحسين ابن على رضى الله عنه (٥) لم تمكن يزيد من اجراء تغيير كبير على هيكل الادارة وموظفيها.

---

(١) د . عمر سليمان العقيلى - خلافة معاوية - مرجع سابق ث ٧٦ - ٧٧

(٢) سليم بن عتر التجيبى المصرى - قاضى مصر وواعظها. كان يلقب بالناسك لكثرة عبادته وعلمه توفى سنه ٧٥هـ. انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ١٣١

(٣) انظر الكندى - تاريخ ولاة مصر - مرجع سابق ص ٩ ٢٣٢ - ٢٣٣

(٤) محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٥٤

(٥) الحسين بن على بن أبى طالب - أبو عبد الله - ريحانة الرسول صلى الله عليه وسلم. ولد فى شعبان من السنة الثالثة للهجرة . له عدد من الأحاديث . خرج على يزيد بن معاوية واستشهد فى كربلاء بالعراق سنة ٦١ هـ.
انظر المعارف - مرجع سابق ص ١٢٤ وأسد الغابة مرجع سابق ج ١ ص ٤٨٧ .

المبحث الثاني

الاختيار منذ عهد مروان وحتى عهد سليمان

تم اختيار مروان بن الحكم خليفة فى مؤتمر الجابية سنة ٦٤ هـ وبعد اختياره عمل على استعادة سلطان الأمويين فى الدولة الاسلامية حيث لم يبق لهم الا الشام بسبب تأييد الولايات الأخرى لعبد الله ابن الزبير وحتى الشام نفسها لم تكن خالصة لهم اذ أن انقساماً قد وقع بها لصالح ابن الزبير . (١)

وعندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٥هـ عمل على اكمال مابدأه أبوه حيث استطاع اخضاع بقية الولايات لسلطته وقضى على حركة ابن الزبير وبدأ فى تنظيم أمور دولته وادارتها .

وقد كان عبد الملك يشرف على أموره كلها بنفسه فقد كان "مثالاً للرئيس العارف بواجبه لا يلهيه عنه شاغل والذى ينظر الى عمله فى الدولة أو خدمته لها على أنها الغاية من حياته فقد كانت تصل اليه الأخبار والرسائل من جميع الأنحاء ويبعث برسائل وتوجيهاته الى ولاته وعماله الذين كانوا يرجعون اليه فى الأمور الهامة " (٢)

وكان يدقق فى اختيار معاونيه ويسعى دائماً نحو اختيار الأصلح . فبنظرة الى الفريق الذى عمل معه بديوان الخلافة بدمشق تتأكد تلك الحقيقة . فممن عمل معه قبيصة بن ذوئيب الخزاعى (٣) وهو من أجلاء فقهاء المدينة وقرين عبد الملك فى العلم والعبادة وكان هو أقرب الناس اليه فقد كان بمثابة الوزير يكتب له ويتلقى الرسائل

---

(١) انظر الطبرى - مصدر سابق ٥ ص ٥٣٣

(٢) د . محمد ضياء الدين الريس - عبد الملك بن مروان والدولة الأموية - الطبعة الثانية ١٩٦٩م - مطابع سجل العرب ص ٢٣٩

(٣) قبيصة بن ذوئيب الخزاعى . أبوسعد . العالم الفقيه المدنى ثم الدمشقى ولد فى سنة ثمان للهجرة وتوفى سنة ٨٦هـ . انظر سير أعلام النبلاء مرجع سابق ج ٤ ص ٢٨٢ .

الخاصة وكان كذلك صاحب ديوان الخاتم . (١)

يليه فى القرب من عبد الملك روح بن زنباع الجذامى (٢) وهو من عرب الشام وكان معروفاً أيضاً بالفضل والورع وكمال السيرة فتولى رئاسة ديوان الرسائل وكان عبد الملك يقول عنه : "ان روح بن زنباع شامى الطاعة ، عراقى الخط، حجازى الفقه ، فارسى الكتابة" (٣)

كما كتب لعبد الملك أيضا أبو الزعيزعة مولاه وهو من بلاد المغرب من البربر المتعربين ، وقد عرف بسداد الرأى والاخلاص والطاعة . (٤)

أما ديوان الخراج فقد تولاه له منصور بن سرجون الرومى (٥) ثم سليمان ابن سعد الخشنى . (٦)

وكان كبار ولاة عبد الملك على الأقاليم هم : الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكان والياً على العراق والمشرق والمهلب بن أبى صفرة الأزدى (٧) وكان والياً على خراسان ثم من بعده ابناه يزيد (٨) والمفضل

---

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ٩ ص ٧٣

(٢) روح بن زنباع الجذامى . له أحاديث قليلة رواها عن أبيه وعن تميم الدارى وروى عنه آخرون . كان شبه الوزير لعبد الملك بن مروان . تولى ليزيد جند فلسطين. توفى سنة ٨٤ هـ . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٢٥١

(٣) الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مصدر سابق ص ٣٥

(٤) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٩ ص ٧٣

(٥) منصور بن سرجون الرومى . كتب لمعاوية وابنه يزيد كما كتب لمروان بن الحكم وابنه عبد الملك الذى غضب عليه فأمر سليمان بن سعيد الخشنى بتعريبا الدواوين انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مصدر سابق ص ٢٤ ، ٣١ ، ٤٠ .

(٦) انظر المرجع السابق ص ٤٠

(٧) المهلب ابن أبى صفرة الكندى - أبو سعيد ولد عام الفتح - حدث عن عدد من الصحابة . ولى الجزيرة وحارب الخوارج ثم ولى خراسان . توفى غازياً بمرو الروز سنة ٨٢ هـ . أنظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٣٨٣

(٨) يزيد بن المهلب بن أبى صفرة . أبو خالد . ولى المشرق بعد أبيه ثم ولى البصرة لسليمان بن عبد الملك . عزله عمر بن عبد العزيز وحبسه . تغلب على البصرة فى خلافة يزيد فحاربه مسلمة بن عبد الملك وقتله سنة ١٠٢ هـ . انظر المرجع السابق ج ٤ ص ٥٠٣

ومحمد بن مروان [١] والياً على الجزيرة والموصل وعبد العزيز بن مروان والياً على مصر وحسان بن النعمان الغسانى [٢] والياً على بلاد المغرب .

وقد برهن هؤلاء الولاة من العرب على كفاءتهم ومقدرتهم العالية حيث وصلت الدولة فى عهدهم الى أوج القوة والسيادة . [٣]

فالحجاج بن يوسف الثقفى تدرج فى وظائف الدولة فاكتسب خبرة واسعة مكنته من ادارة العراق ادارة جيدة لفترة طويلة. فقد تولى شرطة أبان بن مروان حين كان والياً على فلسطين لأخيه عبد الملك [٤] ثم ذهب الى دمشق والتحق بشرطة روح بن زنباع الجذامى ، وأظهر مقدرة وكفاءة حتى قال عنه روح بن زنباع لعبد الملك : "ان فى شرطتى رجلاً لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف" [٥]

فاعجب به عبد الملك وولاه تبالة [٦] الا أنه أبى أن يليها لصغرها . [٧]

" وفى سنة ٧٢هـ ولاه عبد الملك حرب عبد الله بن الزبير فى الحجاز وبعد أن قضى الحجاج على ثورة ابن الزبير فى سنة ٧٣ ولاه الخليفة على مكة والطائف وبقى والياً على

---

(١) محمد بن مروان بن الحكم الأموى. أبو مروان. أمه أم ولد. كان أميراً على الجزيرة . موصوف بالشجاعة وشدة البأس. له حروب مشهورة مع نصارى الروم . توفى سنة ١٠١ هجرية . انظر المرجع السابق ج ٥ ص ١٤٨

(٢) حسان بن النعمان الغسانى. من الأبطال الشجعان. كان كثير الغزوات. افتتح جزءاً من المغرب وصالح البربر وحكم المغرب لأكثر من عشرين عاماً . توفى سنة ٨٠هـ . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ١٤٠

(٣) انظر د . الريس - عبد الملك بن مروان - مرجع سابق ص ٢٤٤

(٤) انظر الجاحظ - البيان والتبيين - مرجع سابق ج ١ ص ٣٨٦

(٥) انظر ابن عبد ربه - العقد الفريد - مرجع سابق ج ٥ ص ١٤

(٦) تبالة بلدة من أرض تهامة فى طريق اليمن - انظر معجم البلدان - مرجع سابق ج ٢ ص ٩

(٧) انظر ابن قيتبة - المعارف - مرجع سابق ص ٣٩٦

هذه المقاطعات حتى سنة ٧٥ هـ حيث أسند اليه عبد الملك ولاية العراق بعد وفاة أمير العراق بشر بن مروان [١] وذلك في سنة ٧٥هـ" [٢] .

وكان بشر بن مروان حاكماً على العراق قبل الحجاج فسأل عنه عبد الملك صاحب البريد فقال عنه : " ياأمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك : ذاك الأعسر الأجود الذى كان يأمن عنده البرئ ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العفو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف ،عمر بن الخطاب " . [٣]

وعندما جاء الحجاج الى العراق أخذ يتنقل في اقامته بين الكوفة والبصرة حتى بنى مدينة واسط [٤] سنة ٨١ هـ وأقام فيها حتى وفاته في شهر رمضان سنة ٩٥هـ [٥]

وعظم نفوذ الحجاج حتى أصبح يتدخل في شئون الخلافة حيث كان يتدخل في عزل وتعيين الولاة ،بل تدخل حتى في بيعة الخلفاء اذ يذكر الطبرى أن الخليفة عبد الملك بن مروان أراد عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن ولاية العهد وتولية ابنه الوليد بن عبد الملك من بعده وذلك بتأشير من الحجاج [٦] .

وقام الحجاج بأعمال عظيمة في ادارته وحقق انجازات كبرى منها :- [٧]

١ - تعريب الدواوين في العراق حيث نقلت من اللغة الفارسية الى اللغة العربية

---

(١) بشر بن مروان بن الحكم الأموى . أحد الأجواد الابطال . ولى العراق لعبد الملك بعد مقتل مصعب بن الزبير.مات بالبصرة سنة ٧٥هـ انظر سير أعلام النبلاء مرجع سابق ج ٤ ص ١٤٥ .

(٢) عبد القادر المعاضيدى - واسط في العصر الأموى ٨١ - ١٣٢هـ - دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٦م ص ١٦٦ - ١٦٧

(٣) أبو بكر الطرطوش - سراج الملوك - مرجع سابق ص ١٢١

(٤) واسط مدينة بين البصرة والكوفة . سميت بذلك لتوسطها بينهما بناها الحجاج سنة ٨١هـ . انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان - مرجع سابق ج ٥ ص ٣٤٧

(٥) انظر المعاضيدى - واسط في العصر الأموى - مرجع سابق ص ١٦٧

(٦) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٦ ص ٤١٤

(٧) انظر المعاضيدى - واسط في العصر الأموى - مرجع سابق ص ١٦٩ - ١٧١

الأمر الذى أدى لصلاح الادارة المالية . (١)

٢ - أمر بضرب الدراهم فى العراق واتخذ داراً للضرب فى مدينة واسط ضربت فيها الدراهم على الطراز الاسلامى .

٣ - قام بتحديد الأوزان والمكاييل والمقاييس وعمل على توحيدها فسهلت بذلك الأعمال التجارية .

٤ - أصلح نظام الضرائب .

٥ - أدخل اصلاحات على السفن التجارية الكبرى .

٦ - أنشأ أسطولا حربياً واستخدمه فى الغزو .

٧ - اتخذ المناظر للمخابرة بين واسط وقزوين حيث كانت ترى نارها ليلاً ودخانها نهاراً .

٨ - اهتم بشئون الكتابة فأمر بتنقيط الحروف وأمر بالكتابة فى القراطيس .

٩ - اهتم بالزراعة فجفف المستنقعات وحفر الأنهار وشق الترع والقنوات وأقام السدود وأرجع سكان القرى الذين هجروا قراهم وسكنوا المدن الى قراهم وذلك للعمل بالزراعة

كما اهتم الحجاج بالفتوحات حيث فتح عامله على خراسان يزيد بن المهلب خوارزم وما حولها (٢) . كما فتح قتيبة بن مسلم الباهلى (٣) الصغانيان (٤) صلحاً (٥)

---

(١) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٦٨

(٢) انظر الطبرى - مرجع سابق ج ٦ ص ٣٩٦

(٣) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن ربيعة الباهلى. أبو حفص أحد الأبطال الشجعان فتح بخارى وسمرقند وفرغانة وبلاد الترك. ولى خراسان عشر سنين. خرج على الأمويين بعد موت الوليد وقتل سنة ٩٦هـ. انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٤١٠

(٤) الصغانيان ولاية عظيمة وراء النهر متصلة بترمذ - انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٤٠٨

(٥) انظر ابن قتيبة - المعارف - مرجع سابق ص ٣١٦

وفتح محمد بن القاسم [١] السند والبنجاب [٢] وتوسعت الدولة فى عهد الحجاج كثيراً بسبب حملاته التى كان يرسلها .

وكان الحجاج يستمد قوته بالدرجة الأولى من تأييد الخليفة له ويعتبر نفسه مسئولاً أمامه . وكان عبد الملك يراقب سيرته وأعماله ويوجه اليه بين الحين والحين تعليمات وارشادات وانتقادات . [٣]

كان الحجاج يختار عماله بالمواصفات التى يرى أنها تحقق سياسة الدولة فقد قال مرة لمستشاريه :" ولونى على رجل أوله فقيل له:أى الرجال تريد ؟ قال : أريده دائم العبوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يحنق فى الحق على مره يهون عليه سؤال الأشراف فى الشفاعة.فقيل له عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمى فأرسل اليه فاستعمله فقال له :ـ لست أقبلها الا أن تكفينى عمالك وولدك وحاشيتك فقال الحجاج : ياغلام نادى : من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت الذمة منه.قال الراوى : فوالله مارأيت قط صاحب شرطة مثله كان لا يحبس الا فى دين وكان اذا أتى برجل نقب على قوم وضع منقبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره وكان اذا أتى برجل نباش حفر له قبراً ودفنه فيه حياً واذا أتى برجل قاتل بحديدة وأظهر سلاحاً قطع يده.فربما أقام أربعين يوماً لا يؤتى اليه بأحد فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة [٤] .

---

(١) محمد بن القاسم بن أبى عقيل الثقفى.من كبار القادة فى الدولة الأموية.تولى أبوه البصرة للحجاج ـ ولاه الحجاج ثغر الهند ففتح البلاد ـ عزله سليمان وحبسه حتى مات سنة ٩٨ . انظر الطبرى ـ ج ٥ ص ٢٦٧

(٢) انظر المعارف ـ مرجع سابق ص ٣١٦

(٣) انظر نجدة خماش ـ الادارة فى العصر الأموى ـ مرجع سابق ص ١٥٤

(٤) أنظر العقد الفريد ج ٥ ص ١٩ .

وكان الحجاج دائم السؤال عن ولاته وقادته فقد كانت أخبار محمد بن القاسم في بلاد السند تأتيه كل ثلاثة أيام (١) .

كما أنه كان يسأل عن أخبار عماله فقد سأل بريداً قدم عليه من المهلب عن المهلب فقال له : يسوسهم سياسة الملوك ويقاتل بهم قتال الصعلوك . (٢)

وقد خدم الحجاج بني أمية باخلاص شديد وسعى الى توطيد ملكهم بشتى السبل حتى ارتكب في سبيل ذلك العديد من المخالفات وأصاب الكثير من الدماء . (٣)

وهذا الاخلاص هو الذى جعل عبد الملك وهو على فراش الموت يوصى به ولى عهده الوليد بن عبد الملك . (٤)

" ومن صفات الحجاج الحسنة أنه لم يكن يحرص على اقتناء الأموال/فقد مات ولم يترك وراءه غير ثلثمائة درهم وبعض الأمتعة الشخصية من ضمنها مصحف وسيف، كما أنه ترك خادماً وخادمة مع عدد من الدروع التى أوقفها في وصيته لمعونة من يجاهد العدو، ومن يتصدى لقمع ما قد يحدث من ثورات في العراق . ولم يتطرق أحد من المؤرخين الى آية ثروة كونها الحجاج لنفسه خلال حكمه الطويل للعراق " (٥)

أما مصر فقد تولاها لعبد الملك أخوه عبد العزيز، وكان والده مروان لما ولى الخلافة وجاء الى مصر جعل أمرها لابنه عبد العزيز صلاتها وخراجها وعلمه كيف يسوس

---

(١) انظر أزمنة التاريخ الاسلامى - مرجع سابق ج ١ ص ٣١٤
(٢) انظر القلعى - تهذيب الرياسة - مرجع سابق ص ٢٤١
(٣) انظر المسعودى - مروج الذهب - مرجع سابق ج ٣ ص ١٤٢ ومحمد الجومرد الحجاج رجل الدولة المفترى عليه - منشورات شركة مطبعة الأديب بغداد الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .
(٤) انظر البداية - مرجع سابق ج ٩ ص ٧٢
(٥) د . عبد الواحد ذنون طه - العراق فى عهد الحجاج بن يوسف - مرجع سابق ص ٤٥

الناس وترك معه موسى بن نصير (١) وزيرا ومشيراً . (٢)

وعمل عبد العزيز بوصية أبيه فأحبه أهل مصر واحبهم وعمرت مصر فى أيامه عمراناً لا مثيل له وبنى فى حلوان (٣) الدور والمساجد وأحسن عمارتها وغرس نخلها وكرمها وكان له ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره ومائة جفنة يطاف بها على القبائل (٤) .

واستمر هذا الأمير يحكم مصر لأكثر من عشرين عاماً يتولى خراجها وجبايتها فلم يكن ماله يوم موته أكثر من سبعة آلاف دينار وبعض الثياب . (٥)

وولى عبد الملك مصر من بعده لابنه عبد الله . (٦)

وفى اعتقادى أن نجاح هؤلاء فى ولاياتهم انما يرجع الى حسن اختيارهم فى المقام الأول ، كما يرجع الى الحرية التى أتاحها لهم الخلفاء فى التصرف فى ولاياتهم مع رقابتهم وتوجيههم اضافة الى مايرونه فى سياسة الخلفاء من سلوك .

فقد كان عبد الملك اذا أراد أن يولى رجلاً عمل البريد سأل عن صدقه ونزاهته وأناته ويقول : كذبه يشك فى صدقه وشرهه يدعوه فى الحق الى كتمانه

---

(١) موسى بن نصير اللخمى . أبو عبد الرحمن . تولى اقليم المغرب وفتح الأندلس كان مهيباً ومن أصحاب الرأى والحزم . غزا قبرص وبنى فيها حصوناً . حج مع سليمان ومات بالمدينة . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٤٩٦ .

(٢) انظر د . ابراهيم أحمد العدوى - موسى بن نصير مؤسس المغرب العربى - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧م ص ٢٥

(٣) حلوان قرية من أعمال مصر . بينها وبين الفسطاط فرسخين - انظر ياقوت الحموى معجم البلدان - مرجع سابق ج ٢ ص ٢٩٣

(٤) انظر الكندى - تاريخ ولاة مصر وقضائها - مرجع سابق ص ٤٥ - ٤٦

(٥) انظر المرجع السابق ص ٤٩ .

(٦) عبد الله بن عبد الملك بن مروان . تولى مصر بعد عمه عبد العزيز بن مروان الى أن صرف عنها سنة ٩٠ هـ . تولى غزو الروم وأنشأ مدينة المصيصة . مات سنة ١٠٠ هـ وخلف ثروة هائلة . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ١١٣

وعجلته تهجم بمن فوقه على مايؤ ثمه ويندمـــــه" (١)

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك سار بنفس سيرة الخلفاء الذين سبقوه واعتمد على ذات العناصر التى كان لها الفضل فى ادارة الدولة وتوطيد السلطان وعمل بوصية والده فى شأن الحجاج اذ كتب اليه يسأله أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه الحجاج :- "انى أيقظت رأيى وأنمت هواى وأدنيت السيد المطاع فى قومه ووليت الحرب الحازم فى أمره وقلدت الخراج الموفر لأمانته وقسمت لكل خصم من نفس قسماً أعطيته حظاً من لطيف عنايتى ونظرى وصرفت السيف الى النطف المسىء والثواب الى المحسن البرىء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب" (٢)

ولقد صدق الحجاج فى كل ماقاله عن نفسه وكانت هذه السياسة سبباً فى استقرار الدولة وازدهارها .

فقد التزم الحجاج فى اختياره لأفراد ادارته بما ذكره سابقاً وكمثال على ذلك فقد اختار عروة بن المغيرة والياً على الكوفة وكان كما قال عنه ابن كثير شريفاً لبيباً مطاعاً فى الناس (٣) .

كما أن الوليد ولى عمر بن عبد العزيز امرة المدينة وهو ابن خمس وعشرين سنة فولى عمر على قضائها أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم (٤) ودعا عشرة من فقهاء المدينة منهم عروة (٥) .

---

(١) ابن حمدون - التذكرة الحمدونية - مرجع سابق ص ٣٠٣

(٢) النويرى - نهاية الأدب - مرجع سابق ج ٦ ص ٤٣

(٣) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مرجع سابق ج ٩ ص ٧٣

(٤) أبوبكر بن محمد بن عمرو بن حزم - من الأنصار - توفى بالمدينة سنة ١٢٠هـ وعمره اربع وثمانين سنة . انظر المعارف - مرجع سابق ص ٢٦٤

(٥) عروة بن الزبير بن العوام - أبو عبد الله . عالم المدينة وأحد الفقهاء السبعة . حدث عن اسماء أمه وخالته عائشة . ولد سنة ٢٣هـ وتوفى سنة ٩٣هـ .
انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٤٢١ .

والقاسم [١] وقال لهم : "انى دعوتكم لأمر تؤجرون فيه وتكونون فيه أعواناً على الحق ان رأيتم أحداً يتعدى أو بلغكم عن عامل لى ظلامة فأحرّج بالله على أحد بلغه ذلك الا أبلغنى" [٢]

ومما يذكر أن عمر بن عبد العزيز عندما اختاره الوليد لامرة الحجاز أبطأ فى الخروج فقال الوليد لحاجبه : مابال عمر لا يخرج الى عمله ؟ قال : زعم أن له اليك ثلاثة حوائج . قال : فعجّله علىّ فجاء به فقال عمر : أنك استعملت من كان قبلى فأنا أحب ألا تأخذنى بعمل أهل العدوان والظلم والجور . فقال له الوليد : اعمل بالحق وان لم ترفع الينا درهماً واحدا . [٣]

ومما يشير الى أمانة أولئك العمال وطهارتهم أن قيتبة بن مسلم أصاب فى فتوحاته قميصاً منسوجاً باللؤلؤ فبعث به الى الحجاج بن يوسف فبعث به الحجاج الى الوليد ثم تتبعته نفس الحجاج فكتب الى قيتبة : "أما بعد فأنا كنا قد أنفذنا ما أنفذته الينا الى الوليد وماأحسبك الا قد احتبست منه قبلك لنسائك وبناتك فآثرنا بما قبلك منه .

فكتب اليه قيتبة :- "لأن آكل الميته والدم ولحم الخنزير وماأهل به لغير الله أحب الى من أن أدخر عنك علقاً . فكتب اليه الحجاج : "ذلك الظن بك" [٤]

هذا وقد توفى الحجاج فى سنة ٩٥هـ وتولى امارة العراق خلفاً له يزيد بن أبى مسلم [٥] الذى كان الحجاج يعتمد عليه كثيراً . فقد ذكرت المصادر أن يزيد كان

---

(١) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق . أبو محمد . عالم المدينة ولد فى خلافة الامام على . كان ثقة عالماً فقيهاً ورعاً كثير الحديث . مات سنة ١٠٧هـ . انظر المرجع السابق ج ٥ ص ٥٣ .

(٢) الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى البغدادى سيرة عمر بن عبد العزيز - دار الفكر ص ٢٥

(٣) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٥ - ٢٦

(٤) أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى - أمالى الزجاجى - تحقيق عبد السلام هارون - المؤسسة العربية الحديثة - الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ص ١١١ - ١١٢

(٥) يزيد بن أبى مسلم الثقفى مولى الحجاج وكاتبه استخلفه الحجاج على أموال الخراج فضبطها ولاه يزيد بن عبد الملك على أفريقية فثاروا عليه وقتلوه فى سنة ١٠٢ . انظر الذهبى - سير أعلام النبلاء مرجع سابق ج ٤ ص ٥٩٣

قد تقلد عدة مناصب ادارية مهمة فى زمن الحجاج . (١)

وتحدث عنه ابن عبد ربه حيث قال : " مات الحجاج فى آخر أيام الوليد بن عبد الملك فتفجع عليه الوليد وولى مكانه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج فكفى وجاوز فقال الوليد : " مات الحجاج ووليت مكانه يزيد بن أبى مسلم فكنت كمن سقط منه درهم وأصاب دينارا " (٢)

على أن والى الوليد على مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان لم يكن على شاكلة هؤلاء الولاة فقد كان يرتشى ويأخذ أموال الخراج وغيره ولما شاع عنه ذلك استدعاه الوليد فى صفر سنة ثمان وثمانين فأقام عند الوليد مدة وجيزة ثم عاد الى مصر حتى عزل عنها فى سنة ٩٠هـ وصودرت أمواله . (٣)

ثم اختار الوليد من بعده لادارة مصر قرة بن شريك الذى نظم الادارة " فقد كشفت أوراق البردى عن قوة الصلة بين الأمير فى الفسطاط وبين رجال ادارته فى سائر أرجاء البلاد وسرعة اصدار الاوامر وسرعة تلبيتها فى نفس الوقت . وبلغت المراقبة الادارية أعظم صورها فى تدخل الأمير فى تقدير أجور العمال والصناع حرصاً على العدالة وتحقيق المساواة .

" وكان لدى قرة بن شريك مجموعة كبيرة من الكتاب تحرر له الرسائل الى جميع العمال ويوقع كل كاتب فى نهاية الرسالة حتى يسهل مراجعة المواضيع والقضايا التى تناولتها وظل قرة يدير الولاية بهذا الأسلوب القدير حتى توفى سنة ٩٦هـ تاركاً عن طريق أوراق البردى أعظم النماذج عن قوة النظام الادارى اللامركزى للدولة الأموية" (٤)

---

(١) انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ٤٣ وابن خلكان - وفيات الأعيان - مرجع سابق ج ٥ ص ٢٥٣

(٢) ابن عبد ربه - العقد الفريد - مرجع سابق ج ٥ ص ٥٥

(٣) انظر الكندى - تاريخ ولاة مصر - مرجع سابق ص ٥٢

(٤) د . ابراهيم العدوى - النظم الاسلامية - مرجع سابق ص ٢٣١

ولا عجب فعن طريق هولاء الولاة والقادة دخلت الدولة فى عهد الوليد فى حالة استقرار ونظام وانتهى تعريب الادارة والدواوين وأخذت الوظائف الكبرى من النصارى ونحى آل سرجون الدمشقيون عن ادارة الأموال وبلغت الفتوحات أقصى حدودها. وظهرت أبهة الملك والسلطات ومالت الدولة الى اقامة الأعمال العظيمة تخليداً للذكر واشادة بالفخر. والوليد بن عبد الملك هو الذى جود القراطيس وجلل الخطوط وفخم المكاتبات وبرع فى العمران. (١)

وعندما جاء سليمان بن عبد الملك الى الخلافة سنة ٩٦هـ أبقى من العمال من كان صالحاً وعزل من حامت حوله الشبهات. قال الذهبى: " ولى سليمان وهو الى الشباب والترفه ماهو فقال لعمر بن عبد العزيز: ياأباحفص انا قد ولينا ماقد ترى ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به، فكان من ذلك أن عزل عمال الحجاج وأخرج من كان فى سجن العراق ". (٢)

وكان على رأس المعزولين فى عهد سليمان يزيد بن أبى مسلم حيث أحضر الى دمشق مقيداً وأودع السجن. (٣)

وعندما عزل سليمان يزيد بن أبى مسلم عن ولاية العراق ولى مكانه يزيد بن المهلب ولم يكن يزيد جديداً عن الولاية ومسئولياتها فقد سبق أن كان والياً على خراسان من سنة ٨٣هـ حتى سنة ٨٥هـ وكان الحجاج قد اتهمه بأموال قدرتها بعض المصادر بستة آلاف درهم. (٤)

---

(١) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٧١

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام. الناشر مكتبة القدس بالقاهرة - مطبعة السعادة ١٣٦٩هـ ص ٨

(٣) انظر الطبرى مصدر سابق ج ٦ ص ٥٠٦ وابن خلكان - وفيات الاعيان - مرجع سابق ج ٥ ص ٣٥٣

(٤) انظر اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مرجع سابق ج ٢ ص ٢٨٥

وعندما طالبه بها الحجاج عجز عن دفعها فعزله وسجنه [١] ولكن يزيد هرب من السجن والتجأ الى سليمان بن عبد الملك الذى كان وقتها ولياً للعهد فشفع له عند أخيه الخليفة الوليد الذى عفا عنه ثم أقام مع سليمان وأصبح كاتباً له عندما تولى الخلافة . [٢]

وعندما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة طلب منه يزيد بن المهلب تعيين صالح ابن عبد الرحمن مسئولاً عن ديوان الخراج بالعراق فوافقه الخليفة ولكن صالحاً ضيق على يزيد مما دفعه الى البحث عن موقع آخر حيث عينه الخليفة والياً على خراسان . [٣]

وأقام يزيد بخراسان ثلاثة أشهر ثم خرج فى غزوات فتح بها الكثير من البلاد وأصاب أموالاً كثيرة أرسلها الى الخليفة . [٤]

ولكن يبدو أن العامة لم تكن راضية عن رجال ادارة سليمان فقد ذكر " أن أعرابياً وقف بين يدى سليمان فقال : انى مكلمك ياأمير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فأن وراءه ماتحب ان قبلته . قال : هات. قال : انى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن من عظمتك تأدية لحق الله تعالى وحق امامتك .

" انه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط الله.خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ماائتمنك الله عليه فأنهم لم يألوا الأمانة تضيعاً والأمة خسفاً وأنت مسئول عما اجترحوا ولبسوا مسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فأن أعظم

---

(١) انظر الطبرى - مصدر سابق ٦ ص ٤٤٨
(٢) انظر مؤلف مجهول - العيون والحدائق - مكتبة المثنى بغداد ج ٣ ص ٣٥
(٣) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٦ ص ٥٢٤ - ٥٢٦
(٤) انظر المرجع السابق ج ٦ ص ٥٤٤ وانظر المعاضيدى - واسط فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ١٧٧ - ١٨٠

الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره . فقال : أما أنت يا أعرابى فقد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك . قال : أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك" (١)

واتهم سليمان بن عبد الملك نفسه بأنه قد عزل قادة الفتوح وقتلهم وهم محمد ابن القاسم وقيتبة بن مسلم وموسى بن نصير لأنهم وافقوا الوليد بن عبد الملك على عزل سليمان وتولية ابنه مكانه الا أن المنية عاجلت الوليد فلم يتم له ذلك فانتقم سليمان عندما أصبح خليفة من أولئك الرجال .

ولكن باحثاً فى التاريخ الاسلامى يرد هذا الاتهام بقوله : "لقد كان هؤلاء الرجال على شعورهم وبينهم وبين الخليفة آلاف الكيلو مترات ويحتاج البريد الى أشهر لأخذ الرأى . ثم متى كان الخليفة الأموى يستشير قادة الجند ؟ قد يستشير أهل البيت الحاكم وانما مشاورة القادة حدثت فى العصر العباسى عندما أصبح الجند هم أهل الرأى والحل والعقد، والقوة هى التى تحكم والخلفاء أصبحوا لعبة بين القادة العسكريين" (٢)

بينما يرى باحث آخر أن ما قام به سليمان هو ثورة اصلاحية على سياسة الوليد فى الجزء الشرقى للدولة خاصة وعلى سياسة الوليد فى كل أنحاء الدولة الاسلامية .(٣)

وسواء صح اتهام المتهمين أو دفاع المدافعين تبقى الحقيقة التاريخية غير المختلف عليها وهى أن هؤلاء الأبطال سجنوا وماتوا فى هذه الفترة .

---

(١) القلعى - تهذيب السياسة - مرجع سابق ص ٢٩٤ وسراج الملوك - مرجع سابق ص ٣٠

(٢) محمود شاكر - التاريخ الاسلامى - العهد الأموى - مرجع سابق ص ٣٥

(٣) انظر عبد الله مهدى الخطيب - الحكم الأموى فى خراسان - منشورات مؤسسة الأعلمى بيروت ودار التربية ببغداد - الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ص ٢١

المبحث الثالث

الاختيار فى عهد عمر بن عبد العزيز

تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك الذى عهد اليه بالخلافة بناءاً على مشورة رجاء بن حيوة (١) الذى قال : "استشارنى سليمان ابن عبد الملك وهو مريض أن يولى له ابناً صغيراً لم يبلغ الحلم فقلت: ان مما يحفظ الخليفة فى قبره أن يولى على المسلمين الرجل الصالح ثم شاورنى فى ولاية ابنه داود فقلت : انه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدرى أحى هو أم ميت. فقال من ترى ؟ فقلت رأيك ياأمير المؤمنين . فقال : كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت أعلمه خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله ولكنى أتخوف اخوتك ألا يرضوا بذلك . فقال : هو والله على ذلك ". (٢)

وأشار عليه رجال أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولياً للعهد من بعد عمر ليرضى بذلك بنو مروان فكتب سليمان كتاباً سلمه لصاحب شرطته وأمره أن يجمع بنى مروان ليبايعوا وأمره أن يضرب بالسيف من يرفض ذلك فبايعوا . (٣)

وعندما جاء عمر الى الخلافة جاءها وهو يحمل رصيداً كبيراً من التجربة فوالده كان يحكم مصر لأكثر من عشرين عاماً. ولا شك أنه قد اطلع على بعض تجارب والده وأفاد منها . كما أنه عمل للوليد بن عبد الملك والياً على المدينة ، وكان يباشر النصح والمشورة لمن سبقه من الخلفاء . ولذلك عندما جاء الى الخلافة ورغم قصر

---

(١) هو الامام القدوة رجاء بن حيوة الكندى الأزدى - أبو نصر. من سادة التابعين حدث عن عدد من الصحابة - روى عنه مكحول وقتادة وغيرهم. كان ثقة عالماً فاضلاً مات سنة ١١٢ هـ .
انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٤ ص ٥٥٧

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٩ ص ١٨١ - ١٨٢

(٣) انظر المرجع السابق ج ٩ ص ١٨٢

المدة التى قضاها فيها الا أنه أنجز الكثير من الأعمال وعدت تجربته فى مجال الأدارة ميداناً للبحث وموطنا للعبر .

فقد قام برد مظالم بنى أمية وبدأ بنفسه وآل بيته كما أنه عزل الولاة الظالمين وأعاد للخلافة هيبتها وللعدل مكانته حتى اعتبره الناس من مجددى الدين .(١)

قالت عنه زوجته فاطمة بنت عبد الملك : " ما اغتسل والله عمر من جنابة منذ ولى هذا الأمر . كان نهاره فى أشغال المسلمين ورد المظالم وليله فى عبادة ربه "(٢)

وحاول أن يجعل من نفسه قدوة للآخرين يقتدون بها فقد صرف عمال من كان قبله من بنى أمية واستعمل أصلح من قدر عليه فسلك عماله طريقته .(٣)

واستعمال الأصلح كان هاجس عمر رضى الله عنه فقد كتب اليه طاوس(٤) : " ان أردت أن يكون عملك كله خيراً فاستعمل أهل الخير . فقال عمر : كفى بها موعظة "(٥)

ولذا كان عمر يتحرى فى اختيار الأصلح . فقد كتب الى عامله بالعراق :-

" ان العرفاء من عشائرهم بمكان فانظر عرفاء الجند فمن رضيت أمانته لنا ولقومه فأثبته ومن لم ترضه فاستبدل به من هو خير منه وأبلغ فى الأمانة والورع "(٦) .

---

(١) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٧٤

(٢) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى - سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى - المطبعة السلفية ومكتبتها ج ٣ ص ٢٠٣

(٣) انظر البيهقى - المحاسن والمساوئ - مرجع سابق ص ٤٩٣

(٤) طاوس بن كيسان اليمانى . أبو عبد الرحمن . كان من أبناء الفرس الذين كانوا باليمن . قيل انه ولد فى خلافة عثمان . حفظ كثيراً من العلم . توفى بمكة فى أيام الحج سنة ١٠٦هـ .
انظر المعارف - مرجع سابق ص ٢٥٨

(٥) أبو الحسن على بن الحسين المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجوهر - شرحه وقدم له د . مفيد قميحة - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٦ م ج ٣ ص ٢٢٥

(٦) الطبقات ج ٥ ص ٣٩٦

وعن مجلسه أبعد عمر الشعراء والخطباء والمداحين وقرب الفقهاء والعلماء وأجزل لهم العطايا ليكونوا بقربه حتى يدلوه على الخير ويبعدوه عن الشر. وكان يحب السمر مع أهل الفضل فقيل له في ذلك فقال : لقاء الرجال تلقيح الألباب.(١)

وكان رضى الله عنه يشتاق الى مجالسة مؤدبه وفقيه المدينة عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود (٢) ويقول في ذلك بعد أن ولى الخلافة : لأن يكون لى مجلس من عبيد الله أحب الى من الدنيا ومافيها . وقال : انى والله لأشترى ليلة من ليالى عبيد الله بألف دينار من بيت المال . فقالوا : ياأمير المؤمنين تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك ؟ فقال : أين يذهب بكم والله أن لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف .(٣)

وكان عمر بن عبد العزيز يعتبر أن ولى الأمر كالسوق ماأنفق فيه جلب اليه فأن أنفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة جلب اليه ذلك . وان أنفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة جلبت اليه "(٤)

وكذلك قال عمر رضى الله عنه : "ان من أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس: يوصل الينا حاجة من لا تصل الينا حاجته ، ويدلنا من العدل الى مالا نهتدى اليه ويكون عوناً لنا على الحق ويؤدى الأمانة الينا والى الناس ولا يغتب عندنا أحداً . ومن لم يفعل ذلك فهو فى حرج من صحبتنا والدخول علينا ".(٥)

---

(١) محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ١٨٤

(٢) عبيد الله بن عتبة بن مسعود هو ابن أخ الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود . كان عالماً يروى عن الزهرى . مات سنة ٩٨هـ.
انظر ابن قيتبة - المعارف - مرجع سابق ص ١٤٥

(٣) انظر مهذب الاغانى ج ٦ ص ٩٩

(٤) ابن تيمية - السياسة الشرعية - مرجع سابق ص ٢٩

(٥) أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز على مارواه الامام مالك بن أنس واصحابه - نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد - عالم الكتب بيروت ص ٣٩

ومن حرصه رضي الله عنه على استعمال الأصلح أنه كتب الى عماله :-

" اياكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا الا أهل القرآن . فكتبوا اليه : ياأمير المؤمنين انا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونه فكتب اليهم : اياكم أن يبلغني عنكم أنكم استعملتم على شيء من أعمالنا الا أهل القرآن فأن لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير" (١) .

كما كتب كذلك الى عامله عدى بن أرطاة (٢) موصياً له باستخدام الاصلح :" ليكن أمناؤك أوساط الناس فهم خيار الناس لا يدعون حقاً ولا يكتسبون باطلاً" (٣)

وطلب كذلك من عماله ألا يولوا الذميين على أهل الاسلام . فقد كتب اليهم جميعاً كتاباً جاء فيه : " أما بعد فأن الله أكرم بالاسلام أهله وشرفهم وأعزهم وضرب الذلة والصغار على من خالفهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فلاتولين أمر المسلمين أحد من أهل ذمتهم وخراجهم فتبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله وتهينهم بعد أن أكرمهم الله وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم . ومع هذا فلا يؤمن غشهم اياهم فأن الله عز وجل يقول : " ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة لا يألونكم خبالاً وودوا ماعنتم" (٤) وقال تعالى : " ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض" (٥) والسلام " (٦) .

---

(١) جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٨٢

(٢) هو عدى بن أرطأة الفزارى الدمشقى - أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز. أعلن الخروج على الأمويين بعد موت عمر فحاربه مسلمة بن عبد الملك وقتله فى سنة ١٠٢ هجرية . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ٥٣

(٣) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٤٦

(٤) ال عمران الاية ١١٨

(٥) المائدة الاية ٥١

(٦) النويرى - نهاية الأرب - مرجع سابق ج ٢١ ص ٣٦٩

وكان رضى الله عنه كثيراً ما يبدىء اعتراضاته على ولاته وعماله بسبب اختيارهم لبعض المفضولين أو المجروحين . من ذلك أنه كتب الى الجراح بن عبد الله[1] عامله على خراسان كتابا جاء فيه : "بلغنى أنك استعملت عبد الله بن الأهتم وان الله لم يبارك لعبد الله بن الأهتم فى العمل فاعزله وأنه على ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين وبلغنى انك استعملت عمارة ولا حاجة لى بعمارة ولا بضرب عمارة ولا برجل قد صبغ يده فى دماء المسلمين فأعزله"[2]

ولكن الجراح عندما وصله خطاب أمير المؤمنين رد عليه بكتاب بين فيه سبب أختياره لهما ، الأمر الذى اقنع أمير المؤمنين بهذا الاختيار .

جاء فى كتاب الجراح : " ... أنه جاءنى كتابك فى عبد الله وانى استعملته يا أمير المؤمنين فأجزأ ثغره وهابه عدوه وحمده أهل عمله ولم يكن جزاؤه العزل وكتبت الى فى عمارة وأنه رجل قد شام الحرورية ثم رجع عن ذلك أحسن رجوع وتاب منه أحسن توبة "[3] .

كما كان عمر لا يتوانى فى عزل أى عامل من عماله يثبت له أنه ليس أهلاً لوظيفته فقد استعمل عروة بن عياض بن عدى على مكة فخرج عمر من مكة وخرج معه من خرج يشيعه حتى نزل بمر[4] ومعه عروة فجاء رجل فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ظلمت ولا أستطيع أن أتكلم . فقال عمر ويحه أخذت عليه يمين ثم قال : ان كنت صادقاً

---

(١) الجراح بن عبد الله الحكمى . أبو عقبة . تولى البصرة للحجاج ثم ولى خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز . كان بطلا شجاعاً مجاهدا . استشهد سنة ١١٢هـ . انظر الذهبى - سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ١٨٩

(٢) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٧٠

(٣) المرجع السابق ص ٦٩

(٤) مر وادى بينه وبين مكة المكرمة خمسة أميال . انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان - مرجع سابق ج ٥ ص ١٠٤

فتكلم فقال : أصلحك الله هذا - واشار الى عروة - سامني بمال لي وأعطاني به ستة آلاف درهم فأبيت أن أبيعه فاستعداه عليّ غريم لي فحبسني فلم يخرجني حتى بعته مالي بثلاثة آلاف درهم واستخلفني بالطلاق ان خاصمته أبداً فنظر عمر الى عروة ثم نكث بالخيزران بين عينيه في سجدته وقال : هذه غرتني منك. ثم قال للرجل : اذهب فقد رددت عليك مالك ولا حنث عليك . (١)

ومن ذلك أنه استعمل عاملاً فبلغه أنه عمل للحجاج فعزله فأتاه يعتذر اليه فقال: لم أعمل له الا قليلاً . قال : حسبك من صحبة شر يوم أو بعض يوم - (٢)

ومن ذلك أيضا أنه قد وفد عليه بلال بن أبي بردة (٣) فقال عمر لأحد مستشاريه وقد رأى بلالاً يديم الصلاة : ان يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع . قال المستشار : أنا آتيك بخبره . فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء فقال : اشفع صلاتك فأن لي حاجة اليك . ففعل فقال له المستشار : قد عرفت حالي من أمير المؤمنين فأن أنا أشرت بك على ولاية العراق فما تجعل لي ؟ قال : لك عمالتي سنة وكان مبلغها عشرين ألف درهم. قال : فاكتب لي بذلك. فأسرع بلال الى منزله فأتى بدواة وصحيفة وكتب له بذلك. فأتى المستشار بالكتاب الى عمر فلما رآه كتب عمر الى والي الكوفة : "أما بعد فأن بلالاً غرنا بالله فكدنا نغتر فسبكناه فوجدناه خبثاً كله" (٤)

وكان عمر رضي الله عنه عزل خالد بن الريان لتكبره وتيهه ثم قال : "اللهم اني قد وضعته لك فلا ترفعه" قال الراوي : فمارؤي شريف قد خمد ذكره حتى لا يذكر

---

(١) انظر ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز مصدر سابق ص ١١٨ - ١١٩

(٢) انظر ابن الجوزي - سيرة عمر بن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٧٢

(٣) تولى بلال بن أبي بردة امارة البصرة وكان جليلاً كريماً . لما تولى يوسف ابن عمر العراق أخذه وعذبه حتى مات .
انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ٦

(٤) الكامل للمبرد مصدر سابق ص ٢٦٨

كما خمد ذكر خالد بن الريان حتى أن الرجل ليقول: ليت شعرى ما فعل خالد أحى هو أم ميت ؟ وانه لفى قرية صغيرة ما يدرى أحى هو أم ميت . (١)

وفى خراسان عزل الخليفة عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب عن امرتها وذلك فى سنة ٩٩هـ وأمر عامله على البصرة عدى بن أرطأة أن يرسله اليه فأوثقه عدى ثم أرسله الى دمشق فطالبه الخليفة بالأموال التى أخذها وسجنه (٢)

كما كتب عمر رضى الله عنه يعزل اسامة بن يزيد التنوخى الذى كان على خراج مصر وأمر به أن يحبس وأن يقيد على أن يحل عنه القيد عند كل صلاة ثم يرد بعدها فى القيد وذلك لانه كان غاشماً ظلوماً معتدياً فى العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل يقطع فى خلاف ما يؤمر به ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها المقطوعين ويطرحهم للتماسيح. فحبس بمصر سنة ثم نقل الى أرض فلسطين فحبس بها سنة ثم مات عمر وولى يزيد بن عبد الملك فأطلقه ورده الى مصر. (٣)

وكتب كذلك يعزل يزيد بن أبى مسلم عن أفريقية لأنه كان عامل سوء يظهر التألم والجور والمخالفة للحق . (٤)

وكان رضوان الله عليه يثبت أهل الحق فى وظائفهم حتى ولو كان الحق عليه فقد ورد عليه رجل من حلوان قدم له اقطاعاً ادعى فيه أن والده عبد العزيز بن مروان لما كان والياً على مصر أقطعه عبد الملك بن مروان أرض حلوان فورثها عمر واخوته بغير حق فقال عمر: ان لى فيها شركاء واخوة وأخوات لا يرضون أن أقضى فيها بغير قضاء قاض

---

(١) انظر ابن الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٣٠
(٢) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٦ ص ٥٥٦ - ٥٦٤ والنويرى - نهاية الأرب مرجع سابق ج ٢١ ص ٣٦٣
(٣) انظر ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٣٧
(٤) انظر مصدر السابق ص ٣٧

وقام معه الى القاضى فقعد بين يديه فتكلم عمر بحجته وتكلم المدعى فقضى له القاضى فقال عمر: ان عبد العزيز قد أنفق عليها ألف ألف درهم . قال القاضى : قد أكلتم من غلتها بقدر ذلك . فثلجت نفس عمر بحكم القاضى فقال : وهل القضاء الا هذا ؟ تالله لوقضيت لى ما وليت لى عملاً وخرج للرجل من حقه . (١)

ومن حرصه على استيفاء الصالحين أنه رفض استقالة ميمون بن مهران (٢) الذى كان قد ولاه على الجزيرة على قضائها وخراجها فكتب اليه ميمون يستعفيه وقال : " كلفتنى مالا أطيق أقضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف فكتب اليه عمر : أجب الخراج الطيب وأقضى ما استبان لك واذا التبس عليك أمر فارفعه الىّ فأن الناس لوكانوا اذا كثر عليهم شىء تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا " (٣)

وميمون بن مهران هذا هو الذى قال عنه عمر : " لو كان الأمر لى لوليته من بعدى " (٤) .

ومما يدل على أمانة من كانوا مع عمر أن وهب بن منبه ، كان على بيت مال المسلمين باليمن فكتب الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : " انى فقدت من بيت مال المسلمين دينارًا " فكتب اليه عمر : " انى لا أتهم دينك ولا أمانتك ولكنى أتهم تضعيك وتفريطك " (٥)

---

(١) انظر المحاسن والمساوئ ص ٤٩٢
(٢) هو الامام الحجة عالم الجزيرة ومفتيها ميمون بن مهران - تولى خراج الجزيرة وقضاءها . كان ثقة كثير الحديث - توفى سنة ١١٧ هـ .
انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٢ ص ٧١
(٣) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٨١
(٤) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مرجع سابق ج ٢ ص ٣٠٨
(٥) انظر ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٦٩

وهكذا يبدو لنا حرص عمر رضي الله عنه على اختياره للأصلح واقصائه لأهل الخيانة والظلم .

المبحث الرابع

الاختيار فى الدولة الأموية منذ عهد يزيد بن عبد الملك وحتى نهاية الدولة

فى هذه الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة الأموية ضعفت الادارة نسبياً بسبب الفتن التى عمت أرجاء الدولة وبسبب تنافس أفراد البيت الأموى نفسه . ونتيجة للضعف الادارى العام ضعف منصب الامارة وسمح الخلفاء المتأخرون للولاة أن يقيموا فى العاصمة بعيداً عن ولاياتهم وينيبوا عنهم نواباً يحكمون الولايات باسمهم وترتب على ذلك اختيار عناصر ضعيفة أهملت أحوال الرعية وانصرفت الى جمع المال والاثراء . (١)

وفى بعض الفترات أصبحت المناصب فى الدولة سلعًا تشترى بالمال ليستغل المنصب فى الاثراء أو فى تصفيه الخلافات السياسية والقبلية . (٢)

على أن هذا لا يعنى أن هذه الفترة كانت كلها ضعفًا فقد كان هنالك اداريون قاموا بأعمال جليلة على الرغم من الظروف التى جاءوا فيها .

تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز فعزل ولاة عمر وغيّر السياسات التى كان عمر يسير عليها (٣) بل انه وجه كتاباً الى ولاة عمر جاء فيه :: « أما بعد فأن عمر كان مغروراً غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه فى انكسار الخراج والضريبة فأذا أتاكم كتابى هذا فدعوا ماكنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى أخصبوا أم أجدبوا أحبوا أم كرهوا حيوا أم ماتوا والسلام » (٣)

---

(١) انظر توفيق سلطان اليوزبكى - دراسات فى النظم العربية الاسلامية - جامعة الموصل ١٩٧٩ م ص ١٠٥

(٢) انظر الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٥ ص ٢١٩ - ٢٢٢

(٣) ابن عبد ربه - العقد الفريد . مصدر سابق ج ٤ ص ٤٤١

ويظهر من هذا الكتاب أنه كان موجهًا لولاة عمر الذين لم يوافقوا يزيد على ظلمه وشدته على ما يبدو فعزلهم بعد ذلك .

واختار يزيد من الولاة من ينفذ له سياسته ويعينه على ظلمه ومن ذلك أنه استعمل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج والياً على أفريقية سنة ١٠١هـ بعد أن عزل عمر عامل عمر عليها محمد بن يزيد مولى الأنصار. فلما ولى يزيد أفريقية عزم أن يسير فى أهلها بسيرة الحجاج فى أهل الاسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة بالعراق فأن الحجاج كان قد ردهم الى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار. فأراد يزيد بن أبى مسلم أن يفعل بأهل أفريقية كذلك فكلموه فى ذلك فلم يسمع وعزم على ما عزم عليه . فلما تحققوا من ذلك أجمعوا رأيهم على قتله فوثبوا عليه وقاتلوه فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان قبله وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار. وكتبوا الى الخليفة يزيد ابن عبد الملك : انا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا علينا محمد بن يزيد . فكتب اليهم الخليفة يذكر لهم عدم رضائه عن سياسة واليه السابق وأقر الوالى الذى اختاروه فترة ثم عزله .(١)

وكان يزيد بن أبى مسلم قد زاد فى ظلمه لأهل افريقية بأن أخذ يرسم اسم حرسه على أيدى البربر كما تصنع الملوك من غير المسلمين وفرض على أحد أبناء موسى ابن نصير أن يرزق الجند من ماله الخاص مدة خمس سنين فلما أعلمه بعدم قدرته على ذلك حبسه وأخذ موالى موسى بن نصير فوسم

---

(١) انظر النجوم الزاهرة - مرجع سابق ج ١ ص ٢٤٥

أيديهم وردهم الى الرق (١) .

وعلى الرغم من سياسة يزيد بن عبد الملك المعروفة الا أن ولاته كانوا يبحثون عن الأفضل ليولوه فقد سأل عدى بن أرطاة عامل يزيد على البصرة اياس بن معاوية (٢) أن يدله على قوم من القراء ليولهم فقال له اياس : القراء ضربان ضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك . وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا أنت أمكنتهم منها ؟ قال فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم . (٣)

وبعد انتهاء فتنة يزيد بن المهلب فى العراق جمع يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان لأخيه مسلمة بن عبد الملك (٤) الذى كان له دور كبير فى القضاء على هذه الفتنة فأقر مسلمة محمد بن عمرو بن الوليد على الكوفة .

أما البصرة فقد قام بأمرها بعد آل المهلب شبيب بن الحارث التميمى فبعث مسلمة عليها عبد الرحمن بن سليمان الكلبى وعلى شرطتها وأحداثها عمرو بن يزيد التميمى فأراد عبد الرحمن أن يستعرض أهل البصرة فيقتلهم فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام ثم كتب الى مسلمة الذى عزل عبد الرحمن وولى على البصرة عبد الملك ابن

---

(١) انظر د . عماد الدين خليل - دراسة مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك . مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى - جامعة أم القرى - العدد الرابع طباعة دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ص ٢٩٩ - ٣٠٠

(٢) اياس بن معاوية بن قرة . أبو واثلة . قاضى البصرة . كان يضرب به المثل فى الذكاء والدهاء والسؤدد - توفى سنة ١٢١هـ .
انظر الذهبى - سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ١٥٥

(٣) انظر ابن قيتبة - عيون الأخبار - مرجع سابق ج ١ ص ١٧٨ والتذكرة الحمدونية مرجع سابق ص ٤٢٥

(٤) مسلمة بن عبد الملك بن مروان . أبو سعيد . يلقب بالجرادة الصفراء . له مواقف مشهودة مع الروم وكان قد غزا القسطنطنية . ولى العراق لأخيه يزيد . توفى سنة ١٢٠ هـ . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ٢٤١

بشـــر بن مروان وأقر عمرو بن يزيد على الشرط والأحداث. (١)

واستعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ابـــن العاص المعروف بسعيد خزينـــة فحبس سعيد هذا عمال عمر بن عبد العزيز مدة ثـــم أطلقهم. (٢)

ولم يرفع مسلمة ليزيد شيئاً من خراج العراق وخراسان فكتب اليه يزيد أن يقبـــل وولى مكانه عمر بن هبيـــرة (٣) والياً على العراق (٤).

ويرى أحد الباحثين أن السبب الرئيسى فى اختيار عمر بن هبيـــرة والياً علـــى العراق هو أن الحالة فى العراق خاصة والمشرق الاسلامى عامة كانت مضطربة مـــن جراء ثورة يزيد بن المهلب التى أدت الى انقسام القبائل العربية على نفسها ومحاربة بعضها بعضا.

وكان الوضع فى العراق والمشرق يتطلب أن يكون الأمير ذا دراية وكفاءة ومقـــدرة وبما أن عمر بن هبيرة سبق أن كان أميراً على الجزيرة والموصل وقام بفتوحات عظيمة فى منطقة أرمينية خاصة وبلاد الروم عامة وخاض هنالك معارك برية وبحرية أثبت فيهـــا كفاءة ومقدرة، بالاضافة الى أنه من رجال الشام المشهورين. كل ذلك دفع الخليفة الى توليته امرة العراق والمشرق الاسلامى ليعيد الهدوء والاستقرار فى هـــذه المنطقة المهمة بالنسبة للدولة الأموية. (٥)

---

(١) انظر الكامل فى التاريخ مصدر سابق ج ٥ ص ٨٩

(٢) انظر المصدر السابق ج ٥ ص ٩٠

(٣) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكيـــن الفزارى. أبو المثنى أمير العراق فى سنة ١٠٣هـ عزل بخالد القسرى الذى أساء معاملته. مات سنة ١٠٧.
انظر سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٢

(٤) انظر الطبرى المصدر السابق ٦ ص ٦١٥

(٥) انظر عبد القادر المعاضيدى - واسط فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ١٨٩ ١٩٠

وعلى الرغم من قصر المدة التى حكم فيها عمر بن هبيرة العراق فأنه قام بأعمال مهمة فقد أمر بمسح السواد سنة ١٠٥ هـ. قال اليعقوبى : " ولم يمسح السواد منذ أن مسحه عثمان بن حنيف فى زمن عمر بن الخطاب حتى مسحه عمر بن هبيرة "(١)

كما اهتم باصلاح العملة واهتم بالفتوحات.(٢)

وفى الجانب الادارى عزل عمر بن هبيرة سعيد خزينة عن خراسان بسبب شكاية أهلها له واستعمل بدلاً عنه سعيد بن عمر الحرشى ثم عزله عنها وولاها مسلم بن سعيد الكلابى وعذب الحرشى واستخرج منه بعض الأموال.(٣)

تولى الخلافة بعد يزيد بن عبد الملك أخوه هشام فعمل على اصلاح ماأفسده يزيد وكان هشام رجلا حليماً عفيفاً " وعد أحد السواس الثلاثة من بنى أمية وهم معاوية وعبد الملك وهشام وبه ختمت أبواب السياسة وحسن السيرة وكان يحب جمع المال وعمارة الأرض واصطناع الرجال وتقوية الثغور "(٤).

اعتمد هشام فى اسناد الأعمال العظيمة على أناس من أهل بيته(٥). كما أنه حرص على اقصاء الخونة والظلمة ومن ذلك مارواه الطبرى من أن هشاماً كان قد أقطع قبل توليه الخلافة أرضاً يقال لها دورين فأرسل فى قبضها فأذا هى خراب فقال لأحد الكتاب بالشام واسمه زويد ماالحيلة؟ قال زويد : ماتجعل لى ؟ قال أربعمائة دينار. فكتب الكاتب : دورين وقراها. ثم أمضاها فى الدواوين فأخذ هشام شيئاً كثيراً. فلما تولى هشام دخل عليه زويد فقال له هشام : دورين وقراها

---

(١) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مرجع سابق ج ٢ ص ٣١٣
(٢) انظر المعاضيدى - واسط فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ١٩٢ - ١٩٣
(٣) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٥ ص ١٠٣
(٤) محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٩١
(٥) انظر المرجع السابق ج ٢ ص ٩١

والله لا تلى لى ولاية أبداً وأخرجه من الشام . (١)

وكان هشام يعزل ولاته اذا رأى فيهم ضعفاً ، من ذلك أنه لما مات والى مصر الوليد بن رفاعة (٢) أقر هشام عبد الرحمن بن مسافر (٣) على امرة مصر وكان ذلك فى جماد الآخرة من سنة سبع عشرة ومائة وكان فى عبد الرحمن هذا لين ، ففى ولايته على مصر نزلت الروم بنواحى مصر وأسروا منها خلقاً كثيراً فلما بلغ هشام ذلك عزله عن امرة مصر . (٤)

كما أن هشام كان قد عزل عمر بن هبيرة عن ولاية العراق واستعمل خالد ابن عبد الله القسرى وذلك فى شوال سنة ١٠٥ هـ . (٥) وانفرد اليعقوبى برواية يزعم فيها أن هشاماً قد عين خالداً لصنيعة قد أدها له . يقول اليعقوبى فى روايته : "ان يزيد قد جعل ولاية العهد من بعده لهشام ثم بدا له أن يبايع بولاية العهد لأبنه الوليد وكان هشام بالجزيرة فوجه اليه خالد القسرى يحسّن له خلع نفسه من ولاية العهد على أن الجزيرة له طعمة . قال خالد : فأتيته فذكرت له ذلك فأسرع الأجابة فقلت له : أيها الانسان ان استشرتنى وعاهدتنى على أن تكتم على أشرت عليك . فقال : قد استشرتك ولك عهد الله أن أكتم عليك فقلت : انما هى أيام قلائل حتى تصير الجزيرة أحد أعمالك . قال : كيف بالسلامة من يزيد ؟ قلت : على

---

(١) انظر الطبرى ـ مصدر سابق ج ٧ ص ٢٠٥

(٢) هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمى ـ تولى امرة مصر لهشام سنة ١٠٩هـ . توفى فى ١١٧هـ وكانت امرته على مصر سبع سنين وخمسة أشهر انظر تاريخ ولاة مصر ـ مرجع سابق ص ٦٦

(٣) عبد الرحمن بن خالد بن مسافر . أبو الوليد . ولاه هشام امرة مصر بعد وفاة واليها الوليد ثم عزله وكانت ولايته عليها سبعة أشهر انظر المرجع السابق ص ٦٧

(٤) انظر ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة مصدر سابق ج ١ ص ٢٧٧

(٥) انظر ابن الأثير ـ الكامل فى التاريخ مصدر سابق ج ٥ ص ١٢٤

قال : افعل مابدا لك فأنها يد مشكورة لك . فانصرفت الى يزيد فقلت : ياأمير المؤمنين انى أتيت رجلاً صعبًا فأنشدك الله أن توقع العداوة والشر بينكم وتوجدوا للناس السبيل الى الطعن فيكم والاختلاف عليكم ولكن تصير الوليد ولى العهد بعد أخيك . فركن الى ذلك وفعله فمازال هشام يشكر ذلك لخالد حتى ولى الخلافة فولاه العراق "(١)

الا أن هذه الرواية يضعفها عدم ورودها فى المصادر السابقة واللاحقة لليعقوبى كما أن تطلع هشام وحرصه على الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك مشهور ومعروف(٢).

وبعض المصادر أشارت الى أن تعيينه انما كان لأنه كان منذ عهد الطفولة يقول لهشام : انى أرى فيك علامة الخلافة فكافأه هشام بولاية العراق .

ويشير البعض الى أن هشامًا أراد أن يهدم حكم القيسيين فى الشرق فعزل ابن هبيرة وولى مكانه خالد القسرى وكل هذه تفسيرات وتحليلات يبدو عليها الضعف(٣)

ويظهر أن كفاءة خالد اضافة الى رغبة الخليفة فى احداث بعض التوازنات فى ادارته كانت سببًا فى تولية خالد القسرى على العراق .

وقد أدار خالد هذه الولاية لمدة خمس عشرة سنة حقق خلالها الكثير من المنجزات حيث " جفف المستنقعات فى منطقة البطائح وحفر عددًا من الأنهار كما أقام سدًا على نهر دجلة لرفع منسوب المياه . كما اهتم بضرب النقود فسميت باسمه كما اهتم بأمر الفتوحات "(٤) .

---

(١) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مرجع سابق ج ٢ ص ٣١٣ - ٣١٤
(٢) انظر المعاضيدى - واسط فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ١٩٨ - ١٩٩
(٣) انظر المرجع السابق ص ١٩٨
(٤) المرجع السابق ص ٢٠١ - ٢٠٢

وكان خالد كريماً جواداً يطعم الناس ويكرمهم . كما كان من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة .(١)

ولقد تمتع خالد أثناء حكمه للعراق بسلطات واسعة وحرية تكاد تكون مطلقة الأمر الذى جعله يزدرى الخليفة وينتقص منه مما جعل الخليفة هشام يعزله ويعين عامله على اليمن يوسف بن عمر الثقفى (٢) ابن عم الحجاج بدلاً منه .(٣)

استعمل خالد بن عبد الله القسرى أثناء حكمه أخاه أسداً (٤) على خراسان الى أن أمره هشام بعزله فعزله واستعمل أشرس بن عبد الله السلمى .

وكان أشرس فاضلا خيّراً يسمونه الكامل لفضله فلما قدم خراسان فرحوا به (٥) وظل يحكم خراسان الى أن عزله هشام واستعمل بدلاً عنه الجنيد بن عبد الرحمن المرى الذى لم يستعمل من العمال الا من كان مضرياً وظل يحكم خراسان الى أن عزله هشام بسبب زواجه من الفاضلة بنت يزيد بن المهلب (٦) .

وعين خلفاً له عاصم بن عبد الله الذى كتب الى هشام ناصحًا : "اما بعد فأن الرائد لا يكذب أهله وان خراسان لا تصلح الا أن تضم الى صاحب العراق فتكون قوادها ومعونتها من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه .

---

(١) انظر ابن خلكان - وفيات الاعيان - مرجع سابق ج ٢ ص ٦

(٢) يوسف بن عمر الثقفى أمير العراق وخراسان لهشام والوليد . كان شهماً كافياً وجواداً . قتل سنة ١٢٧هـ . انظر المعارف - مرجع سابق ص ٢٢٤

(٣) انظر الطبرى - مرجع سابق ج ٧ ص ١٤٦

(٤) أسد بن عبد الله القسرى يمانى الأصل من أهل دمشق كان والياً على خراسان فعزل عنها ثم أعيد اليها ثانية . توفى سنة ١٢٠هـ .
انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٤٢

(٥) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٥ ص ١٤٣

(٦) انظر المصدر السابق ج ٥ ص ١٥٦

فضم هشام خراسان الى خالد وكتب اليه : ابعث أخاك يصلح ماأفسد . فبعث خالد أخاه أسداً . (١)

وظل أسد يحكم خراسان حتى مات فاستشار هشام عبد الكريم بن سليط الحنفي وكان عالماً بخراسان فيمن يوليه فقال عبد الكريم : " ياأمير المؤمنين أما رجل خراسان حزماً ونجدة فالكرماني ، فأعرض عنه وقال : ماسمه ؟ قال : جديع بن علي قال : لا حاجة لي فيه . قال: فالمسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني قال: ربيعة لا يسد بها الثغور . قال عبد الكريم : فقلت في نفسي كره ربيعة واليمن فأرميه بمضر فقلت : عقيل بن معقل الليثي ان غفرت هنته . قال : ماهي ؟ قلت ليس بالعفيف قال : لا حاجة لي فيه . قلت : منصور بن أبي الخرفاء السلمي ان غفرت نكره فأنه مشؤم قال : غيره . قلت : فالمجشر بن مزاحم السلمي عاقل شجاع له رأي مع كذب فيه . قال : لا خير في الكذب . قلت : يحيى بن الحصين . قال: ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور قال : فقلت نصر بن سيار (١) . قال : هو لها . قلت : ان غفرت له واحدة فأنه عفيف مجرب . قال : وماهي ؟ قلت: عشيرته بها قليلة . قال : لا أبالك أتريد عشيرة أكثر مني ؟ أنا عشيرته فكتب له عهده". (٢)

وهذه القصة توضح الكيفية التي كان يختار بها هشام ولاته حيث كان يطرح الأمر على مستشاريه وتخضع الاسماء المرشحة لعملية جرح وتعديل دقيقة يتم بعدها

---

(١) انظر الطبري - مصدر سابق ج ٧ ص ٩٩

(٢) نصر بن سيار المروزي - أبو الليث . أمير خراسان . حدث عن عكرمة وابن الزبير خرج عليه أبو مسلم الخراساني فحاربه واستنجد بمروان الذي شغل عنه باختلال الأمر في الجزيرة واذربيجان فتقهقر نصر وتوفي سنة ١٣١هـ بعد أن حكم خراسان عشر سنين وكان ذو كفاءة وسؤدد .
انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ٤٦٣

(٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ - مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢٦ - ٢٢٧

اختيار أنسب المرشحين .

أما فى الطور الأخير من عمر الدولة الأموية فقد أصبحت المناصب تشترى بالمال .

فقد ذكرت المصادر أنه بعد أن تولى الخلافة الوليد بن يزيد أقر نصر ابن سيار على خراسان فوفد يوسف بن عمر على الوليد واشترى منه نصراً وعماله فرد عليه الوليد ولاية خراسان فكتب يوسف الى نصر بأمره بالقدوم اليه وأن يحمل ماقدر عليه من الهدايا والأموال . (١)

وفى سنة ١٢٦هـ أراد الوليد الثانى عزل يوسف بن عمر فلما علم يوسف بذلك ذهب الى دمشق وحمل للخليفة من الأموال والأمتعة والآنية مالم يحمل من العراق مثله .وفرق على موظفى الخليفة مبالغ كبيرة فأقره الخليفة على عمله . (٢)

وظل يوسف يحكم العراق الى أن عزل فى جماد الآخرة سنة ١٢٦هـ وتولى مكانه منصور بن جمهور (٣) وذلك بسبب تحامل يوسف على اليمانية قوم خالد بن عبد الله القسرى (٤) .

وهكذا لما أصبحت المناصب تشترى والاختيار يتم بسبب الأموال أو العصبية ضعفت الادارة وتفككت أوصال الدولة وانتهت دولة الأمويين فى سنة ١٣٢هـ .

---

(١) انظر المصدر السابق ج ٥ ص ٢٦٩

(٢) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٧ ص ٢٣٣ - ٢٣٤

(٣) منصور بن جمهور والى العراق ليزيد الناقص . عزل بعبد الله بن عمر بن عبد العزيز . انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ٧٠

(٤) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ١٠ ص ١٤

الفصل الثاني

التوجيه في الدولة الأموية

ويشتمل علي أربعة مباحث كما يلي :

١- المبحث الأول : التوجيه في عهد معاويه وولده يزيد

٢- المبحث الثاني : التوجيه من عهد مروان وحتى نهاية عهد سليمان

٣- المبحث الثالث : التوجيه في عهد عمر بن عبدالعزيز

٤- المبحث الرابع : التوجيه من عهد يزيد وحتى نهاية الدولة

الفصل الثاني

التوجيه في الدولة الاموية

سار الخلفاء الأمويون على منهاج الراشدين في توجيه وارشاد العمال وتبصيرهم بحدود وظائفهم وحثهم على أعمال الخير والبر والاخلاص فيها وتدريبهم على مجالات وظائفهم. الا أننا نجد أن هذا التوجيه يختلف من فترة لأخرى وذلك حسب قرب الخليفة أو بعده من المنهج الراشدي. ويمكن لنا أن نتحدث عن التوجيه في الدولة الأموية عبر المباحث التالية :-

(١) المبحث الأول : التوجيه في عهد معاوية وولده يزيد

(٢) المبحث الثاني : التوجيه من عهد مروان وحتى سليمان

(٣) المبحث الثالث : التوجيه في عهد عمر بن عبد العزيز

(٤) المبحث الرابع : التوجيه من عهد يزيد وحتى نهاية الدولة.

المبحث الأول

التوجيه في عهد معاوية ويزيد

على الرغم من أن فتره حكم معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد تقارب ربع القرن تقريباً الا أن المرء يلاحظ قلة مادة التوجيه نسبياً في كتب المصادر الخاصة بهذه الفترة مع أن معاوية رضي الله عنه يعتبر من أفذاذ الاداريين المسلمين والعرب وبالتأكيد فهو يدرك أهمية التوجيه والارشاد في الادارة ولكني اعتقد أن السبب في ذلك ربما يعود الى العناصر التي اعتمد عليها معاوية في ادارته. فمعاوية رضي الله عنه قد اعتمد على عناصر صقلتها التجربة وعركتها الأحداث من أمثال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد وهؤلاء كانوا في أحيان كثيرة يوجهون الخليفة نفسه

ويشيرون عليه وذلك بسبب عمق تجاربهم وحنكتهم ولذلك ترك لهم معاوية قدراً واسعاً من الحرية فى ادارة ولاياتهم، وما كان يتدخل كثيراً فى شئونهم وما كانوا محتاجين فى كثير من أمورهم لتوجيهات الخليفة وتنبيهاته ولكنهم كانوا يستشيرون الخليفة فى بعض الأمور ويستشيرهم. فمن ذلك أن معاوية طلب الى زياد أن ينظر رجلاً يصلح لثغر الهند فيوليه فكتب اليه زياد : ان قبلى رجلين يصلحان لذلك، الأحنف بن قيس وسنان بن سلمة الهندى فأرسل اليه معاوية رسالة يوجهه فيها أن يختار سنان ولا يختار الأحنف لأن الأحنف لم يكن من أنصار معاوية فكتب اليه زياد: ان الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسؤدد مالا تنقصه الولاية ولا يضره العزل.(١)

وكان معاوية رضى الله عنه مع حلمه المشهور لا يرغب فى استعمال أنصار أمير المؤمنين على ، من ذلك توجيهه لزياد بأن يعزل حريث بن جابر عن العمل بسبب موقفه من معاوية يوم صفين فأجابه زياد : أما بعد فخفض عليك ياأمير المؤمنين فأن حريثاً قد سبق شرفاً لا يرفعه معه عمل ولا يضعه معه عزل .(٢) واجابة زياد هذه والتى سبقتها تعكس أى نوع من الولاة كان، فهو يعرف قيمة الرجال ويستعملهم فيما يناسبهم من الوظائف بعيداً عن الحزازات والأحن .

وكان معاوية رضى الله عنه يحرص على رعاية أهل الخير والصلاح ويأمر عماله بذلك مثلما وجه عامله على المدينة الوليد بن عقبة بأن يهتم بورثة أبى هريرة وأن يدفع لهم عشرة آلاف درهم وأن يحسن جوارهم ويفعل اليهم معروفا .(٣)

---

(١) انظر ابن قتيبة - عيون الأخبار - ج ١ ص ٢٢٧

(٢) انظر ابن أبى الحديد - شرح نهج البلاغة تحقيق الشيخ حسن تميم - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٤م ج ٤ ص ٨١٦

(٣) انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى - مرجع سابق ج ٤ ص ٣٤٠

كما كان يتعهد بعض الولاة الذين يحتاجون الى نصائحه ويتقدم لهم بها .

من ذلك نصيحته لأحد عماله حين قال له : " كل قليلاً تعمل طويلاً والزم العفاف يلزمك العمل واياك والرشا يشتد ظهرك عند الخصام " (١) .

كما أوصى أحد أقاربه ممن استعمله وصية جاء فيها :-

لا تبيعن كثيراً بقليل وخذ لنفسك من نفسك واكتف فيما بينك وبين عدوك بالوفاء تخف عليك المؤنة وعلينا منك ، وافتح بابك للناس .

وقال لآخر : " اذا أعطيت عهداً ففه به ولا تخرجن منك أمراً حتى تبرمه فأذا خرج فلا يردن عليك ، ولا تطمعن أحداً فى غير حقه ولا تؤيسن أحداً من حق له " (٢)

وأوصى عبيد الله بن زياد حين ولاه الكوفة بعد وفاة زياد فقد قال عبيد الله لأهل الكوفة : " ان أمير المؤمنين قد ولانى أمركم وثغركم وفيأكم وأمرنى بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم والاحسان الى سامعكم ومطيعكم والشدة على مريبكم وعاصيكم (٣) "

ولعل خلاصة تجربة معاوية رضى الله عنه فى الحكم قد جمعها فى وصيته لابنه يزيد حين دنا أجله فقد جاء فيها : " يايزيد اتق الله فقد وطأت لك هذا الأمر ووليت من ذلك ما وليت ، فأن يك خيراً فأنا أسعد به وان كان غير ذلك شقيت به فارفق بالناس وأعرض عما بلغك من قول تؤذى به وتنتقص به وطأ عليه يهنأ عيشك وتصلح لك رعيتك واياك والمناقشة وحمل الغضب فأنك تهلك نفسك ورعيتك واياك وضيرة أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم ولن لهم لينا بحيث لا يروا منك ضعفاً ولا خوراً

---

(١) ابن قتيبة - عيون الأخبار - مرجع سابق ج ١ ص ٦٠ وابن حمدون - التذكرة الحمدونية - مرجع سابق ص ٣٤٧

(٢) عيون الاخبار ج ١ ص ٦٠

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية - مرجع سابق ج ٨ ص ١٥٣ - ١٥٤

وأوطئهم فراشك وقربهم اليك وأدنهم منك فأنهم يعلموا لك حقا ولا تهنهم ولا تستخف بحقهم فيدهنوك ويستخفوا بحقك ويقعوا فيك ، فاذا أردت أمراً فادع أهل السن والتجربة من أهل الخير والمشايخ وأهل التقوى فشاورهم ولا تخالفهم واياك والاستبداد برأيك فأن الرأى ليس فى صدر واحد ، وصدّق من أشار عليك اذا حملك على ماتعرف وأخزن ذلك عن نسائك وخدمك وشمر ازارك وتعاهد جندك وأصلح نفسك تصلح لك الناس ولا تدع لهم فيك مقالاً فأن الناس سراع الى الشر واحضر الصلاة فأنك اذا فعلت ماأوصيك به عرف الناس لك حقك وعظمت مملكتك وعظمت فى أعين الناس واعرف شرف أهل المدينة فأنهم أصلك وعشيرتك واحفظ لأهل الشام شرفهم فأنهم أهل طاعتك واكتب الى أهل الأمصار بكتاب تعدهم فيه منك بالمعروف فأن ذلك يبسط آمالهم وان وفد عليك وفد من الكور كلها فأحسن اليهم وأكرمهم فأنهم لمن ورائهم ولا تسمعن قول قاذف ولا ماحل فأنى رأيتهم وزراء سوء ". (١)

وكان زياد يباشر التوجيه فى اقليمه كذلك فكان اذا ولى رجلاً قال له : " خذ عهدك وسر الى عملك واعلم انك مصروف رأس سنتك وأنك تصير الى أربع خلال (٢) فاختر لنفسك :-

" انا ان وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وان وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأشغلنا غرمك وان جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وان وجدناك أميناً قوياً زدناك فى عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك ". (٣)

---

(١) المرجع السابق - ج ٨ صفحة ٢٢٩ - ٢٣٠

(٢) جاء فى تهذيب الرياسة الى ثلاثة خصال - انظر تهذيب الرياسة ص ٢٧١ - ٢٧٢

(٣) اسماعيل بن القاسم القسالى البغدادى - كتاب الأمالى . دار الشروق ١٣٩٥ هجرية ص ٨٠ - ٨١

فمثل هذا التوجيه يمثل الرقابة السابقة خير تمثيل ففيه تحديد للوظيفة التى تضمنها العهد وفيه تحذير للولاة من الغش والخيانة والضعف كما انه اشتمل على العقوبات وكيفيتها .

ومن أمثلة تحديد زياد لوظائف عماله ماقاله لحاجيه :" ياعجلان انى وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربع : عن هذا المنادى اذا دعا الى الصلاة فلا سبيل لك عليه ، وعن طارق الليل فشر ماجاء به ولوجاء بخير ماكنت فى حاجته ، وعن رسول صاحب الثغر فأن ابطاء ساعة يفسد تدبير سنة وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه "(١) .

أما يزيد فقد باشر توجيه عماله كذلك،خاصة أبان الثورات فمن توجيهاته لولاته ماأوصى به مسلم بن زياد حين ولاه خراسان اذ قال له :" ان أباك كفى أخاه عظيماً وقد استكفيتك صغيراً فلا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك واياك منى قبل أن أقول اياى منك.فأن الظن اذا أخلف اخلف منك . وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك وكن لنفسك تكن لك واذكر فى يومك أحاديث غدك ترشد ان شاء الله ."(٢)

ومنها رسالته التى أرسلها الى عبيدالله بن زياد عامله على العراق يأمره فيها بالبحث عن مسلم بن عقيل (٣) وقد جاء فيها : أما بعد فأنه كتب الى شيعتى من أهل الكوفة يخبروننى أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين فسر حين

---

(١) انظر التذكرة الحمدونية ص ٣٤٣ والكامل فى اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ١٧٦
(٢) ابن قتية ـ عيون الاخبار ج ١ ص ١١٠
(٣) هو مسلم بن عقيل بن أبى طالب . تابعى من ذوى الرأى والعلم والشجاعة . أرسله الحسين بن على الى الكوفة فقبض عليه أميرها عبيدالله بن زياد وقتله سنة ٦٠هـ . انظر ابن قتيبة ـ المعارف ـ مرجع سابق ص ١١٧

تقرأ كتابى هذا حتى تأتى أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تسقطه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام" (١) .

وحين توجه الحسين بن على الى العراق كتب يزيد الى ابن زياد بأن يضع المناظر والمسالح وأن يحترس ويحبس على الظنة ويأخذ على التهمة على أن لا يقتل الا من قاتله وأن يكتب الى يزيد بكل مايحدث . (٢)

وعندما نجح عبيد الله بن زياد فى قتل مسلم بن عقيل كتب اليه يزيد : "أما بعد فأنك لم تعد أن كنت كما أحب . عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش ، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظنى بك ورأيى فيك . وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما فى رأيهما وفضلهما كما ذكرت فاستوصى بهما خيرا" (٣)

وكان الشاعر يزيد بن ربيعة الحميرى قد هجا "آل زياد " فقبض عليه عبيد الله ابن زياد وكتب فى أمره الى يزيد الذى وجهه قائلا : " اياك وقتله ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ولا يبلغ نفسه فأن له عشيرة هى جندى وبطانتى فلا ترضى بقتله منى ولا تقنع الا بالعفو منك فاحذر لنفسك وأعلم أنه الجد منهم ومنى وانك مرتهن بنفسه ذلك فى دون تلفها بمندوحة تشفى من الغيظ ". (٤)

فيزيد يريد المحافظة على منصب الوالى كما يريد أن يحافظ على عشيرة الشاعر ولذلك سمح لواليه أن يعذبه عذابًا لا يؤدى الى هلاكه وبذلك يحفظ الموازنة بين سمعة الوظيفة وعدم التعدى عليها من جهه وبين المحافظة على ولاء جمهور كبير .

---

(١) الطبرى المصدر السابق ج ٥ ص ٣٥٧
(٢) انظر البداية والنهاية ج ٨ من ص ١٦٥ ١٦٥
(٣) الطبرى ج ٥ ص ٣٨٠ - ٣٨١
(٤) انظر وفيات الاعيان ج ٥ من ص ٣٩١

من جهة أخرى وهذه وتلك جميعها تصب فى مصلحة الادارة .

ومن وصايا يزيد لقواد جيشه وصيته لمسلم بن عقبة قائد الجيش الذى أرسله يزيد الى الحجاز لحرب أهل المدينة وابن الزبير فقد أوصاه بقوله : أنت أمير الجيش وان حدث بك حدث فاستخلف على الجيش الحصين بن نمير السكونى فأذا وردت المدينة فادع الناس ثلاثاً فأن أجابوك والا فقاتلهم فأن ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً فما كان بها من مال أو ورثة أو سلاح أو طعام فهو للجند فأذا مضت الثلاث فأكفف عن الناس واستوصى بعلى بن الحسين بن على خيراً وأذن مجلسه فأنه لم يدخل فى شىء مما دخل الناس فيه وأعلم أنك تقوم على قوم ذوى جهالة واستطالة قد أفسدهم حلم أمير المؤمنين معاوية وظنوا أن الأيدى لا تنالهم فلا تردن أهل الشام عما أرادوه بهم "(١) .

وهذه الوصية تعتبر من أشد وصايا يزيد، اذ أن حرصه على استقرار حكمه جعلته يعتدى على حرمة المدينة وحرمة أهلها وقد نفذ قائد الجيش ما طلبه منه يزيد فى وصيته .

---

(١) انظر الطبرى ج ٥ ص ٤٨٤ والكامل ج ٤ ص ١١٢

المبحث الثاني

التوجيه من عهد مروان وحتى عهد سليمان

باشر مروان بن الحكم وأبناؤه توجيه عمالهم وولاتهم وتبصيرهم بشئون ولاياتهم وذلك حتى تنصلح أدارتهم ويقوى حكمهم . من ذلك أن مروان عندما ولى الخلافة ذهب الى مصر فأقام بها شهرين ثم جعل ولايتها الى ابنه عبدالعزيز الذى قال له : "ياأمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد بنى أبى ؟ فقال له مروان : يابنى عمهم بأحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك واجعل وجهك طلقاً تصفى لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عيناً لك على غيره وينقد قومه اليك وقد جعلت معك أخاك بشراً مؤنساً وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً. وماعليك يابنى أن تكون أميراً بأقصى الأرض أليس ذلك أحسن من اغلاق بابك وخمولك فى بيتك ؟ "(١) .

وهى وصية جامعة كما ترى تدل على عمق تجربة صاحبها وخبرته . وقد أرد فيها له بوصية أخرى حين أراد مفارقته وقد جاء فيها :-

" أرسل حكيماً ولا توصه . أى بنى : انظر الى عمالك فأن كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخره الى عشية وان كان لهم عشية فلا تؤخره الى غدوة وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم . واياك أن يظهر لرعيتك منك كذب فأنهم ان ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك فى الحق ، واستشر جلساءك وأهل العلم فأن لم يستبن لك فاكتب الىّ بأنك رأى فيه ان شاء الله . وان كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ثم يكون منك مايكون وأنت ساكن الغضب منطفئ الجمرة ، فأن أول من جعل السجن

---

(١) الكندى - تاريخ ولاة مصر ص ٤٣

كان حليماً ذا أناة . ثم انظر الى أهل الحسب والدين والمرؤة فليكونوا أصحابك وجلساءك ثم اعرف منازلهم منك على غير استرسال ولا انقباض. أقول هذا واستخلف الله عليك ". (١)

واهتمام مروان بعبد العزيز واكثاره من توصيته انما كان لصغرعمره وقلة تجربته بينما نجد أن وصيته لعبد الملك والذى هو أكثر تجربة من عبد العزيز قد جاءت مختصرة اذ أوصاه أن يأمر حاجبه أن يخبره بمن يحضر ببابه كل يوم فيأذن لمن يشاء وأن يؤانس من يدخل عليه بالحديث وألا يعجل بعقوبة . (٢)

وعندما استخلف عبد الملك سار على خطى والده فى مجال الاشراف والتوجيه فقد أوصى أخاه عبد العزيز بعد أن أقره على ولاية مصر بما يلى : "أبسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق فى الأمور فأنه أبلغ لك . وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك فأنه وجهك ولسانك ولا يقضى أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتكون أنت الذى تأذن له أو ترده واذا خرجت الى مجلسك فابدأ بالسلام يأنسوا لك وتثبت فى قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فأنها تفتح مغاليق الأمور واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فأنك على العقوبة بعد التوقف عنه أقدر منك على ردها بعد امضائها " (٣) .

ووصية عبد الملك هذه انما كانت للتذكير اذ أن ماتضمنته من نصائح وتوجيهات كان مروان قد نصح بها ابنه عبد العزيز من قبل .

وقد ورد فى تهذيب الرياسة أن عبد الملك قد قال لأخيه عبد العزيز :-

---

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ١ ص ٤٢

(٢) أنظر محمد ماهر حمادة - الوثائق السياسية والأدارية العائدة للعصر الأموى موسسة الرسالة ١٩٧٤م ص ٢٢٩

(٣) ابن الطقطقى - الفخرى فى الاداب السلطانية ص ١٢٦

" أعرف حاجبك وكاتبك وجليسك فأن الغائب عنك يخبرك به كاتبك والمتوسم لك يعرفك بحاجبك والداخل يعرفك بجليسك " (١) .

وكان عبد الملك يهتم بتوجيه قادة الجند لما لذلك التوجيه من أثر فى النفوس فقد أوصى قائده الذى كان قد أرسله لحرب الروم بقوله : " أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيّس الذى ان وجد ربحاً أتجر والا تحفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة وكن فى احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك " (٢) .

وكتب اليه واليه على العراق الحجاج بن يوسف يستأذنه فى أخذ الفضل من أموال أهل العراق فمنعه وكتب اليه : " لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وأبق لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً " . (٣)

ومن روائع توجيهاته أنه كتب الى الحجاج : " انك أعز ماتكون بالله أحوج ماتكون اليه ، وأذل ماتكون للمخلوق أحوج ماتكون اليهم واذا عززت بالله فاعف له ، فأنك به تعز واليه ترجع " . (٤)

كما كتب الى أخيه عبد العزيز بأنه قد ولى أخاه بشراً على البصرة وأمره أن يشخص معه موسى بن نصير وأن يعلمه أنه المأخوذ بكل خلل وتقصير . (٥)

وكانت قضية حرب الخوارج من القضايا التى أكثر فيها عبد الملك توجيهاته

---

(١) القلعى تهذيب الرياسة ص ٢٤٩ والتذكرة الحمدونية ص ٣٠٢
وعيون الاخبار ج ١ ص٤٤
(٢) العقد الفريد ج ١ ص ١٣٣
(٣) تهذيب الرياسة ص ١٩٢ والأحكام السلطانية ص ١٧٠
(٤) البداية والنهاية ج ٩ ص ٦٥
(٥) انظر ابن قتيبة - الامامة والسياسة . تحقيق طه الزينى - مؤسسة الحلبى ج ٢ ص٤٨

لولاته وقادته ، من ذلك كتابه الى أخيه بشر بعد أن ولاه البصرة :-

" أما بعد فأنى قد كتبت الى خالد بن عبد الله آمره بالنهوض الى الخوارج ، فسرح اليه خمسة آلاف رجل وابعث عليهم رجلاً من قبلك ترضاه فأذا قضوا غزواتهم تلك صرفتهم الى الرى فقابلوا عدوهم وكانوا فى مسالحهم وجبوا فيأهم حتى تأتى أيام عقبهم فتعقبهم وتبعث أخرين مكانهم " (١) .

كما وجهه بأن يبعث أربعة آلاف فارس الى بلاد فارس لحرب الأزراقة وأن يولى عليهم رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب كما طلب منه أن يبعث المهلب فى جيش من قومه لنفس الغرض . (٢)

وكتب عبد الملك الى واليه على أفريقية حسان بن النعمان حينما ولاه اياها :

" انى قد أطلقت يدك فى أموال مصر فأعط من معك ومن ورد عليك وأعط الناس واخرج الى بلاد أفريقية على بركة الله وعونه " (٣)

وظل عبد الملك يباشر التوجيه والنصح حتى وهو على فراش الموت فقد قال لابنه الوليد : ياوليد اتق الله فيما استخلفك فيه واحفظ وصيتى وانظر الى أخى معاوية فصل رحمه واحفظنى فيه وانظر الى أخى محمد فأمره على الجزيرة ولا تعزله عنها . وانظر الى ابن عمنا على بن عباس فأنه قد انقطع الينا بمودته وبصحبته وله نسب وحق فصل رحمه وأعرف حقه وانظر الى الحجاج بن يوسف فأكرمه فأنه هو الذى مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك وشتت الخوارج وأنهاك وأخوتك عن الفرقة وكونوا فى الحرب أجراراً وللمعروف مناراً فأن الحرب لم تدن منية قبل وقتها

---

(١) الطبرى - تاريخ الطبرى ج ٦ ص ١٧١

(٢) انظر الكامل ج ٤ ص ٣٤٤

(٣) ابن عذارى المراكشى - البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ومراجعة ج . س كولان . ج ١ ص ٢٦

وان المعروف يشيد بذكر صاحبه ويميل القلوب بالمحبة وبذلك الالسنة بالذكر الجميل»[١].

وقد قام الحجاج بدوره بتوجيه وتدريب عماله وقواده فمن ذلك أنه بعث برسالة الى قتيبة بن مسلم الباهى يوصيه بقوله : "اذا غزوت فكن فى مقدم الناس واذا قفلت فكن فى أخرياتهم وساقتهم[٢] وهذا مبدأ من المبادىء العسكرية مازالت المدارس العسكرية تنتهجه .

وكان قتيبة قد كتب الى الحجاج يعرض عليه مشكلة استعصاء احدى المدن عليه فأشار عليه الحجاج بأن يصورها له وبعدها وجه قتيبة بقوله :- ارجع الى مراغتك فتب الى الله مما كان منك وآتها من مكان كذا وكذا .[٣] كما وجه قائده المهلب بأن يناهض الخوارج بعد أن علم باختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا وتكون مؤنتهم عليه أشد .[٤]

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك استمر فى توجيه وتدريب الولاة والقادة فقد كتب الى قتيبة يرفع من معنوياته بعد وفاة أميره الحجاج : " قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك فى جهاد أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذى يحسب لك ، فألم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى أنظر الى بلادك والثغر الذى أنت فيه"[٥]

كما كتب الى القائد موسى بن نصير الذى طلب منه الاذن بغزو الأندلس : خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال ».[٦]

وبعد أن حصل موسى على الأذن باشر هو توجيه من هم دونه فى الادارة حيث كتب الى القائد طارق بن زياد يأمره بأن يتم السفن التى حصل عليها الى

---

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ٦٧
(٢) الطبرى ج ٦ ص ٤٢٥
(٣) انظر المصدر السابق ج ٥ ص ٤٤٠
(٤) انظر الكامل ج ٤ ص ٤٣٩
(٥) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٦٤
(٦) الكامل ج ٤ ص ٥٦١

سبعة سفن وأن يختار معه رجلاً يعرف شهور السريانيين ، والعجم ليحدّد له الأوقات التى يتحرك فيها ووصف له الطريق ووجهه بعض التوجيهات .(١)

وفى عهد سليمان وجه عامله على المدينة أبو بكر محمد بن حزم بأن يعاقب من عنده من المغنيين المخنسين وذلك عندما سمع سليمان غناءاً فى معسكره فبحث عن المغنيين وأحضرهم وأراد أن يخصيهم فتدخل عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين انها مثلة ولكن أنفسهم ففعل سليمان وسأل عن أصل الغناء فقيل له بالمدينة فبعث الى واليه بما سبق .(٢)

---

(١) انظر الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦٠ - ٦١

(٢) انظر البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨٠

المبحث الثالث

الاشراف والتوجيه فى عهد عمر بن عبد العزيز

اهتم عمر بن عبد العزيز رضى الله اهتماماً شديداً بأمر الاشراف والتوجيه وجعله وسيلة من وسائله فى اصلاح الادارة فعمر رضى الله عنه كان يرى أن الادارة قد فسدت وأن العمال قد ارتكبوا الكثير من المظالم ولذا حرص على توجيه عماله وتخويفهم حتى لا يقعوا فى أخطاء من سبقهم فيظلموا الرعية ويظلموا أنفسهم .

ومن قراء نصوص التوجيه والاشراف الخاصة بفترة عمر بن عبد العزيز نلاحظ أن عمر هدف الى الاصلاح عن طريقين :-

الأول : هو اصلاح العامل نفسه وذلك بتذكيره ببعض معانى الدين وتخويفه بالله .

الثانى : اصلاح الادارة عن طريق الغاء القرارات الخاطئة وتصويبها وتشجيع العمال على الأعمال الخيّرة .

فمن أمثلة النوع الأول ماكتبه عمر بن عبد العزيز الى عامل له " ان أمكنك أن تدع مما أحل الله لك مايكون حاجزاً بينك وبين ماحرم الله عليك فافعل فأن من استوعب الحلال كله تساقت نفسه الى الحرام (١) ".

فعمر يريد من ولاته أن يكونوا مثله فى زهدهم فى هذه الدنيا ولكنه لا يلزمهم بذلك بل يترجاهم ويحسّن لهم ذلك خوفاً عليهم من الانغماس فى الترف ونسيان

---

(١) الماوردى - نصيحة الملوك ص ٢٩٢ والتذكرة الحمدونية ص ٢٠١

الواجبات . ولذا كان دائم الوعظ لهم فقد كتب الى أحدهم :-

" ياأخى أذكر كثرة سهر أهل النار فى النار وخلود الأبدان فأن ذلك يطرد بك الى ربك نائماً أو يقظاناً واياك أن يزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك ". فلما قرأ العامل الرسالة طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر : ماأقدمك ؟ قال له : خلعت قلبى بكتابك فما وليت لك ولاية حتى ألقى الله سبحانة وتعالى "(١) .

وكتب الى أحد عماله : "أكثر ذكر الموت الذى لا تدرى متى يغشاك فلامناص وأكثر ذكر يوم القيامة وشدته فأن ذلك يدعوك الى الزهادة فيما رغبت فيه والرغبة فيما زهدت فيه ، وأكثر النظر فى عملك الذى أمرت به ثم اقتصر عليه . ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل ولا الحق حتى تذر الباطل ."(٢)

وكان رضى الله عنه دائم التذكير لعماله بالتقوى حيث أنها رأس الأمر لو تحققت لصلح أمر العامل وصلحت ادارته . كتب الى أحد عماله يقول :

" اتق الله فأن التقوى هى التى لا يقبل غيرها ولا يرحم الا أهلها ولا يثاب الا عليها وان الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل ".(٣)

وكتب الى آخر يذكره بها : " أما بعد فاتق الله فى من وليت أمره ولا تيأس من مكره فى تأخير عقوبته فأنه انما يعمل بالعقوبة

---

(١) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٢ ، وعبد القادر الطبرى - كتاب نشأة السلافة بمنشأة الخلافة - مخطوط بمكتبة جامعة أم القرى تحت الرقم ١٨١٨ ورقة ٣٦ .

(٢) عماد الدين خليل - ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز - الدار العلمية للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٩م ص ٤٨

(٣) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧١

من يخاف الفوت والسلام ". (١)

وأرسل الى ولى عهده يزيد بن عبد الملك رسالة أخيرة جاء فيها :
"أما بعد فاتقى يايزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العسرة ولا تقدر على الرجعة. انك تترك ماتترك لمن لا يحمدك وتصير الى من لا يعذرك " (٢) .

وكان رضى الله عنه دائم التذكير لعماله من الوقوع فى الظلم فقد كتب الى بعضهم "أما بعد اذا دعتك قدرتك على الناس الى ظلمهم فتذكر قدرة الله عليك فى نفاذ مايأتى اليهم وبقاء مايؤتى اليك ". (٣)

وكان عمر رضى الله عنه يأمر عماله بالاهتمام بالصلوات وأن يجتنبوا الاشتغال عن حضور الصلوات لأن من أضاعها فهو لما سواها من شعائر الاسلام أشد تضيعاً . (٤)

كما كان يذكرهم بيوم القيامة فقد كتب الى عدى بن أرطاة : "أما بعد فأنى أذكرك ليلة تمخض بالساعة فصباحها القيامة يالهما من ليلة ويالـه من صباح كان على الكافرين عسيرا " (٥)

وكان يقول لعماله : " اعمل للدنيا على قدر مقامك فيها واعمل للآخرة على قدر مقامك فيها . " (٦)

---

(١) المرجع السابق ص ٨٢
(٢) الكامل فى التاريخ ج ٤ ص ١٦٦
(٣) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٢
(٤) انظر المرجع السابق ص ٨٤
(٥) انظر المرجع السابق ص ٦٤
(٦) انظر المرجع السابق الصفحة نفسها .

وكتب الى أحد عماله مذكراً : " أما بعد فالزم الحق ينزلك الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى بين الناس الا بالحق وهم لا يظلمون "(١) .

ومن أمثلة اصلاح عمر الادارة برفع الظلم الذى كان واقعاً على البلاد أن بدأ بتنبيه عماله على عدم التعدى فى العقوبة حيث كتب اليهم : " أن عاقبوا الناس على قدر ذنوبهم وان بلغ ذلك سوطاً واحداً واياكم أن تبلغوا بأحد حداً من حدود الله "(٢) .

وهذا التوجيه جاء بسبب تعدى الولاة فى العقوبة قبل عمر فعمل عمر على ألا تقع مظالم جديدة بينما كان رضى الله عنه يعالج المظالم القديمة التى وقعت من أسلافه وكانت أول كتبه الى عماله متعلقة بهذا الأمر، وبالرغم من أن بعض الناس كانوا قد استغلوا اهتمام عمر برد المظالم للادعاء بأن لهم مظالم واستخدموا لذلك شهداء الزور الا أن عمر أكد على عماله الاهتمام بهذه القضية اذ كتب اليهم :- " أما بعد فأنى كنت قد كتبت لكم برد المظالم ثم كتبت اليكم أن تحبسوها ثم كتبت اليكم بردها فاطلعت من بعض أهلها على خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالاً كنت رددتها. ثم رأيت أن أردها على سوء ظن بأهلها أحب الى من أن أحبسها حتى ينجلى الأمر من غد على ما ينجلى عنه فأذا جاءك كتابى هذا فأردها على أهلها والسلام عليك"(٣) .

ومن توجيهاته المتعلقة برفع المظلم أنه كتب الى العمال بوضع السخرة عن أهل الأرض لأن غايتها أمور يدخل فيها الظلم كما أمرهم أن ترد المزارع لما

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٧٦
(٢) انظر المرجع السابق ص ٧٩
(٣) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨١

جعلت له حيث أنها جعلت لأرزاق المسلمين عامة وأمر العامة هو أفضل للنفع وأعظم للبركة "(١) .

وحتى يقطع سبل الظلم فأنه أمر عماله بعدم التجارة لأن الأمير متى ماتاجر فأنه يستأثر ويصيب أموراً فيها عنت حتى ولو حرص على ألا يفعل ذلك .(٢)

وكان رضى الله عنه قد وجه عماله بألا يستعملوا على المسلمين أهل الذمة لأن فى ذلك اهانة للمسلمين بعد أن أكرمهم الله وتعريضهم لكيد أهل الكتاب وغشهم .(٣)

ومن حرصه على تطبيق شرع الله أنه كتب الى العمال أن : " مروا من كان قبلكم فلا يبقى أحداً من أحراركم ومماليككم صغيراً ولا كبيراً وذكراً ولا أنثى الا اخرج عنه صدقة رمضان مدين من قمح أو صاعاً من تمر أو قيمة ذلك نصف درهم . فأما أهل العطاء فيؤخذ ذلك من أعطياتهم عن أنفسهم وعيالاتهم واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الأمانة يقبضان ما اجتمع من ذلك ثم يقسمانه فى مساكين أهل الحاضرة ولا يقسم على أهل البادية ."(٤)

كما وجههم بأن يرفعوا له أسماء المواليد حتى يفرض لهم وكذلك أسماء الوفيات،(٥) وهذه عملية احصاء للسكان ماأدركت الادارات أهميتها الا حديثاً .

هذا ماكان من أمر التوجيهات العامة أما التوجيهات الخاصة برفع الظلم واحقاق العدل فى بعض المناطق فيمكن أن نختار منها بعض النماذج .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٨٨
(٢) انظر المرجع السابق ص ٨٧
(٣) انظر الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٦٦
(٤) العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٦
(٥) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٣٤٦

من ذلك أنه كتب الى عامله على اليمن عروة بن محمد يأمره بالغاء الجزية التى فرضت على المسلمين فقد كتب اليه : "أما بعد فأنك كتبت الى أنك قدمت اليمن فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج مضروبة ثابتة فى أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال ان أخصبوا أوأجدبوا أوحيوا أوماتوا ، فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين ، ثم سبحان الله رب العالمين . اذا أتاك كتابى فدع ماتنكره من الباطل الى ماتعرفه من الحق ثم اتبع الحق فاعمل به بالغاً بى وبك مابلغ وان أحاط بمهج أنفسنا وان لم ترفع الىّ من جميع اليمن الا حفنة من كتم فقد علم الله أنى بها مسرور ان كانت موافقة للحق والسلام ."(١)

وحدّث أحد عماله بأنه كان يختم على بيادر أهل الذمة فجاءه خطاب عمر يمنعه فى ذلك ويشير الى أن ذلك من سياسة الحجاج وهو لا يريد التأسى به .(٢)

ومن حرصه على عدم أخذ عماله بسيرة الحجاج أنه كتب الى عدى بن أرطأة "بلغنى أنك تسننن بسنن الحجاج فلا تستن بسنته فأنه كان يصلى الصلاة لغير وقتها ويأخذ الزكاة لغير حقها وكان لما سوى ذلك أضيع ".(٣)

وكان حريصاً على ألا يتشبه المسلمون فى عاداتهم بالأعاجم لذا نراه يكتب الى عدى : "أما بعد فأنه بلغنى أن قوماً اذا توضئوا رفعت الطساس من بين أيديهم قبل أن تمتلىء وذلك من ذى الأعاجم أخذوه فأذا أتاك كتابى هذا فلاترفعوا طستاً حتى يمتلىء أو يفرغ من آخر القوم ".(٤)

---

(١) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٨
(٢) انظر ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٢
(٣) المرجع السابق ص ٧٢
(٤) المرجع السابق ص ٧١

ومن حرصه على راحة رعيته أنه كتب الى والى اليمن بأن يضع على طريق الحاج قوماً يرضاهم ويرضى دينهم وأمانتهم مهمتهم فقط تقوية الضعيف واغناء الفقير من الجحيج . . . وقد نفذ الوالى ماطلبه أمير المؤمنين .(١)

وكان العدل هو ديدن الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو يقاتل أعداءه فقد كتب الى عامله يحيى بن يحيى وهو يقاتل الخوارج : " أما بعد فأنى ذكرت آية فى كتاب الله (ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)(٢) وان من العدوان قتل النساء والصبيان فلا تقتلن أمرأة ولا صبياً ولا تقتلن أسيراً ولا تطلبن هارباً ولا تجهزن على جريح ان شاء الله "(٣) .

وهذه الوصايا كما هو واضح تشتمل على كثير من المعانى التى أوصى بها النبى صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه قادتهم .

وكان عامله على حمص قد كتب اليه: أن مدينة حمص قد تهدم حصنها فأن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى اصلاحه فكتب اليه عمر: أما بعد فحصنها بالعدل والسلام "(٤) وهذا لا يعنى أن عمر رضى الله عنه ماكان مهتماً بالنواحى العمرانية ولكن يعنى أن اهتمامه منصب بالدرجة الأولى على تحقيق معانى الدين والتى منها العدل واذا تحقق العدل ازدهر العمران وأمنت الرعية .

ومن فقه عمر رضى الله عنه أنه كتب للسدنة رداً على كتاب كانوا قد كتبوه اليه

---

(١) انظر ابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٢
(٢) الاية ١٩٠ البقرة
(٣) ابن الجوزى ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٤
(٤) عيون الاخبار ج ١ ص١٣

يطلبون منه أن يأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من كان قبله من الخلفاء فرد عليهم بأنه رأى أن يجعل ماينفقه على كسوة البيت فى أكبادجائعة فأنه أولى بذلك من البيت .(١)

ذلك لعلمه رضى الله عنه بأن حرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة ومن حرمة المسلم حفظ حياته بتوفير طعامه وشرابه .

وكان عامله على البصرة قد كتب اليه فى شأن بعض العمال المتهمين بالظلم وطلب من الخليفة أن يأذن لهم له فى عذابهم فكتب اليه عمر رضى الله عنه : " أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أن قبلك عمالاً قد ظهرت خيانتهم وتسألنى أن آذن لك فى عذابهم كأنك ترى أن لك جنة من دون الله ، فاذا جاءك كتابى هذا ، فأن قامت عليهم بينة فخذهم بذلك والا فأحلفهم دبر صلاة العصر بالله لا اله الا هو ما اختانوا من مال المسلمين شيئاً فأن حلفوا فخل سبيلهم فأنما هو مال المسلمين وليس للشحيح منهم الا جهد أيمانهم . ولعمرى لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب الى من أن ألقى الله بدمائهم والسلام "(٢) .

ونفس التوجيه السابق الخاص بعدم التعدى فى العقوبة وجه به والى الموصل(٣) يحيى الغسانى الذى قال : " لما ولانى عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقاً ونقباً فكتبت الى عمر أعلمه حال البلد وأسأله أخذ الناس بالظنة وتعذيبهم على التهمة أو أخذهم بالبينة وماجرت عليه السنة ؟ فكتب

---

(١) انظر ابن الجوزى سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٢
(٢) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦١
(٣) انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان مرجع سابق ج ٥ ص ٢٢٣

الىّ أن آخذ الناس بالبينة وماجرت عليه السنة فأن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . فقال يحى : ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت أصلح البلاد وأقلها سرقاً ونقباً . (١)

وكان عمر رضى الله عنه قد وجه عامل الموصل هذا بأن يغيّر الجزية المفروضة على غير المسلمين على الغنى ثمانية وأربعين درهماً وعلى الوسط أربعة وعشرين وعلى الفقير أثنا عشر درهماً فى السنة . (٢)

وكتب يوجه عامله على الجزيرة وينصحه :- " . . . وكن لمن ولاك الله أمره ناصحاً فيما تعيب عليهم من أمورهم ، ساتراً لمن استطعت من عوراتهم الا شيئاً أبداه الله لا يصلح ستره . وتمسك نفسك عنهم اذا غضبت واذا رضيت حتى يكون ذلك فيما بينك وبينهم مستوياً حسناً جميلاً . ولا تبتغين لحق أديته اليهم ولا لخير سددتهم له حظاً ولا مدحة وليكن ذلك لمن لا يعطى الخير الا هو ولا يصرف السوء الا هو ، واغتنم كل يوم وليلة مضت عليك وأنت سالم .،، (٣)

كما كتب الى عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن يطلب اليه اقامة العدل لأن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور بسبب عمال السوء الذين كانوا يحكمونهم . (٤)

---

(١) انظر ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٩ - ٨٠
(٢) انظر أبى زكريا يزيد بن ياس الأزدى - تاريخ الموصل - دار التحرير ١٩٧٩ - تحقيق د . على حبيبة ص٣
(٣) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٠
(٤) انظر المرجع السابق ص ٧٧

وكان ميمون بن مهران عامل عمر بن عبد العزيز على الخراج قد كتب اليه يستعفيه من منصبه فرد عليه بكتاب جاء فيه : " يا ابن مهران انى لم أكلفك بغياً فى حكمك ولا فى جبايتك فاجب ما جيبت فى الحلال ولا تجمع للمسلمين الا الحلال الطيب". (١)

ووجه عامله على سمرقند : أن أقم خانات فى بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروه يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم ومن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين وان كان منقطعاً فأبلغه بلده." (٢)

وكان عامل المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قد كتب اليه فى جملة أشياء فأجابه عنها كما يلى : " سلام عليك أما بعد جاءنى كتابك تذكر أن أشياخاً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغوا الشرف من العطاء وانما الشرف شرف الآخرة فلا أعرفن ما كتبت به الىّ فى هذا . وجاءنى كتابك تذكر فيه أن من قبلك من أمراء المدينة كان يجرى عليهم رزق من شمع ولعمرى يابن حزم ولطالما مشيت الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظلمة ولا يمشى بين يديك بالشمع ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والأنصار فارضى لنفسك اليوم ما كنت ترضاه قبل اليوم وجاءنى كتابك تذكر أن بنى عدى بن النجار أخوال رسول الله صلى الله عليهم وسلم وقد تهدم مسجدهم وقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا ولم أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة فأذا أتاك كتابى هذا فابنه لهم بناء قاصداً والسلام". (٣)

ومن توجيهاته لهذا العامل أنه كتب اليه محذراً : أياك والمكوس فى بيتك . اخرج للناس فأس بينهم فى المجلس والمنظر ولا يكن أحد من الناس آشر عندك من آخر

---

(١) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٨
(٢) ابن الاثير الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٦٠ - ٦١
(٣) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٨

ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين فأن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندى اليوم سوا . بل أنا أحرص أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم .(١)

حدث أحد عمال عمر على الصدقات أنه بعثه على صدقات بنى تغلب وعهد اليه أن يقبضها ثم يردها على فقراءهم. قال هذا العامل: كنت أتى الحى وأدعوهم بأموالهم وأقبض ماكان فيهم ثم أدعو فقراءهم وأقسمها فيهم حتى أنه يصيب الرجل فيهم الفريضتين أو الثلاث فما أفارق الحى وفيهم فقير .(٢)

وكتب عمر رضي الله عنه الى عامله على مكة بألا يدع أهل مكه يأخذون على بيوت مكه أجراً فان ذلك لا يحل لهم .(٣)

ومن توجيهاته لقضاته انه كتب الى قاضية سلمان بن حبيب المحاربى(٤) أن يجيز للأسير مايصنع فى ماله يفعل به ما يشاء .(٥)

---

(١) نقلا عن د . عماد الدين خليل - الانقلاب الاسلامى ص ٧٣

(٢) ابن الجوزى سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧١

(٣) ذكر الماوردى أن الفقهاء اختلفوا فى بيع دور مكة واجاراتها فمنع الحنيفة ذلك بينما أجازه الشافعية ويرجع الاختلاف عندهم الى الاختلاف فى فتح مكه هل فتحت صلحا أم عنوة .
انظر الماوردى - الاحكام السلطانية - مرجع سابق ص ١٦٤

(٤) سليمان بن حبيب المحاربى الدمشقى . أبو أيوب . قاضى دمشق حدّث عن أبى هريرة ومعاوية وغيرهم . وتولى قضاء دمشق لفترة طويلة . توفى سنة ١٢٦هـ . انظر سير أعلام النبلاء - مرجع سابق ج ٥ ص ٣٠٩

(٥) انظر ابن الجوزى سيرة عمر بن عبد العزيز مرجع سابق ص ٧١

وعندما أراد أحد قضاته أن يستعفى عن القضاء وعلّل ذلك بأنه شيخ كبير وضعيف ولا يستطيع أن يقضى بين الناس كتب اليه عمر: ان أقضى ما استبان لك واذا التبس عليك أمر فارفعه الىّ فأن الناس لو كانوا كلما كثر عليهم شئ تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا »(١)

ومن توجيهه لقضاته وعماله : " ألا يقيّد مسجون بقيد فأنه يمنع من الصلاة ."(٢)

وفى الحقيقة لو ذهبنا نستقصى توجيهات عمر رضى الله عنه وتوصياته الى العمال والولاة لطال بنا الأمر ولكن رأيت أن اكتفى بما كتبت لأدلك على أن عمر رضى الله عنه كان يهتم بالتوجيه العملى للولاة والقضاء وتدريبهم وتحذيرهم حتى لا يقعوا فيما وقع فيه الولاة والعمال الذين سبقوهم من ظلم وجور وحيف بالرعية .

---

(١) انظر المرجع السابق ٨١

(٢) انظر عبد الملك بن حسن عبد الملك - سمط النجوم العوالى فى أنباء الاوائل والتوالى ج ٣ ص ٢٠٧

المبحث الرابع

التوجية من عهد يزيد وحتى نهاية الدولة

لم يهتم من جاء بعد عمر من خلفاء بنى أمية بأمر الاشراف والتوجيه والتدريب اهتمام عمر، الأمر الذى انعكس سلباً على الادارة فضعفت وضعفت معها الدولة مما سهل على العباسين مهمة القضاء عليها.

تحول التوجيه فى كثير من الأحيان عن مقصده الأساسى وهو العمل من أجل راحة الرعية الى الاضرار بها كما فعل يزيد بن عبدالملك حتى كتب الى عمال الأمصار بعد تولية الخلافة :-

" أما بعد فأن عمر كان مغروراً غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه فى انكسار الخراج والجزية فأذا أتاكم كتابى هذا فدعوا ماكنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى أخصبوا أم أجدبوا أحبوا أم كرهوا حيوا أم ماتوا ." (١)

ولما عزل يزيد عمال عمر تظلم أحد سكان المدينة الى الوالى عبدالرحمن ابن الضحاك (٢) فشكا اليه الوالى السابق ابن حزم لضربه اياه فكتب يزيد الى عبدالرحمن بن الضحاك :" أما بعد فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان فأن كان ضربه فى أمرين فلاتلتفت اليه وان كان ضربه فى أمر يختلف فيه فلاتلتفت اليه وان كان ضرب فى أمر غير ذلك فأقده منه " (٣)

---

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٤٤١

(٢) عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس . كان عاملاً ليزيد بن عبدالملك على المدينة - انظر المعارف ص ٢٣٣

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٥٧٥ والكامل ج ٥ ص ٦٧

وهذا يعتبر من التوجيهات الجيدة التى تحفظ للادارة سمعتها ومكانتها فأذا عاقب الوالى فى أمر واضح أو أمر اجتهادى ساقه اليه اجتهاده فلا حرج عليه فى ذالك ولكن يحاسب ويعاقب فى حالة التعدى، اذ أن الادارة الاسلامية لا تعرف الحصانات ولأحد مهما كان مركزه يمكن أن يعلو فوق المساءلة.

ومن جميل توجيهات والى العراق عمر بن هبيرة قوله لمسلم بن سعيد عندما ولاه خراسان : "أوصيك بثلاثة حاجبك فأنه وجهك الذى به تلقى الناس ان أحسن فأنت المحسن وان أساء فأنت المسيء وصاحب شرطتك فأنه سوطك وسيفك حيث وضعتهما فأنت وضعتهما وعمال القدر قال وما عمال القدر ؟ قال مر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم رجالاً لعملك فأن أصابوا فهو الذى أردت وان أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب ."(١)

وفى عهد هشام ادعى يزيد بن خالد القسرى أن له مالاً على بعض الناس وأنهم أنكروها فكتب هشام الى يوسف بن عمر والى العراق يوجهه أن يجمع بين يزيد وهؤلاء الناس فأن هم أقروا بما ادعى عليهم فليسرح بهم الى الخليفة وان هم أنكروها فليسأله هو البينة فأن لم يقم يزيد بالبينة فليستحلفهم الوالى بعد العصر بالله الذى لا اله الا هو مااستودعهم يزيد بن خالد القسرى وديعة ولا له قبلهم شيء وليخل سبيلهم بعد ذلك .(٢)

وعندما كان زيد بن الحسين بن على (٣) يعمل سراً للخروج على حكم الأمويين كتب هشام الى واليه على العراق يوجهه باخراج زيد بن الحسين من العراق لأنه

---

(١) العقد الفريد ج ١ ص ١٩

(٢) الطبرى ج ٧ ص ١٦١

(٣) زيد بن الحسين بن على خرج فى خلافة هشام فبعث اليه يوسف بن عمر حيث قتل وصلب . . . انظر المعارف ص ١٢٦

كما قال لا يقيم ببلد فيدعو أهله الا أجابوه .(١)

أما مروان بن محمد آخر خلفاء بنى آمية فقد كان مشغولاً بالحفاظ على ملك أجداده ولذلك نجده يوجه عامله على دمشق بأن يكتب الى عامله على البلقاء ليسير الى الحميمة فيأخذ ابراهيم بن محمد ويوثقه ثم يبعثه الى دمشق ومنها الى حران حيث يقيم مروان .(٢)

ومن توجيهات مروان لعامله على الكوفة : " حاب علية الناس فى كلامك وسد بينهم وبين السفلة فى أحكامك .(٣)

ومن توجيهات عبد الحميد الكاتب (٤) الى الكتاب أن كتب اليهم :-
" اذا ولى الرجل منكم أو صير اليه من أمور خلق الله وعياله أمر فليراقب الله تعالى ذكره وليؤثر طاعته فيه وليكن على الضعيف رقيقاً وللمظلوم منصفاً فأن الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم على عياله. وليكن بالحق عالماً وللأشراف مكرماً وللفىء مدخراً وللبلاد عامراً وللرعية متألفاً. وليكن فى مجلسه متواضعاً حليماً ليناً وفى استجلاب خراجه واستقصاء حقه رفيقاً ان شاء الله "(٥) .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٦١
(٢) انظر العقد الفريد ج ٤ ص ٤٧٩
(٣) انظر التذكرة الحمدونية ص ٣٧٥
(٤) عبد الحميد الكاتب هو عبد الحميد بن يحى مولى العلاء بن وهب العامرى . كتب لمروان بن محمد وكان مستشاره . قتله أبو العباس السفاح بعد مقتل مروان بن محمد .
انظر الوزراء والكتاب ص ٧٢ - ٧٩
(٥) التذكرة الحمدونية - مرجع سابق ص ٣٣٨ وصبح الأعشى مرجع سابق ج ١ ص ٨٥

الفصل الثالث

المحاسبة في الدولة الأموية

ويشتمل علي المباحث التالية :

١- المبحث الأول : المحاسبة في عهد معاويه وولده يزيد

٢- المبحث الثاني : المحاسبة من عهد مروان وحتى نهاية عهد سليمان

٣- المبحث الثالث : المحاسبة من عهد عمر بن عبدالعزيز وحتى نهاية الدولة

الفصـــــل الثالـــــث

المحاســـبة فـــى الدولة الامويـــة

يبحث هذا الفصل فى موضوع المحاسبة فى الدولة الأموية ويمكن التحدث عـــن هذه المحاسبة من خلال المباحث التالية :-

١ - المبحث الأول : ويتحدث عن المحاسبة فى عهد معاوية وولده يزيد

٢ - المبحث الثانى : ويتناول المحاسبة من عهد مروان وحتى عهد سليمان .

٣ - المبحث الثالث : ويتحدث عن المحاسبة من عهد عمر بن عبد العزيز وحتى نهاية الدولة .

المبحـــث الأول

المحاسبة فى عهد معاوية وولده يزيد

اتبع معاوية رضى الله عنه السياسة التى تعلم أصولها من العهد الراشد المتعلقة بمعرفة أخبار العمال ومحاسبتهم على أعمالهم، حتى أن صاحب المستطرف يذكـــر أن معاوية رضى الله عنه كان قد اقتفى أثر عمر بن الخطاب فى هذا المجال . (١)

وكانت وسائله فى هذا الأمر مشابهة لوسائل أسلافه حيث كان يتعرف على الأخطاء عن طريق التظلم وعن طريق السؤال عن أحوال الرعية وحكامها . وسنتعرض هنا لبعض الأمثلة لمحاسبته التى تمت عبر هذين الطريقين .

أولاً : المحاسبة عن طريق التظلم :

اهتم معاوية اهتماماً خاصاً بمظالم الرعية حتى أنه جعل على بابه رجلاً مهمتـــه

---

(١) انظر الأبشيهى - المستطرف من كل فن مستظرف - مرجع سابق ج ١ ص ٢٠٠

معرفة حوائج الناس ، وذلك حين حدثه بعض الناس بحديث مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : " مامن امام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة الا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته ومسكنته". (١) (٢)

وفى بداية عهد معاوية لم يرضى زياد أن يعمل معه وظل على ولائه لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حيث كان يحكم له بلاد فارس . فأرسل اليه بسر بن أرطأة (٣) عامل معاوية على البصرة كتاباً جاء فيه : لئن لم تقدم لأصلبن بنيك . فكتب اليه زياد : ان تفعل فأهل ذلك أنت انما بعث بك ابن آكلة الاكباد . فركب أبو بكرة أخو زياد لأمه الى معاوية فقال : يامعاوية ان الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال . قال : وماذاك ياأبابكرة ؟ قال : بسر يريد قتل أولاد زياد فكتب معاوية الى بسر يأمره بترك أولاد زياد ويلومه على ذلك.(٤)

وعزل معاوية عامله على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان عقاباً له بسبب شكاية بنى ضبة له اذ أن عبد الله هذا كان قد خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بنى ضبة فقطع عبد الله يده ، فأتى بنو ضبة اليه وقالوا : ان صاحبنا جنى ماجنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم فأكتب لنا كتاباً الى أمير

---

(١) سنن أبى داؤد مرجع سابق ج ٢ ص ١٢٢ ونور الدين على بن أبى بكر الهيثمى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - حرره الحافظ العراقى وابن حجر - دار الكاتب العربى بيروت لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ج ٥ ص ٢١٠

(٢) انظر ابن الجوزى - الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء - مرجع سابق ص ٦٤ .

(٣) بسر بن أرطأة العامرى القرشى. أبو عبد الرحمن - من رجال معاوية أخضع المدينة واحتل اليمن . ولاه معاوية البصرة سنة ٤١هـ . غزا الروم سنة ٤٤هـ وبلغ القسطنطنية مات بدمشق سنة ٨٦هـ . انظر الاصابة - مرجع سابق ج ١ ص ١٥٢

(٤) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٥ ص ١٦٩ - ١٧٠

المؤمنين يخرج به أحدنا اليه بخيره أنك قطعت على شبهة وأمر لم يتضح . فكتب لهم . فلما كان رأس السنة توجه عبد الله الى معاوية ووافاه الضبيون بالكتاب وادعوا أنه قطع صاحبهم ظلماً فلما رأى معاوية الكتاب قال : أما القود من عمالى فلا سبيل اليه ولكنى أدى صاحبكم من بيت المال وعزل عبد الله من البصرة . (١)

وكان زياد عندما أصبح والياً على الكوفة لمعاوية قد هدم دار سعد بن سرح أحد شيعة على فهرب الى الحسن بالمدينة وأخبره بتصرف زياد معه فكتب الحسن بن على كتاباً الى زياد يطلب فيه رد مظلمة سعد . وكان الحسن قد بدأ كتابه بتقديم اسمه على زياد فغضب زياد لذلك غضباً شديداً فكتب الى الحسن كتاباً يعنفه فيه فشكاه الحسن الى معاوية الذى كتب الى زياد :-

" أما بعد فأن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه بعث الىّ بكتابك جواب كتابه اليك فى ابن سرح فأكثرت التعجب منه وعلمت أن لك رأيين أحدهما من أبى سفيان وآخر من سمية . فأما الذى من أبى سفيان فحلم وعزم وأما الذى من سمية فكما يكون رأى مثلها ، ومن ذلك كتابك الى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمرى أنت أولى بالفسق من الحسن . ولأبوك اذ كنت تنسب الى عبيد - أولى بالفسق من أبيه فأذا كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عنك فأن ذلك لم يضعك . وأما تشفيعه فيما شفع اليك فيه فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك . فأذا قدم عليك كتابى هذا فخل مافى يدك لسعد بن سرح وابن له دآره ولا تغدر به وأرد د عليه ماله فقد كتبت الى الحسن أن يخبر صاحبه بذلك . فأن شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان . وأما كتابك الى الحسن باسمه واسم أمه

---

(١) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٣٤٧

ولا تنسبه الى أبيه فأن الحسن ويلك ممن لا يرمى به الرجوان. أفاستصغرت أباه وهو على بن أبى طالب أم الى أمه وكلته لا أم لك فهى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك أفخر له ان كنت تعقل والسلام " (١)

فهنا يرد الخليفة عامله الى الحق ويوبخه على تصرفه الخاطىء ويزيل الآثار التى ترتبت على هذه المظلمة. وهو بهذا انما يكسب ولاء قطاع واسع من الناس يمثله الحسن بن على وفى نفس الوقت يباشر صلاحياته فى محاسبة أفراد ادارته.

ومن محاسبته لعماله عن طريق التظلم محاسبته لعامله بسر بن أرطأة حين اشتكته اليه سودة بنت عمارة المذحجية حيث ذكرت لمعاوية أن الوالى يهجم على قومها ويبطش بهم فيحصدهم حصد السنبل ويدوس عليهم دوس البقر ويسومهم الخسف فقد قتل رجالهم وآخذ أموالهم فكتب معاوية الى عامله يأمره بعدم التعرض لقومها ويحاسبه على تصرفه. (٢)

ومنها كذلك محاسبته لعامله على المدينة مروان بن الحكم بسبب شكاية أم سنان المذحجية له لحبسه لبعض قرابتها فكتب اليه معاوية يحاسبه على ذلك ويأمره باطلاق سراحه. (٣)

ومنها عزله لابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم عامله على الكوفة لأنه قد اساء السيرة فى أهل امارته فكتب أحد الشعراء شعراً فى رقعة وألقاه فى المسجد وكان

---

(١) ابن خلكان - وفيات الاعيان - مرجع سابق ج ٥ ص ٤٠٣ - ٤٠٤
(٢) انظر القلعى - تهذيب الرياسة - مرجع سابق ص ٢٥٩ - ٢٦١
(٣) انظر ابن أعثم - الفتوح - مرجع سابق ج ٢ ص ٦٤

فيـــه :- (١)

ألا أبلغ معاوية بن صخـــر فقد خرب السواد فلا سوادا

أرى العمال أقساء علينـا بعاجل نفعهم ظلموا العبادا

فهل لك أن تدارك مالدينا وتدفع عن رعيتك الفســـادا

وتعزل تابعًا أبدًا هـــواه يخرب من بلادته البـــلادا

اذا ما قلت أقصر عن هـواه تمادى فى ضلالتـــه وزادا

وكان معاوية قد ولى روح بن زنباع عملاً فبلغه عنه خيانة فصرفه وأمره بالقدوم عليـه فأمر بضربه فلما أخذته السياط قال : نشدتك الله ياأمير المؤمنين أن تهدم مـــنى ركنًا أنت بنيته أو تضع منى خسيسة أنت رفعتها أو تشمت بى عدوًا أنت وقمته . وبالله الا أتى حلمك وعفوك على جهلى فعفا عنه معاوية . (٢)

وذكر صاحب الأغانى رواية ملخصها أن عسس المدينة قبض على الشاعر عبـــد الرحمن بن سيحان وهو ثـمل فأمر به والى المدينة الوليد بن عتبة فضربه ثمانين سوطاً فارتحل عبد الرحمن الى معاوية يشكو اليه فعل الوليد فغضب معاوية وكتب الى الوليد: بسم الله الرحمن الرحين من عبد الله معاوية أمير المؤ منين الى الوليد بن عتبة . أما بعـد فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه . مازدت على أن عرفت أهل المدينـــة ماكنت تشربه مما حرم عليك . فأذا جاءك كتابى هذا فأبطل الحد عن ابن سيحـــان وطف به فى حلق المسجد وأخبرهم أن صاحب شرطتك تعدى عليـــه وظلمه وأن أميـــر المؤمنين قد أبطل ذلك عنه . . وذكره ببعض الأبيات التى قالها هذا الشاعر فـــى

---

(١) انظر محمد كرد على الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠

(٢) انظر أبى القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى - أمالى الزجاجى - مـــرجـــع سابـــق ص ٧

الجاهلية يمجد فيها بنى أمية . (١)

وهذه القصة يبدو لى والله أعلم أنها موضوعة ومختلفة وذلك للأسباب الآتيـــة :-

١ - أنها ماوردت فى المصادر الأساسية التى تناولت هذه الفترةوورودها فى كتاب الأغانى يضفى عليها ظلالاً من الشك

٢ - أن معاوية صحابى جليل وأحد كتبة الوحى ولا يتصور أن يبطل حداً من حدود الله لمجرد أن شاعراًمن الشعراء كان حليفاً لقومه فى الجاهلية .

٣ - ان هذا العصر هو عصر الصحابة والتابعين ولو حدث ذلك حقاً ماقبلوه سواءاً حدث من معاوية أو من غيره .

ثانيـــاً : المحاسبة عن طريق السؤال :-

كان معاوية دائم السؤال عن أحوال الرعية وعن الولاة فكان لا يقدم عليه قـــادم أو يفد عليه وافد الا سأله عن أحوال الجهة التى أتى منها . من ذلك أنه قدم عليـــه قادم من العراق فسأله عن الأحوال فأخبره باستقرار الأوضاع واستتباب الأمن حتى أن أصحاب الابل يتركونها ترعى من غير راع فسر معاوية بذلك وكتب الى زياد . (٢)

وفى سنة ٥٩ هـ عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن ولاية البصرة بشهادة الأحنـــف ابن قيس فيه وسبب ذلك أن عبيد الله بن زياد قدم على معاوية فى وفد من وجوه البصرة وفيهم الأحنف بن قيس الذى كان سيء الرأى فى ابن زياد . فلما دخلوا على معاويـــة رحب بالأحنف وأجلسه معه على سريره فأحسن القوم الثناء على ابن زياد والأحنـــف ساكت فقال معاوية : مالك ياأبابحر لا تتكلم ؟ فقال : ان تكلمت خالفت القوم ففهـــم معاوية رأى الاحنف فى ابن زياد فقال للقوم : انهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا واليـــاً

---

(١) انظر ابى الفرج الاصبهانى - الاغانى - مرجع سابق ج ٢ ص ٧٨

(٢) انظر ابن قتيبة - عيون الاخبار - مرجع سابق ج ١ ص ٨ وابن حمدون - التذكـــرة الحمدونية - المرجع السابق ص ٤٠٦

ترضونه .[١] فالأحنف كان ثقة عند معاوية وبسؤاله اكتشف معاوية أن ابن زياد غير مرضى عنه فعزله عن الولاية .

ومن أمثلة سؤال معاوية للوفود عن ولاتهم ما ذكره الطبرى بسنده من أن ابن عامر عامل معاوية على البصرة كان قد أوفد وفداً الى معاوية فوافقوا عنده أهل الكوفة وفيهم ابن الكواء اليشكرى [٢] فسألهم معاوية عن العراق وعن أهل البصرة خاصة . فقال له ابن الكواء : ياأمير المؤمنين ان أهل البصرة أكلهم سفهاؤهم وضعف عنهم سلطانهم وعجز ابن عامر وضعفه . فقال معاوية : أتتكلم عن أهل البصرة وهم حضور ؟ فلما انصرف الوفد الى البصرة أبلغوا ابن عامر ذلك فغضب وسأل عن أشد أهل العراق عداوة لابن الكواء اليشكرى فقيل له : عبدالله بن شيخ اليشكرى فولاه خراسان نكاية وكيدا .[٣]

وربما لم يأخذ معاوية برأى ابن الكواء لعلمه بالعداوة التى بينه وبين ابن عامر ولكنه عزل ابن عامر بعد ذلك بعد أن فسدت البصرة بسبب ضعفه .[٤]

وسأل معاوية أهل البصرة على عهد ابن زياد عن ابن زياد فقالوا : انه لظريف ولكنه يلحن فقال : أوليس اللحن أظرف له .[٥]

---

(١) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٥ ص ٣١٦ وابن الأثير - الكامل فى التاريخ - سابق ج ٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٤

(٢) ابن الكواء اليشكرى هو عبدالله بن عمرو من يشكر كان نساباً عالماً كبيراً . لقب أبوه بالكواء لأنه كوى فى الجاهلية .
انظر ابن قتيبة - المعارف - مرجع سابق ص ٢٩٧

(٣) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٥ ص ٢١٣

(٤) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٢٩٨ - ٢٩٩

(٥) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٨ ص ٢٨٤

وكانت مساءلة معاوية للوفود فى بعض الأحيان تكون فى صالح الولاة كما حدث لوفد مصر. فقد عين معاوية أخاه عتبة بن أبى سفيان والياً على الصلاة فى مصر وجعل الخراج لغيره فخرج عتبة بن أبى سفيان الى معاوية فى نفر من أهل مصر فسأل معاوية الوفد عن عتبة فقال له أحدهم : "حوت بحر ياأمير المؤمنين على بر" فقال معاوية لعتبة : اسمع مايقول فيك رعيتك . فقال : صدقوا ياأمير المؤمنين حجبتنى عن الخراج ولهم على حقوق وأكره أن أجلس فأسأل فلا أفعل فابخّل فضم اليه معاوية خراج مصر.(١)

وتذكر بعض المصادر أن معاوية كان قد شاطر عمرو بن العاص وبعض العمال أموالهم وكان يقول : هذه سنة سنها عمر بن الخطاب .(٢)

وكان زياد والى العراق يهتم بمعرفة أحوال عماله كذلك ويحاسبهم على أخطائهم وكان اذا ولى العامل قال له :"خذ عهدك واعلم أنك مصروف رأس سنتك وأنك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك.انا ان وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وان وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك وان جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك أميناً قويًا زدناك فى عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك "(٣) .

وكانت معرفة زياد بأخبار الناس وأحوالهم دقيقة حتى بالغ الناس فى تصوير ذلك .(٤)

وكان زياد يجلس كل أيام الاسبوع عدا يوم الجمعة فيسأل رسل عماله عن بلادهم

---

(١) انظر ابن عبد الحكم - فتوح مصر واخبارها - مرجع سابق ص ٦٥
(٢) انظر اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مرجع سابق ج ٢ ص ٢٢٢
(٣) عيون الاخبار - مرجع سابق ج ١ ص ٥٥ والأمالى للقالى - مرجع سابق ج ٢ ص ٨٠ ، ٨١
(٤) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٤٩

وينظر فيما قدموا له ثم يسألهم عن الأرزاق والأسعار وغيرها .(١)

وكان يتحرى فى شكاوى الناس فقد حدث أن اشتكى اليه أهل العراق نقصان المكاييل فى أرزاقهم فدس أناساً بالخفاء يراقبون خدمهم الذين يتسلمون أرزاقهم فوجدوهم يتلاعبون بها ويشترون فى بعضها الطير وغيره فخطب الناس وبيّن لهم سبب نقصان المكاييل وطلب منهم أن يتعاهدوا خدمهم وأن يتولوا قبض حقوقهم بأنفسهم .(٢)

وبعد تولى يزيد بن معاوية سار على خطى والده فقد تظلم اليه رجل أخذ منه عبيد الله بن زياد أربعمائة ألف دينار وجعلها فى خزائن بيت المال فرحل الرجل الى دمشق فوجد يزيد خارج دمشق يصطاد فشكا اليه ظلامته فردها عليه وكتب الى عبيد الله بذلك (٣) .

وكان ابن الزبير قد كتب اليه يشكو اليه والى الحجاز قائلاً : انك بعثت الينا رجلاً أخرق لا يتجه لرشد ولا يرعوى لعظة حكيم فلو بعثت الينا رجلاً سهل الخلق رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منها وأن يجمع ما تفرق . فعزله .(٤)

وروى الطبرى أن عبد الرحمن بن زياد (٥) قدم على يزيد بن معاوية من خراسان فقال له يزيد : كم قدمت به معك من المال من خراسان ؟ قال : عشرين ألف ألف

---

(١) انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مرجع سابق ص ٢٥
(٢) انظر د . صالح فياض أبو دياك - السياسة المالية للدولة الأموية فى الشرق مجلة الباحث - السنة العاشرة العدد ١ ٥ أيلول ١٩٨٨م بيروت ص ٢٠
(٣) انظر ابن طباطبا - الفخرى فى الآداب السلطانية - مرجع سابق ص ٥٥
(٤) انظر النويرى - نهاية الأرب - مرجع سابق ج ٢٠ ص ٤٨٥ - ٤٨٦
(٥) هو عبد الرحمن بن زياد بن أبيه . يكنى أبا خالد - ولاه معاوية خراسان . انظر المعارف - مرجع سابق ص ١٩٦

درهم . قال : ان شئت حاسبناك وقبضناها منك وردناك الى عملك وان شئت سوغناك وعزلناك وتعطى عبدالله بن جعفر خمسمائة ألف درهم . قال : بل تسوغنى ما قلت ويستعمل عليها غيرى "(١)

ويبدو أن سبب عزله انما كان لضعفه وعجزه عن القيام بمهامه فقد قال عنه ابن الأثير : " كان كريماً حريصاً ضعيفاً لم يغزو غزوة واحدة وبقى بخراسان الى أن قتل الحسين فقدم على يزيد ومعه عشرون الف درهم . "(٢)

ويمكن لنا أن نستخلص مما استعرضناه سابقاً أن الولاة ماكانوا مطلقى الحرية يعملون مايشاءون وانما كانت عليهم رقابة ومحاسبة من الخلفاء وذلك بقصد تصحيح الأخطاء وتقويم الادارة .

---

(١) الطبرى مصدر سابق ج ٥ ص ٣١٦
(٢) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٣ ص ٣٦٣

المبحث الثانـــــــــى

المحاسبة من عهد مروان وحتى عهد سليمان

سار أبناء مروان بن الحكم على درب معاوية بن أبى سفيان فى تفقدهم لولاتهم ومحاسبتهم لهم على أخطائهم وانصاف المظلومين منهم . واكثر من فعل ذلك هو عبد الملك بن مروان حتى أن الحجاج بالرغم من نفوذه وسلطته كان يخشى محاسبة عبد الملك ويتجنب الوقوع فيما يغضبه .

وعلى الرغم من حذر الحجاج الا أن محاسبة عبد الملك له على أخطائه كانت مشهورة وتعرضت المصادر لذكر الكثير منها . من ذلك محاسبته له حين أساء الى أنس بن مالك فقد " قال الحجاج لأنس بن مالك حين دخل عليه فى شأن ابنه عبد الملك وكان قد خرج مع ابن الأشعث (١) : لا مرحبًا بك ولا أهلا . لعنة الله عليك من شيخ جوال فى الفتنة مرة مع أبى تراب ومرة مع ابن الأشعث والله لأقلعنك قلع الصفحة ولأعصينك عصب السلمة ولأجردنك تجريد الضب . قال أنس : من يعنى الأمير أعزه الله ؟ قال : اياك أعنى أصم الله صداك ." (٢)

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى . من نسل ملوك كنده . أمير من القادة الشجعان . سيره الحجاج لغزو بلاد الترك فحقق بعض الانتصارات . خلع طاعة الحجاج وعبد الملك ودخل معهما فى معارك كانت نتيجتها سيطرته على سجستان وكرمان والبصرة وفارس والكوفة . التقى بجيوش الحجاج فى معركة دير الجماجم والتى انهزم فيها وتفرقت جيوشه فالتجأ الى ملك الترك رتبيل الذى سلمه الى الحجاج وكان مقتله فى سنة ٨٥هـ .

انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٦ ص ٣٣٤ ومابعدها وابن الأثير الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٤ ص ٤٦٧ ومابعدها .

(٢) الجاحظ - البيان والتبيين - مرجع سابق ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٨٦

فكتب أنس بن مالك الى عبد الملك كتاباً جاء فيه : " لو أن رجلاً خدم عيسى ابن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصارى أو تعرف مكانه لها جرت اليه ملوكهم ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ولعرفوا له ذلك ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا . وانى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ورأيته وأكلت معه ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه وان الحجاج قد أضربى وفعل وفعل ».(١)

فلما قرأ عبد الملك الكتاب بكى وبعث برسالتين ، رسالة الى أنس بن مالك وقد جاء فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الملك بن مروان الى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما بعد . قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكايتك الحجاج ، وما سلطته عليك ولا أمرته بالاساءة اليك فأن عاد لمثلها اكتب الى بذلك أنزل به عقوبتى وتحسن لك معونتى والسلام ».(٢)

ورسالة الى الحجاج وبخه فيها وذكره بوضاعة أصله وقد جاء فيها : " . . . أبلغ من جرأتك على أمير المؤمنين أن تعنت بأنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين يطلعه على سره ويفشى اليه الأخبار التى كانت تأتيه من ربه ؟ فأذا أتاك كتابى هذا فامشى اليه على قدميك حتى تأخذ كتابه الىّ بالرضا والسلام". فلما وصل كتاب عبد الملك الى الحجاج قال لمن حوله من أصحابه : قوموا بنا الى أبى حمزة فقام ماشياً .(٣)

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٩ ص ٦٥
(٢) المرجع السابق ج ٩ ص ١٣٣ - ١٣٤
(٣) انظر أبى حنيفة الدينورى - الأخبار الطوال - مصدر سابق ص ٣٢٣ - ٣٢٤

وكتب الحجاج رسالة طويلة الى عبد الملك يعتذر فيها عن تصرفه ويعترف بخطئه.(١)

وبلغ عبد الملك سرف الحجاج فى قتل أسرى دير الجماجم وانفاقه الأموال فكتب اليه كتاباً جاء فيه : "أما بعد ياحجاج فقد بلغنى عنك سرف فى القتل وتبذير فى الأموال وهاتان خلتان لا أحتمل عليهما أحداً من الناس وقد حكمت عليك فى الخطأ الدية وفى العمد القود وفى الأموال أن تردها الى مواضعها فأنها أموال الله ونحن أمناؤه عليها وسواء عندى ياحجاج عطاء فى باطل أو منع من حق والسلام "(٢)

وقد دافع الحجاج عن نفسه بكتاب جاء فيه : "أما بعد فقد جاءنى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى فى القتل وتبذيرى فى الأموال ولعمرى مابلغت حقوق أهل الطاعة ولا عقوبة أهل المعصية فأن كان قتلى العصاة سرفاً واعطائى المطيعين تبذيراً فليجعل أمير المؤمنين فى ذلك حداً لا أعدوه الى غيره ، وبعد ياأمير المؤمنين فأنى ماقتلت الا فيك ولا أعطيت الا لك وماقتلت عمداً فأقاديه ولا خطأ فآتى فيه الدية والسلام ".(٣)

وجاء فى البداية والنهاية أن الحجاج لما قتل ابن الأشعث وصفت له العراق وسع للناس فى العطاء فكتب اليه عبد الملك : "أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق فى اليوم مالا ينفقه أمير المؤمنين فى الشهر ثم قال منشدا :(٤)

---

(١) انظر القلقشندى - مآثر الانافة - مرجع سابق ج ٣ ص ٢٨٠ - ٢٨٢
(٢) ابن أعثم - الفتوح - مرجع سابق ج ١ ص ١٦٤
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٥ والمسعودى - مروج الذهب - مرجع سابق ج ٣ ص ١٤١
(٤) ابن كثير - البداية والنهاية ج ٩ ص ١٢٦ - ١٢٧

عليك بتقوى الله فى الأمر كلـــه وكن ياعبيد الله تخشى وتضرع

ووفرخراج المسلمين وفيأهـــم وكن لهم حصناً يجير ويمنـــع

وبلغ من عبد الملك الغضـــب عـلى الحجاج فى لحظة من اللحظات فأرسل اليه رسالة طويلة يذكر له فيها مخالفاته وتجاوزاته ويعزله فيها ولكن الحجاج رد عليها برسالة مثلها دافع فيها عن نفسه فعفا عنه عبد الملك ورده الى عمله . (١)

وبلغ عبد الملك أن عاملاً من عماله قبل الهدايا فأشخصه اليه فلما دخل عليه قـال: أقبلت هدية منذ وليت ؟ قال : ياأمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتـك على أفضل حال . قال : أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : نعـم قال : ان كنت قبلت ولم تعوض أنك لئيم . ولئن كنت أنلت مهديها من غير سـالـك أو استكفيته مالم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائز . وماأتيت أمر لا تخلو فيه مـن دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع وأمر يصرفه عن عمله . (٢)

وكان عبد الملك قد ولى هشام بن اسماعيل المخزومى على المدينة فضرب سعيد ابن المسيب ستين سوطاً ظلماً وعدواناً وطاف به فكتب اليه عبد الملك يحاسبه على ذلك. (٣)

وكان الحجاج يقتدى بعبد الملك فكان بدوره يحاسب عماله ويعاقبهم فقد استدعى يزيد بن المهلب وطالبه بأموال خراسان وأخرج عليه أشياء لم يكن يزيد يعرفها حـتى طالبه الحجاج بأموال عظيمة فأنكر يزيد ذلك فعذبه الحجاج واسترد منه بعض الأموال. (٤)

---

(١) انظر ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ـ مرجع سابق ج ٥ ص ٢١ - ٢٢
(٢) انظر المسعودى ـ مروج الذهب ـ مرجع سابق ج ٣ ص ١٤١ - ١٤٢
(٣) انظر اليعقوبى ـ تاريخ اليعقوبى ـ مرجع سابق ج ٢ ص ٢٨٠
(٤) انظر عبد ربه ـ العقد الفريد ـ مرجع سابق ج ٥ ص ٢١ - ٢٩
(٥) انظر ابن أعثم ـ الفتوح ـ مرجع سابق ج ٧ ص ٢٠٨ - ٢٠٩

وعندما وفدت ليلى الأخيلية [١] على الحجاج أكرمها وسألها عن حاجتها فقالت: أصلح الله الأمير ، أضربنا العريف فى الصدقة وقد خربت بلادنا وانكسرت قلوبنا فأخذ خيار المال قال :: اكتبوا لها الى الحكم بن أيوب فليبتنع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً واكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذى شكته [٢] .

كما كتب الحجاج الى المهلب بن أبى صفرة يحاسبه على ابطائه فى حرب الخوارج جاء فى كتاب الحجاج : "أما بعد فقد بلغنى أنك قد أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو وانى وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعى وعباد بن حصين الحيطى واخترتك وأنت رجل من الأزد وأنا أقسم ان لم تلقهم فى يوم كذا وكذا أشرعت اليك صدر الرمح ؛ فرد عليه المهلب رداً قاسياً فكتب اليه الحجاج ثانية." أما بعد فقد جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصراً وأكثر عدداً وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبناً ولكنك اتخذتهم أكلاً ولبقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا أنكرتنى والسلام" [٣] .

وكان الحجاج دائم السؤال عن عماله فقد سأل بريداً ورد عليه من قبل المهلب أيام حربه مع الخوارج عن المهلب والجند الذين معه . [٤]

كما سأل بريداً ورد عليه من مصر عن بشر بن عبد الملك . [٥]

---

(١) ليلى الأخيلية هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال الأخيلية من بنى عامر. شاعرة فصيحة ذكية وفدت على عبد الملك والحجاج . ماتت وهى فى طريقها الى الرى سنة ٨٠ هـ.
انظر أبى الفرج الاصفهانى - الأغانى - مرجع سابق ج ١١ ص ٢٠٤

(٢) انظر محمد الخضرى بك - مهذب الأغانى - مطبعة مصر ج ٤ ص ٢٤١

(٣) النويرى - نهاية الأرب - مرجع سابق ج ٧ ص ٢٤٧

(٤) انظر القلعى - تهذيب الرياسة ص ٢٤١

(٥) انظر الطرطوشى - سراج الملوك - مرجع سابق ص ١٢١

وسار الوليد بن عبد الملك على نفس الخطى السابقة فعندما عين عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة أمره بأن يوقف الوالى السابق هشام بن اسماعيل للناس عند دار مروان لأنه أساء الى أهل المدينة المنورة فى مدة ولايته عليهم . (١)

وكان سليمان بن عبد الملك يقيد من عماله فقد كتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسرى على العراق فى رجل قرشى استجار به بعد أن هرب من خالد ألا يعرض له فأتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال : هذه نقمة أراد الله أن ينتقم بها منك لتركى قراءة الكتاب ولوكنت قرأته لأنفذت مافيه . فخرج القرشى راجعاً فلما بلغ سليمان ذلك وجه الى خالد من ضربه مائة سوط . (٢)

ومن مظاهر حرص سليمان على رد المظالم التى تحدث للرعية أن رجلاً دخل عليه فقال : ياأمير المؤمنين أنشدك الله والآذان فقال سليمان : أما نشدك الله فقد عرفناه فما الآذان فقال الرجل : قوله تعالى " فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين " (٣) فقال له:ماظلامتك ؟ قال : ضيعتى فلانة علبنى عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الأرض وقال : والله لا رفعته حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الأرض . (٤)

---

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية ج ٩ ص ٧١
(٢) انظر المسعودى - مروج الذهب - مرجع سابق ج ٣ ص ٢٢٠
(٣) الأعراف آية ٤٤
(٤) انظر الأبشيهى - المستطرف من كل فن مستطرف - مرجع سابق ج ٣ ص ١٩٠ والبيهقى - المحاسن والمساوئ - مرجع سابق ص ٤٩٢

المبحث الثـــالـــث

المحاسبة من عهد عمر بن عبد العزيز وحتى نهاية الدولة الامويـــة

اهتم عمر بن عبد العزيز بمحاسبة نفسه وعماله اهتماماً عظيماً حتى أنه كان يـــرى أن كل مظلمة تقع فى أقصى البلاد اذا هو لم يردها ويكشف ظلامة صاحبها فكأنـــه هو الذى فعلها أو على الاقل مسئول عن حدوثها ولذلك كان لا يفتأ يبحث عن سيرة عماله ورضا الناس عنهم واذا عزلهم لا يستعين بهم ثانية . (١)

فقد" فتح عمر بن عبد العزيز الطريق واسعاً أمام الناس للوصول الى أعلى سلطـــة فى الدولة لعرض مشكلاتهم وظلاماتهم من أجل السعى لحلها . ووضع كافة موظفيـــه تحت رقابة مركزية دائمة لكى لا يشذوا أو ينحرف بهم الطريق . وأكد عليهم مراراً أن الادارة الناجحه هى تلك التى تعرف كيف تربط الفكر بالعمل وتحيل النظريات الـــى وقائع " (٢) .

وكانت وسائل عمر فى الرقابة هى السؤال عن الولاة وتقبل الشكاوى. فمن أمثلـــة سؤاله لمعرفة أحوال ولاته أن وافداً وفد عليه فقال له عمر : كيف تركت الناس ؟ قال: تركتهم غنيهم موفور وفقيرهم محبـــور وظالمهم مقهور ومظلومهم منصور . فقال عمر: الحمد لله لو لم تتم واحدة من هذه الخصال الا بعضو من أعضائى لكان يسيرا . (٣)

---

(١) انظر محمد كرد على ـ الاسلام والحضارة العربية ـ مرجع سابق ج ٢ ص ١٨٠/١٨١ ود . محمد الطيب النجار ـ الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعـــاول الفناء ـ دار العلوم للطباعة ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٧م ص ٥٠٠

(٢) د . عماد الدين خليل ـ مجلة البحث العلمى ـ جامعة ام القرى مرجع سابق ج ٤ ص

(٣) انـــظر كتاب الأمالى للقالى ـ مرجع سابق ج ٢ ص ٣٧ .

وعندما أراد عمر استدعاء حاكم خراسان ليقدم تقريراً عن سير ادارته قال للناس : أبغونى رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان . فقيل له : عليك بأبى مجلز[1] فكتب للوالى أن أقبل واحمل معك أبامجلز .[2] وذلك لأن عمر رضى الله عنه كان لا يكتفى بتقارير الولاة فقط، بل كان يسأل أهل الصدق فى مناطقهم حتى يطمئن الى سلامة الأداء .

وكان عمر فى سؤاله يسأل عن أدق الأشياء فقد قدم عليه بعض أهل المدينة فجعل عمر يسأله عن أهل المدينة وأحوالهم حتى قال : مافعل المساكين الذين كانوا يجلسون فى مكان كذا وكذا[3]

أما عن استماعه للشكوى ضد الولاة والحكام فقد فتح عمر بابه وداره وقلبه للناس يرد مظالمهم وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل عند الحديث عن المظالم فى الفصل الخاص بأجهزة الرقابة . ويكفى أن نشير هنا الى أن رجلاً شكا الى عمر عماله وذلك حين قال :[4]

ان الذين أمرتهم أن يعدلوا ... نبذوا كتابك واستحل المحرم
وأردت أن يلى الأمانة منهم ... يرو هيهات الأمر المسلم
طلس الثياب على منابر أرضنا ... كل ينقص نصيبنا يتكلم

وكان عمر يضيف الى وسيلتى السؤال واستقبال الشكاوى السابقتين وسيلة ثالثة هى الجولات التفتيشية التى كان يقوم بها وهو متخف مع مولاه يجوس خلال القرى

---

(١) أبو مجلز هو لاحق بن حميد بن سدوس بن شيبان . نزل خراسان - قيل أنه كان عاملاً على بيت المال وعلى ضرب السكة - توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز .
انظر ابن قتيبة - المعارف - مرجع سابق ص ٢٦٤
(٢) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٦ ص ٥٥٩ - ٥٦٠
(٣) انظر ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٦٢
(٤) الكامل للمبرد - مصدر سابق ج ١ ص ٤٠٤

والمناطق يتفقد الأحوال والعمال . (١)

وقد جعل عمر رضى الله عنه من نفسه قدوة لعماله على أنه لم يلزمهم بما ألزم به نفسه . فقد منع نفسه عن الفئ فلم يرزق منه شيئاً فدخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين انى أريد أن أكلمك بشيء . قال : قل . قال : قد بلغنى أنك ترزق العامل من عمالك ثلاث مائة دينار . قال : نعم قال : ولم ذلك ؟ قال : أردت أن أعفهم عن الخيانة . قال : فأنت يا أمير المؤمنين أولى بذلك. فأخرج عمر ذراعه وقال : هذا نبت من الفيء ولست معيداً اليه منه شيئاً أبدا . (٢)

وروى ابن الجوزى أن عمر بن عبد العزيز قال : ودت أن عندى عسلاً من عسل ستير (٣) أو لبنان . فسمعت فاطمة بنت عبد الملك ذلك فحملت بعض غلمانها أو بعض مواليها الى ابن معد يكرب وهو عامل ذلك المكان وأخبرته أن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل ستير أو لبنان ، فأرسل اليه بعسل كثير فلما انتهى بالعسل اليها أرسلت به الى عمر وقالت : هذا الذى تشهيت . فقال : كأنى بك يا فاطمة قد بعثت بعض مواليك الى ابن معد يكرب ثم أمر بذلك العسل فأخرج الى السوق فبيع وادخل ثمنه بيت مال المسلمين وكتب الى عامله معاتباً له على تصرفه . (٤)

وكان رضى الله عنه حريصاً على عدم قبول الهدايا ، يضرب المثل بذلك حتى يقتدى به العمال . فقد روى أن رجلا أتاه بتفاحات فأبى أن يقبلها فقيل له : قد كان رسول

---

(١) انظر د . عماد الدين خليل - ملامح الانقلاب الاسلامى - مرجع سابق ص ٦٤
(٢) انظر ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٤٤ - ٤٥
(٣) ستير بفتح أوله وكسر ثانيه جبل بين حمص وبعلبك - انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان - مرجع سابق ج ٣ ص ٢٦٩
(٤) انظر ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٣٤

الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية . فقال : هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية وهو لنا رشوة ولا حاجة لنا به "(١)

وكان رضوان الله عليه اذا بلغه عن عامل له تقصير وخيانة وبخه ولامه فأن تمادى عزله (٢) وسنرى ذلك من خلال استعراض بعض النماذج .

أولاً : التوبيخ :

كان التوبيخ هو أكثر عقوباته لأن الولاة يعرفون أن عمر لا يجاملهم فى الحق وبالتالى يعملون على اصلاح أخطائهم بمجرد تنبيههم عليها .

فمن أمثلة ذلك توبيخه لعدى بن أرطأة الذى كتب اليه عمر يقول : "غرنى منك مجالستك القراء وعمامتك السوداء فلما بلوناك وجدناك على خلاف ما أملناك . قاتلكم الله أما تمشون بين القبور" . (٣)

وكتب الى أحد عماله : " قد كثر شاكوك وقل شاكروك فأما عدلت واما اعتزلت والسلام" . (٤)

ومنها توبيخه لعامله الذى بعث اليه بالعسل فقد كتب اليه : " . . . ان فاطمة بعثت اليك تخبرك أنى اشتهيت عسلاً من عسل ستير أو لبنان فبعثت اليها وأيم الله لئن عدت الى مثلها لا تعمل لى عملاً أبداً ولا أنظر الى وجهك "(٥)

---

(١) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٣٨
(٢) انظر عبد العزيز سيد الأهل - الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة التاسعة ١٩٧٥م ص ١٧٠
(٣) ابن قيتبة - عيون الأخبار - مصدر سابق ج ١ ص ٥٧
(٤) المسعودى - مروج الذهب - مصدر سابق ج ٣ ص ١٩٦
(٥) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مصدر سابق ص ١٣٤

وكتب اليه عاملان من عمال العراق يذكران أن الناس لا يصلحهم الا السيف فكتب اليهما عمر موبخاً وزاجراً :"خبيثين من الخبث ورديئين من الردىء ، تعرضان لى بدماء المسلمين ؟ ما أحد من الناس الا ودماؤكما أهون على من دمه ". (١)

كما زجر كذلك عامله على البصرة عدى بن أرطأة لأنه عرض عليه تعذيب بعض العمال الذين ظهرت خيانتهم (٢)

ومنها زجره وتوبيخه لعامل من عماله حين كتب اليه يقول : انك أضررت بيت المال فكتب اليه عمر : " أعط مافيه فاذا لم يبق فيه شىء فأملأه زبلاً ". (٣)

ومنها توبيخه لعامل المدينة أبى بكر بن محمد بن حزم الذى كتب اليه عمر كتابا جاء فيه : " أما بعد قرأت كتابك الى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذا وكذا يستضيئون به فى مخرجهم فابتليت بجوابك فيه ولعمرى لقد عهدتك يا ابن أم حزم وأنت تخرج من بيتك فى الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح ، ولعمرى أنت يومئذ خير منك اليوم . ولقد كان فى قتائل أهلك مايغنيك والسلام " (٤) .

ومنها معاتبته لوهب بن منبه الذى كان على بيت المال باليمن لفقده دينارا واحداً فقد كتب اليه عمر : " انى لا أتهم دينك ولا أمانتك ولكنى أتهم تضييعك

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤
(٢) انظر ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٦١
(٣) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٦٩
(٤) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٦٠

وتفريطك وأنا حجيج المسلمين فى أموالهم ". (١)

ومن ذلك محاسبته لعامله على مكة عروة بن عياض بن عدى وعزله له بسبب ظلمه لأحد افراد الرعية كما سبق وأن ذكر فى فصل الاختيار . (٢)

وكان رضى الله عنه قد كتب الى عامله على المدينة أن يقسم فى ولد على بن أبى طالب عشرة آلاف دينار فكتب اليه العامل بأن أولاد على موزعون على قبائل شتى ففى أيهم يكون العطاء ؟ فكتب اليه عمر لائماً وموبخاً : " لوكتبت اليك فى شاة تذبحها لكتبت الىّ سوداء أم بيضاء ؟ اذا أتاك كتابى هذا فأقسم فى ولد على من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فلطالما تخطتهم حقوقهم " (٣)

وهذا من فقه عمر فى مجال الادارة اذ أن المراجعات والاستفسارات غير الضرورية كثيراً ماتضيع الحقوق وتعطل أعمال الجهاز الادارى وتميت روح المبادرة والابتكار فى نفوس العاملين . ولذا نجد أن عمر كان شديداً على واليه على اليمن حين راجعه فى رد المظالم فقد كتب اليه عمر : " أما بعد فأنى كتبت اليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم وتراجعنى وأنت تعرف بعد المسافة مابينى وبينك ولا تعرف أخذات الموت حتى ولو كتبت اليك أردد على مسلم مظلمة لكتبت الى أردها عفراء أم سوداء انظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعنى ". (٤)

---

(١) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٦٩
(٢) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مصدر سابق ص ١١٨ - ١١٩
(٣) انظر المسعودى - مروج الذهب - مصدر سابق ج ٣ ص ١٩٤
(٤) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مصدر سابق ص ٧٩

وحاسب عمر رضى الله عنه حيان بن شريح الذى كان الخليفة قد كتب اليه أن يضع الجزيه عمن أسلم من أهل الذمة لأن الله سبحانه وتعالى قد قال : " فأن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم "(١) وقال : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون "(٢) . فكتب حيان الى أمير المؤمنين يخبره بأن اسلام هؤلاء قد أضر بالجزية حتى أنه قد استدان عشرين ألف دينار ليتم بها عطاء أهل الديوان فكتب اليه الخليفة رسالة شديدة جاء فيها : " أما بعد فقد بلغنى كتابك وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك وقد أمرت رسولى بضربك على رأسك عشرين سوطاً فضع الجزية عمن أسلم ، قبح الله رأيك فأن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جابياً ولعمرى لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه ".(٣)

وكان عدى بن أرطأة قد كتب اليه أيضاً : ان الناس قد كثروا فى الاسلام وأنه خاف أن يقل الخراج فكتب اليه عمر : " فهمت كتابك والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا "(٤) .

كما حاسب عامله على الكوفة لتعديه فقد ذكر ابن الجوزى أن رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز وعنده أمير الكوفة فأذا هو متغيظ عليه فقال ذلك الرجل لعمر : ماله

---

(١) التوبة الاية ٥
(٢) التوبة الاية ٢٩
(٣) المقريزى - الخطط - مرجع سابق ج ١ ص ١٤٣
(٤) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٨١

قال عمر : بلغني أنه قال : لا أجد شاهد زور الا قطعت لسانه . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين : انه لم يكن يفاعل فقال عمر : ان منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء . (١)

ثانياً : العزل :-

عزل عمر رضي الله عنه بعض ولاته بسبب سوء تصرفهم وتعديهم أو بسبب شكاية بلغته عنهم وتبين صدقها .

فقد عزل في سنة ١٠٢هـ عامل خراسان بسبب شكاية أهلها له وعين بدلاً عنه والياً آخر . (٢)

كما عزل عاملاً له بسبب شكاية أحد القراء ، فقد ذكر البيهقي أن نفراً من القراء دخلوا على عمر فقال أحدهم : يا أمير المؤمنين أذكر مقامي هذا فانه مقام لا يشغل الله عز وجل عنه كثرة من تخاصم اليه من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنوب . فقال عمر : ويلك أرد كلامك . فرده عليه فجعله يبكي وينتحب حتى اذا أفاق قال ما حاجتك قال : عاملك على أذربيجان ظلمني وأخذ من مالي عشرة آلاف درهم فكتب عمر يرد ذلك المال ويعزل عامل أذربيجان ثم قال : انظروا هل اخلولق له من ثوب أو تقطع له من حذاء ؟ فحسب ذلك فبلغ عشرين ديناراً فأمر بدفعها اليه (٣)

وكتب عمر بعزل يزيد بن أبي مسلم عن أفريقية لانه كان عامل سوء متكبراً وجائراً في سيرته ومخالفاً للحق . (٤)

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٨٥
(٢) انظر الطبري مصدر سابق ج ٦ ص ٦١٩
(٣) انظر البيهقي - المحاسن والمساوئ مصدر سابق ص ٤٩٣
(٤) انظر ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز مصدر سابق ص ٣٧

وفى سنة ١٠٠ عزل عمر يزيد بن المهلب عن خراسان وأحضره وطالبه بالمال الذى كان قد أخذه وسجنه بحصن حلب واستعمل بدلاً منه على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى .(١)

وكتب بعزل اسامة بن زيد عن خراج مصر وأمر به أن يحبس فى كل بلد سنة وأن يقيد على أن يحل عنه القيد عند كل صلاة ثم يرد فيه. ذلك لأنه كان ظلوماً غاشماً متعدياً فى العقوبات. وهذا الرجل ليس هو أسامة بن زيد الصحابى .(٢)

ومنها عزله بعد توليه الخلافة لخالد بن الريان بسبب تيهه وتكبره .(٣)

وهكذا فأن عمر رضى الله عنه كان يبصر عماله وموظفيه بحدود وظائفهم ومسئولياتهم فأذا ارتكب الموظف الخطأ عن جهل أو غير قصد نبهه عمر واذا وقع الخطأ عن عمد وسوء نية فأن كان الخطأ بسيطاً أغلظ للعامل فى التوبيخ والوعيد وان كان الخطأ كبيراً لا ينفع معه التبويخ فقط أو تكرر حدوثه من العامل لجأ عمر الى عقوبة العزل واذا عزل عمر العامل فأنه لا يستعين به ثانية كما سبقت الاشارة .(٤)

الا أن محاسبة الخلفاء لولاتهم وعمالهم قد ضعفت بعد عمر بن عبد العزيز وترتب عليها ضعف محاسبة الولاة والعمال لمن دونهم ، الأمر الذى أدى الى تدهور الادارة وتدنيها .

---

(١) انظر النويرى - نهاية الأرب - مرجع سابق ج ٢١ ص ٣٦٣
(٢) انظر ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ٣٧
(٣) انظر المرجع السابق ص ٣٠
(٤) انظر محمد كرد على - الاسلام والحضارة العربية - مرجع سابق ج ٢ ص ١٨٠

فمن محاسبة يزيد بن عبد الملك لعماله محاسبته لعامله على المدينة عبد الرحمن ابن الضحاك الذى أراد الزواج من فاطمة بنت الحسين بن على فلما رفضته هددها فشكته الى يزيد الذى قال : لقد اجترأ ابن الضحاك . هل من رجل يسمعنى صوته فى العذاب وأنا على فراشى ؟ فقيل له : عبد الواحد بن عبد الله النضرى . فدعا بقرطاس وكتب بيده الى عبد الواحد : قد وليتك المدينة فاهبط اليها واعزل عنها ابن الضحاك وغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشى (١) .

وكان هشام أكثر خلفاء بنى أمية المتأخرين محاسبة لعماله فقد عزل فى سنة ١١١هـ أشرس بن عبد الله السلمى عن خراسان لضعفه عن ادارة الاقليم وبسبب شكاية أهل الأقليم له . (٢)

وذكر اليعقوبى أن هشاماً أنكر على خالد بن عبد الله القسرى أموراً بلغته عنها منها أنه فرق أموالا عظيمة مبلغها ستة وثلاثون ألف ألف فاستعظمها . ومنها أن خالداً قد قال : مازادت أمية فى شرف قسر هكذا وجمع بين أصبعيه فكتب اليه هشام " أما بعد فقد بلغنى مقالتك وانما أنت من بجيلة الحقيرة وستعلم يا ابن النصرانية أن الذى رفعك سيضعك " . (٣)

وكان هشام قد أقر عبد الرحمن بن خالد بن مسافر على امرة مصر بعد موت واليها الوليد بن رفاعة وكان فى عبد الرحمن هذا لين وضعف فشكاه أهل مصر الى هشام

---

(١) انظر الطبرى - مرجع سابق ج ٧ ص ١٢ -١٣ وابن الأثير - الكامل فى التاريخ مصدر سابق ج ٥ ص ١١٣ والأزدى - تاريخ الموصل - مرجع سابق ص ١٧

(٢) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٥ ص ٢٠٦ وابن تغرى بردى النجوم الزاهرة - مرجع سابق ج ١ ص ٢٧٠

(٣) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - مصدر سابق ج ٢ ص ٣٢٢

فعزله عنهم . (١)

وذكر ابن الأثير أن هشاماً عزل فى سنة ١٠٩هـ خالد بن عبدالله القسرى وأخاه أسداً عن الامارة وسبب ذلك أن أسداً كان قد أفسد فى الارض وضرب عدداً من الرجال فلما علم هشام بذلك كتب الى خالد ليعزل أخاه فعزله ثم عزل هشام خالداً وولى مكانه أشرس بن عبدالله السلمى . (٢)

أما بقية خلفاء بنى أمية فقد أهملوا محاسبة موظفيهم التى هى أساس عملية الرقابة فانفرط الحبل وضاعت الدولة . فقد سئل أحد بنى أمية عن سبب زوال ملكهم فقال : " قلة التيقظ وشغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فآثروا مواقفهم علينا وظلم عمالنا رعيتنا ففسدت نياتهم لنا وحمل على أهل خراجنا فقل دخلنا وبطل عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعداؤنا فأعانوهم علينا وقصدنا بغاتنا فعجزنا عن دفعهم لقلة نصارنا ، وكان أول زوال ملكنا استتار الأخبار عنا فزال ملكنا عنا بنا " (٣) .

وذكر أنه لما أحيط بمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية قال : يالهفاه على دولة مانصرت وكف ماظفرت ونعمة ماشكرت فقال له خادمه وكان من أولاد أشراف الروم : من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفى حتى يظهر أصابه مثل هذا . (٤)

---

(١) انظر ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة - مرجع سابق ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٨٠ .
(٢) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٥ ص ١٥٦
(٣) البيهقى - المحاسن والمساوىء - مرجع سابق ص ١٥٥ وانظر المسعودى - مروج الذهب - مرجع سابق ج ٣ ص ٢٧٥
(٤) انظر عبدالقادر الطبرى - نشأة السلافة - مرجع سابق ورقة ٧٧ .

وكان بعض العلماء قد سئل ماالذى أذهب ملك بنى أمية ؟ فقال : " تحاسد الأكفاء وانقطاع الأخبار . فقد كان العباسيون يؤسسون لدولتهم ولا تصل أخبارهم الى سلطان بنى مروان حتى عظم أمرهم وضعف أمر أولئك . فالغفلة عن أمور المملكة من المهلكة والاعتماد على العمال هو سبب الزوال . فينبغى للملك أن يكون متيقظاً مباشراً لأمور الملك فقد قال الحكماء : من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة - ناظراً فى أحوال الرعايا ظاهراً لهم غير محتجب ليصل اليه القوى والضعيف ويرفع اليه كل قصة وقضية فيتأملها لنفسه الخالية من الأغراض والأهواء ولا يعتمد على من يقرأها له ويعرفه بمضمونها وربما كان له هوى مع صاحبها ينفع أو ضر فيوحى الى الملك بخلاف ما فى القصة غشاً منه فيصدر الملك على ما أوحاه اليه فيؤدى ذلك الى الضرر والاضرار " (١)

وهكذا فعندما اعتنى خلفاء بنى أمية بالمحاسبة والمراقبة ازدهرت ادارتهم وعمرت دولتهم فلما أهملوا ذلك ضعفت الادارة وسقطت الدولة .

---

(١) المصدر السابق ورقة ٧٧ - ٧٨

الفصل الرابع

أجهزة الرقابة

ويشتمل علي المباحث الآتية :

١- المبحث الأول : الحسبة ودورها الرقـــابي

٢- المبحث الثاني : قضاء المظالم ودوَره فى الرقـابة

٣- المبحث الثـالث : ديوان البريد ودوره فى الرقـابـــــة

الفصل الرابـــــــع

أجهزة الرقابة فى الدولة الأمويـة

نشأت فى الدولة الأموية مجموعة من الأجهزة كانت تساهم فى عملية الرقابة بصـورة وأخرى، من هذه الأجهزة : -

أ - الحسبة .

ب - قضاء المظالم .

جـ - ديوان البريد .

وسنتحدث فى هذا الفصل عن هذه الأجهزة ودورها الرقابى وذلك من خـلال المباحث الاتية :-

١ - المبحث الأول : الحسبة ودورها الرقابى .

٢ - المبحث الثانى : قضاء المظالم ودوره فى الرقابة .

٣ - المبحث الثالث: ديوان البريد ودوره فى الرقابة .

المبحـــث الأول

الحسبة ودورها الرقابـى

الحسبة فى اللغة تعنى الأجر والاسم منها الاحتساب وفى الحديث " من صـام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه " يعنى من صام طلباً للأجر. (١)

وتعنى بالاضافة الى المعنى السابق معانى الانكار والاختيار وحسن التدبيـر. (٢)

---

(١) انظر ابن حجر - فتح البارى - مرجع سابق ج ٤ ص ١٥

(٢) انظر سعد بن عبدالله العريفى - الحسبة والنيابة العامة - دراسة مقارنة - دار الرشد - الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ - ص ١٣ - ١٥

أما فى الاصطلاح فقد عرفها الماوردى بأنها أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله . (١)

واضاف الشيزرى وابن الأخوة الى التعريف السابق مهمة الاصلاح بين الناس. (٢)

كما عرفها ابن تيمية بأنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مماليس من اختصاص الولاة والقضاة والديوان ونحوهم . (٣)

فالحسبة اذن ولاية تقوم على تنفيذ واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويقوم على رأس الجهاز الادارى لهذه الولاية المحتسب الذى تناولت كتب الأحكام السلطانية صفاته وشروطه وحدود وظيفته . (٤)

والأصل الشرعى لهذه الولاية تضمنته آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه التى دعت الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما تضمنته كذلك مباشرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين للاحتساب . اضافة الى اجماع الأمة على ذلك.

فمن آيات القرآن الكريم التى تناولت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قول الله سبحانه وتعالى يصف نبيه صلى الله عليه وسلم : " يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر". (٥)

---

(١) انظر الماوردى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٢٤٠

(٢) انظر عبد الرحمن بن نصر الشيزرى - نهاية الرتبة فى طلب الحسبة - تحقيق ومراجعة الدكتور السيد الباز العرينى - دار الثقافة بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٩٨١ ص ٦ ومحمد بن محمد القرشى المعروف بابن الأخوة - معالم القربة فى أحكام الحسبة - عنى بنقله روبن ليوى - مطبعة دار الفنون بكمبيرج ١٩٣٧م ص ٧

(٣) انظر ابن تيمية - الحسبة - مرجع سابق ص ٥

(٤) انظر الماوردى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٢٤٠-٢٤١ وأبى يعلى - الأحكام السلطانية مرجع سابق ص ٢٨٥

(٥) الأعراف الاية ١٥٧ .

ومنها قوله فى شأن هذه الأمة : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " . (١)

وقوله كذلك : " الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر " . (٢)

ومنها قوله تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه : " يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور " (٣)

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تناولت هذا الموضوع .

أما الاحاديث النبوية التى تحدثت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهى أكثر من أن تحصى نذكر منها :-

حديث عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فأنه لا يحل لك . ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده . فلما فعلوا ذلك ضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ثم قال : " لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داؤد وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (٤) ثم قال : " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا وتقصرنه على الحق قصرا " (٥)

---

(١) آل عمران الاية ١١٠
(٢) الحج الاية ٤١
(٣) لقمان الاية ١٧
(٤) المائدة الاية ٧٨
(٥) ابن ماجة - سنن ابن ماجة ج ٩ ص ١٣٢٧ - ١٣٢٨

وعن حذيفة أنه قال : " ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم " (١) .

ومنها حديث عدى بن عميرة قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فأذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة " . (٢)

أما مباشرته صلى الله عليه وسلم لأمر الاحتساب بنفسه فيظهر من احتسابه فى السوق على صاحب الطعام الذى أصابته السماء وذلك حيث مر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : ماهذا ياصاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يارسول الله قال : أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ثم قال : " من غشنا فليس منا " (٣)

كما أوكل صلى الله عليه وسلم أمر الاحتساب الى بعض أصحابه ومن ذلك أنه استعمل سعيد بن العاص على سوق مكة (٤) اضافة الى الكثير من الشواهد التى تحدثت عن مباشرته صلى الله عليه وسلم لأمر الحسبة أو اسنادها الى بعض أصحابه . (٥)

وفى عهد الراشدين تولى الخلفاء الاحتساب بأنفسهم كما أوكلوا ذلك الى غيرهم

---

(١) الترمذى ج ٩ ص ١٧ .
(٢) انظر فتح البارى ج ١٦ ص ١٠٩
(٣) صحيح مسلم-كتاب الايمان - حديث رقم ١٠٢
(٤) انظر الاصابة - مرجع سابق ج ٣ ص ٩٧
(٥) انظر د . فضل الهى - الحسبة فى العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين-ادارة ترجمان الاسلام - باكستان - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ص ١٣ -١٤

ففى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه نجد أنه رضى الله عنه كان يمـــارس الاحتســاب بنفسه . (١)

وباشر عمر رضى الله عنه الاحتساب بنفسه كما أسند ذلك الى غيره من الناس وذلـك حين عين موظفين مهمتهم الاشراف على السوق . (٢)

وتبع عثمان رضى الله نهج عمر الاحتساب بنفسه واسناده الى غيره . (٣) ونفـس الشيء فعله أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . (٤)

وفى عهد الدولة الأموية استمر الخلفاء والولاة والحكام فى ممارسة الاحتساب الا أن الحسبة كولاية مستقلة لم تأت الا متأخرة وذلك تبعاً لحاجة المجتمع الاسلامـى. فالمجتمع فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد الراشدين كان مجتمعاً صالحاً يتآمر أفراده بالمعروف ويتناهون عن المنكر ويتقبلون النصائح . بل ان المؤسسة التى تقوم على أمر العدل وهى مؤسسة القضاء قد تعطل عملها كليا فى عهد الصديق رضى الله عنه اذ جلس القاضى عاماً كاملاً لا يأتيه متخاصمون . ولكن بابتعاد الناس عـن عهد النبوة والراشدين ضعف الوازع الدينى فى نفوس البعض واحتاجوا الى سلطـة رادعة حتى يستقيم أمرهم وأمر المجتمع فنشأت ولاية الحسبة وتعددت مهام المحتسب.

وحدد فقهاء الأحكام السلطانية علاقة هذه الولاية بالقضاء فذكروا بعض الجوانب التى تلتقى فيها هاتان الولايتان وبعض الجوانب التى يختلفان فيها وبعض الجوانب

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٧ - ١٨
(٢) انظر الاصابة - مرجع سابق ج ٤ ص ١٠٠
(٣) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - مصدر سابق ج ٧ ص ٢١٤
(٤) انظر د . فضل الهى - الحسبة فى العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين - مرجع سابق ص ٣٦ - ٣٧

التى تزيد فيها ولاية الحسبة عن ولاية القضاء . (١)

وهذه الولاية لها علاقة وطيدة بموضوع الرقابة اذ أن الحسبة فى معناها الواسع الذى يقوم به كل فرد من أفراد المجتمع كل بحسب مقدرته تمثل الرقابة الشعبية . وهذه الرقابة الشعبية لها دور كبير فى تقويم الادارة وتصحيح مسارها كما سبق أن اشرت فى الفصل المتعلق بأنواع الرقابة .

أما الحسبة فى معناها الخاص بمعنى أنها ولاية من الولايات فلها دور كذلك فى موضوع الرقابة الادارية على الرغم من أن هذا الدور ليس دوراً مباشراً وانما هو دور يتمثل فى النصح والتوجيه .

قال ابن الأخوة : " ينبغى للمحتسب أن يقصد مجالس الأمراء والولاة ويأمرهم بالشفقة على الرعية والاحسان اليهم ويذكر لهم ما ورد فى ذلك من الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ". (٢)

وقال ابن بسام : " ينبغى للمحتسب أن يتردد الى مجالس الولاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويذكرهم ويعظهم ويأمرهم بالشفقة على العباد والاحسان اليهم ويذكر لهم ماورد فى ذلك من الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم . وليكن فى وعظه وردعه وقوله بشوشاً غير جبار عبوس وليكن شيمته الرفق ولين القول وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند أمره ونهيه فأن ذلك أبلغ لاستمالة

---

(١) انظر الماوردى ـ الأحكام السلطانية ـ مرجع سابق ص ٢٤١ - ٢٤٢ وأبى يعلى الأحكام السلطانية ـ مرجع سابق ص ٢٨٥ - ٢٨٦

(٢) ابن الاخوة ـ معالم القربة ـ مرجع سابق ص ٢١٦

القلوب وحصول المقصود ".(٣)

فوظيفة المحتسب اذن تحتم عليه اسداء النصح الى الجهاز الادارى وتنبيه المسئولين الى الأخطاء التى يمكن أن ترتكب وتلحق الضرر بالناس . كذلك فأن والى الحسبة يباشر رقابة على موظفيه . قال ابن الاخوة :-

" ومن أعظم خصال الوالى "والى الحسبة" وأحمدها فى نفوس الخاصة والعامة انصافه من خاصته وحاشيته وأعوانه وتفقدهم فى كل ساعة ويمنعهم أن يأخذوا من الغرماء فوق مايستحقون "(٢) .

ويشبه أحد الباحثين دور والى الحسبة بالدور الذى يقوم به جهاز الضبط الادارى فى الادارة الحديثة حيث أن هذا الجهاز يقوم على منع الجرائم والحيلولة دون وقوعها والعمل الوقائى والعلاجى لكل مايتعرض له المجتمع من جرائم أو حوادث أو منكرات أو رذائل . وحدّد وظائفه كما يلى :-(٣)

١ - المحافظة على الأمن والسلامة العامة .

٢ - المحافظة على الصحة والآداب العامة .

٣ - المحافظة على سلامة المعاملات .

٤ - المحافظة على الدين .

---

(١) ابن بسام - نهاية الرتبة فى طلب الحسبة - حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائى - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٨م ص ٢١٥

(٢) ابن الاخوة - معالم القربة - مصدر سابق ص ٢١٨

(٣) انظر د . منيب محمد ربيع - ضمانات الحرية فى النظام الاسلامى وتطبيقاتها - مجمع البحوث الاسلامية ١٤٠٤ هـ ص ١١٦ ومابعدها وينظر لنفس المؤلف كتاب ضمانات الحرية بين واقعية الاسلام وفلسفة الديمقراطية - مكتبة المعارف الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ص ١٦٢

وعلى الرغم من أهمية ولاية الحسبة ودورها فى الرقابة الا أنـــه يلاحظ أن المصادر لم تتعرض لهذا الدور الرقابى فى أثناء حكم الأمويين وانما الذى نجده فى المصـــادر أن بعض العلماء والحكماء يتقدمون الى الخلفاء والولاة بالزجر والنصيحة وقول الحـــق كما فعل أبو مسلم الخولانى مع معاوية حين منع العطاء . (١) وكما فعل أعرابى مـــع سليمان حيـــن شكا اليه ظلم ولاته . (٢) أو كما فعل الحسن البصرى فى نصحه لابـــن هبيرة والى العراق (٣) وهذا الاحتساب التطوعى أمثلته كثيرة . أما الذى لم تتعرض المصادر لذكر نماذج منه فهو الاحتساب الذى يقوم به المحتسب. ولا أحسب أن اغفال المصادر له يدل على عدم وجوده اذ أن التحول الذى حدث فى بنية المجتمع الاسلامى خلال حكم الأمويين يتطلب وجوده لأن مثل هذه المؤسسات انما وجدت حين احتـــاج الناس اليها وقد يكون السبب فى عدم ذكر أخبار هذه الولاية فى المصادر التاريخيـــة لهذه الفترة راجعاً الى الطريقة التى دون بها التاريخ ، فتدوين التاريخ كان مرتبطاً بشخص الخليفة ومايقوم به من أعمال سياسية كانت أم عسكرية أم ادارية . ولا يتطـــرق المؤرخون فى الغالب الى أعمال الموظفين الأخرى الا بمقدار علاقتها بصاحب الولايـــة العامة .

---

(١) انظر الحبيطانى - قناطر الخيرات - مرجع سابق ج ٢ ص ١٨٩

(٢) انظر القلعى - تهذيب السياسة - مرجع سابق ص ٢٩٤

(٣) انظر محى الدين بن عربى - محاضرة الأبرار - مرجع سابق ج ١ ص ١١٧ - ١١٨

المبحث الثاني

قضاء المظالم ودورة في الرقابة

تعتبر ولاية المظالم واحدة من أجهزة الرقابة في الدولة الاسلامية وقد عرف الفقهاء النظر في المظالم بأنه قود المتظلمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة . (١)

ويكون الناظر في هذه الولاية نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع يجمع بين سطوة الحماة وتثبيت القضاة . (٢)

وحدّد الفقهاء بعض صلاحيات ناظر المظالم بما يلي :- (٣)

(١) النظر في تعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعنف فيكون لمسيرهم متصفحاً ولأحكامهم متعرفاً ولأمورهم مستطلعاً وعن أحوالهم مستكشفاً ليقويهم ان أنصفوا ويكفهم ان عسفوا ويستبدل بهم اذا هم بالعدل لم يتصفوا .

(٢) النظر في جور العمال فيما يجبونه من الأموال فيرجع فيه الى القوانين العادلة في دواوين الأئمة فيحمل الناس عليها ويأخذ العمال بها ويقودهم اليها وينظر

---

(١) انظر أبي يعلى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٧٣
(٢) انظر الماوردي - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٧٧
(٣) انظر المرجع السابق ص ٧٧ وأبي يعلى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٧٦ ومابعدها وأبي الفضل محمد بن الأعرج - تحرير السلوك في تدبير الملوك - تحقيق د . فؤاد أحمد عبد المنعم - مؤسسة شباب الجامعة بالأسكندرية - ١٤٠٢هـ ص ٣٩ ومابعدها .

فيما استزادوه فأن رفعوه الى بيت المال لمصر برده الى أصحابه وان أخذوه لأنفسهم استرجعه منهم لأربابه .

٣ - النظر فى كتّاب الدواوين والاحاطة بأحوالهم لأنهم أمناء المسلمين على ثبوت أموالهم فيما يستوفونه منهم ويوفرونه لهم من الحقوق فى الحال والمآل فيتصفح ماوكل اليه تدبيره من الأعمال فأن وجدهم تعدوا الحق أعادهم الى قوانينه العادلة .

٤ - النظر فى تظلم المرتزقة والموظفين من نقص أرزاقهم أو تأخرها.

٥ - رد الغصوب .

٦ - الاشراف على الأوقاف ومنع التعدى عليها .

٧ - تنفيذ ماعجز القضاة عن تنفيذه من أحكام .

٨ - النظر فيما عجز عنه الناظرون فى الحسبة .

٩ - مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والأعياد والحج والجهاد .

١٠- النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين .

" فالنظر فى المظالم نوع من القضاء العالى لأن سلطته أوسع وممتزجة بالرهبة يتولاه الخليفة أو يسنده الى كبار الولاة لأن الغاية منه أن يحاكم أصحاب النفوذ فى المجتمع أو الولاة أنفسهم أو عمال الدولة اذا اعتدوا على الناس " (١)

---

(١) د . محمد الرضا عبد الرحمن الأغبش - السياسة الادارية للدولة الاسلامية فى صدر الاسلام - مرجع سابق ص ٢٣٤

فالغرض الأساسى من انشاء ولاية المظالم هو تعدى ذوى الجاه والحسب فكان من اختصاص قضاء المظالم النظر فى شكاوى المواطنين ضد الولاة وضد عمال الخراج اذا توسعوا فى جباية الضرائب وضد كتاب الدواوين اذا أثبتوا فى دفاترهم من أموال المسلمين وأحوالهم ما يخالف الحقيقة . (١)

فالرقابة القضائية على الجهاز الادارى تتم بمعرفة ولاية المظالم التى نشأت تدريجياً لما فيها من خصائص القضاء والتنفيذ معاً ، فوالى المظالم قد يعرض لحسم المنازعات التى يعجز عن نظرها القضاء وقد ينظر فى الأحكام التى قد لا يقتنع الخصوم بعدالتها . ولكن السبب الرئيسى لنشأة هذا النظام هو بسط سلطان الشريعه على كبار الولاة ورجال الدولة ممن يعجز القضاء عن اخضاعهم لحكم الشريعه

وذكر الفقهاء أن ناظر المظالم لابد له من مجلس يضم فئات خمس هم : الحماة والأعوان والقضاة والحكام والفقهاء والكتاب والشهود . (٢) كما تطرق الفقهاء لعلاقة المظالم بالقضاء واختلافها عنه . (٣)

أما فى المجال التطبيقى لهذه الولاية فقد باشر النبى صلى الله عليه وسلم أمر المظالم ودعا أصحابه رضوان الله عليهم أن يبلغوه حاجة من لا يستطيع ابلاغها وتولى

---

(١) انظر احمد شوقى الفنجرى - الحرية السياسية فى الاسلام - مرجع سابق ص ٧٤
(٢) الماوردى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٨٠
(٣) انظر ابى يعلى - الاحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٧٩

بنفسه رفع المظالم التى تصل اليه من الولاة الذين يوليهم ومن ذلك استنكاره صلى الله عليه وسلم لاقدام خالد بن الوليد على قتل بنى جذيمة وأمر بدفع الديات لهم . (١)

وقد ذكر الماوردى أن النبى صلى الله عليه وسلم نظر فى المظالم وذلك حين نظر فى الشرب الذى تنازع فيه الزبير بن العوام ورجل من الأنصار فحكم النبى صلى الله عليه وسلم للزبير بأن يسقى ثم يسقى الأنصارى بعد ذلك . (٢)

ولكنى أرى أن هذه الواقعة لا تنطبق على قضاء المظالم ولكنها نوع من القضاء العادى الذى كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم بين الناس وذلك لأن الزبير والأنصارى لم يكن أياً منهما صاحب سلطة حتى يستنجد الأضعف منهما بسلطة الدولة وانما كانا جاريين اختلفا على الماء واحتكما الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما فى عهد الراشدين فقد تولى عمر بن الخطاب بنفسه النظر فى المظالم وانصاف الرعية من الولاة . من ذلك انصافه للقبطى الذى شكا اليه ابن عمرو بن العاص بسبب تعديه على ابنه الذى كان قد سبقه فاستدعى عمر عمراً وابنه وأنصف المصرى منهما وقال كلمته المشهورة : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " (٣)

ومنها انصافه لرجل من تجيب شتمه عمرو بن العاص وقال له : يامنافق فطلب عمر من التجيبى ان أحضر شاهدين أن يضرب عمراً ابن العاص أربعين سوطاً . (٤)

---

(١) انظر د . حمدى عبد المنعم - ديوان المظالم نشأته وتطوره واختصاصه مقارناً بالنظم القضائية الحديثة - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ص ٥٠

(٢) انظر الماوردى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٧٧

(٣) انظر ابن الجوزى - مناقب عمر بن الخطاب - مرجع سابق ص ٩٨ والأبشيهى المستطرف من كل فن مستطرف - مرجع سابق ج ١ ص ٢٣٩

(٤) انظر ابن شبة - تاريخ المدينة المنورة ج ٣ ص ٨٠٨

وحتى أهل الذمة أنصفهم عمر رضى الله عنه من ولاته ومنع تعديهم عليهم ومن ذلك شكاية أحد الدهاقين لسعيد بن مالك أحد عمال عمر وذلك بسبب تعديه على هذا الدهقان الذى كانت له ضيعة مجاورة لضيعة سعيد . فرحل هذا الدهقان الى المدينة وشكا لعمر فكتب له عمر رسالة ما ان وصلت الى سعيد بن مالك حتى أنصف هذا الدهقان من نفسه وتخلى له عن ضيعته . (١)

وكان عمر رضى الله عنه كثيراً مايحث الناس على رفع ظلاماتهم على أمرائهم .

واقتص مرة من أحد عماله لضربه رجلا فسئل عن ذلك فقال : كيف لا اقتص منه وقد رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه . (٢) الى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التى تشير الى اهتمام عمر رضى الله عنه بأمر المظالم .

وجلس أمير المؤمنين على بن أبى طالب للنظر فى المظالم الا أنه لم يجعل لذلك يوماً محدداً وانما كان يتلقى الشكوى فيحقق فيها وينصف صاحبها . (٣)

ولم ينتدب الخلفاء الأربعة أحداً للنظر فى المظالم لأن الناس كانوا فى الصدر الأول وظهور الدين عليهم يقودهم الى التناصف والحق . ثم انتشر الأمر بعد ذلك حتى تجاهر الناس بالظلم ولم تكفهم زواجر الفطنة فاحتاجوا فى ردع المتغلبين الى ناظر المظالم . (٤)

---

(١) انظر البيهقى - المحاسن والمساوئ مصدر سابق ص ٤٩٤
(٢) انظر ابن الأثير - الكامل فى التاريخ مصدر سابق ج ٣ ص ٥٦
(٣) انظر أبى يعلى - الأحكام السلطانية - مصدر سابق ص ٧٤
(٤) انظر المصدر السابق ص ٧٤ - ٧٥

واهتم خلفاء بني أمية بأمر المظالم التي كثرت في عهدهم فقد ذكر رجل أمام معاوية حديثاً للرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه : " ما من امام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة الا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته " فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس . (١)

وكان عبد الملك بن مروان أول من أفرد للظلامات يوماً يتصفحها فيه يعاونه في ذلك قاضيه أبي ادريس الأودي فكان أبو ادريس هو المباشر وعبد الملك هو الآمر . (٢)

وضرب سليمان بن عبد الملك عامله على العراق خالد القسرى مائة سوط لتعديه على أحد افراد الرعية دون وجه حق . (٣)

أما عمر بن عبد العزيز فقد جلس بنفسه للمظالم . جاء في طبقات ابن سعد : " مازال عمر بن عبد العزيز يرد المظالم منذ يوم استخلف الى يوم مات " (٤) . فقد كان رضوان الله عليه يرد المظالم الى أهلها بغير البينة القاطعة وكان يكتفي باليسير واذا عرف مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس ولقد أنفق أموال بيت مال العراق في رد المظالم حتى حمل اليها من الشام . (٥)

وكان عمر قد كتب الى أهل الموسم : " أما بعد فأني أشهد الله وأبرأ اليه في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أني برئ من ظلم من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو رضيت أو تعمدته الا أن يكون وهماً مني أو أمراً خفي .

---

(١) انظر ابن الجوزى - الشفا - مرجع سابق ص ٦٤
(٢) انظر أبي يعلى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٧٥
(٣) انظر المسعودى - مروج الذهب - مرجع سابق ج ٣ ص ٢٢٠
(٤) طبقات ابن سعد - مرجع سابق ج ٥ ص ٣٤١
(٥) انظر ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١١١

على لم أتعمده وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني مغفورا لي اذ علم مني الحرص والاجتهاد. ألا وانه لا اذن على مظلوم دوني وأنا معول كل مظلوم. الا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم وقد صيّرت أمره اليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم ". (١)

ولم يكتف عمر بذلك بل انه أمر لكل من يرفع له مظلمة مكافأة تتراوح مابين مائة دينار الى ثلاثمائة دينار. (٢)

وعندما تكاثر الناس على بابه خطبهم قائلاً : "أيها الناس الحقوا ببلادكم فأني أنساكم عندي وأذكركم ببلادكم. ألا واني استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ألا فمن ظلمه امامه مظلمة فلا اذن له علي ومن لا فلا أربينه". (٣)

ومن أمثلة المظالم التي ردها عمر مايلي :-

(١) رده للأموال التي أخذها عامله على أذربيجان من أحد أفراد الرعية وقد بلغت اثنا عشر ألف درهم. (٤)

(٢) رده لضيعة كان قد غصبها الوليد بن عبدالملك من رجل من اليمن فتظلم الرجل الى عمر فلما تحقق من ذلك ردها له. (٥)

(٣) رده لأرض أخذها عدي بن أرطأة من رجل فاشتكى ذلك الرجل لعمر

---

(١) ابن الجوزي - سيرة عمر بن عبدالعزيز - مرجع سابق ص ٥٩
(٢) انظر ابن عبدالحكم - سيرة عمر بن عبدالعزيز - مرجع سابق ص ١٢١
(٣) المرجع السابق ص ٤١
(٤) انظر ابن الجوزي - سيرة عمر بن عبدالعزيز - مرجع سابق ص ٦١
(٥) انظر ابن الأعرج - تحرير السلوك - مرجع سابق ص ٤٤

فأمر برد أرضـــــه . (١)

وعندما جاء هشام بن عبد الملك الى الخلافة فأنه خصص ستين ليلة لا يهتم فيهـــا بشيء سوى رد المظالم والأخذ على يد الظالم من جميع الناس ويتقبل الشكاوى مـــن الضعفاء . (٢)

الا أن من جاء بعد ذلك من خلفاء بني أمية لم يهتموا بأمر المظالم كما ينبغـــي فانتشر الظلم وانتهكت الحرمات . . .

---

(١) انظر ابن عبد الحكم ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ـ مرجع سابق ص ١٢٩
(٢) انظر ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة ـ مرجع سابق ج ٢ ص ١٠٧

المبحث الثالث

ديوان البريد ودوره الرقابي

يعتبر ديوان البريد من أهم أجهزة الرقابة الخارجية لأعمال الادارة في العهد الأموى والعهود التى تلته .

والبريد فى اللغة كلمة مختلف فى أصلها هل هى عربية أم فارسية ؟ معربة أم لاتينية (١)

وهذه الكلمة تحمل معانى متقاربة فمن معانيها الرسول . جاء فى الأثر :- "اذا أبردتم الىّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه " (٢) . فالبريد هنا يعنى الرسول كما أن من معانيه فى اللغة المسافة المحددة . روى البخارى أن ابن عمر وابن عباس كانا يقصران ويفطران فى أربعة برد . " (٣)

والبريد فى الاصطلاح هو تجهيز خيل لنقل الأخبار بين مسافة محددة . (٤)

والبريد فى معناه العام عرفه المجتمع الاسلامى منذ بدايته وعرفته المجتمعات الأخرى فى فترات سابقة .

فالمجتمع الاسلامى فى بدايته عرف الرسل الذين حملوا رسائل النبى صلى الله عليه وسلم بعد قيام الدولة بالمدينة المنورة الى الملوك والحكام ، وان كان ارسال هؤلاء

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية - اعداد وتحرير ابراهيم زكى خورشيد وآخرون كتاب الشعب - دار الشعب ج ٧ ص ١٧٩

(٢) روى عن البزار بطرق ضعيفة - انظر مجمع الزوائد - مرجع سابق ج ٨ ص ٤٧ .

(٣) انظر صحيح البخارى ج ١ ص ٣٦٨ .

(٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية - مرجع سابق ج ٧ ص ١٧٩

الرسل لم يتخذ صفة الديمومة .(١)

وفى عهد الراشدين لم ينظم البريد بصورة دائمة ومستقرة ولكن المصادر تحدثنا بأن الرسائل كانت متبادلة وبصورة مستمرة بين الخلفاء الراشدين وقادة الفتوح - وتشير بعض المصادر الى أن البريد حمل الى خالد بن الوليد وهو فى جبهة القتال خبر وفاة أبى بكر الصديق واستخلاف عمر .(٢)

ويبدو أن الفتوحات قد جعلت الخلفاء يهتمون بأمر البريد وتنظيمه واقامة الدور لأصحابه فقد ذكر أن أبا موسى الأشعرى صلى بدار البريد بالكوفة . وذكر ابن حجر أن هذه الدار كانت تنزل فيها الرسل اذا حضرت من الخلفاء الى الأمراء .(٣)

وأشار الكتانى الى أن هذه الدار كانت فى طرف الكوفة .(٤)

وفى عهد عمر رضى الله عنه نجد أن البريد كان ينقل رسائل المجاهدين الى ذويهم ورسائل أهل المجاهدين اليهم ، بل ان عمر رضى الله عنه كان يكتب الرسائل بنفسه لنساء المجاهدين ليحملها البريد اليهم .(٥)

واكثر المصادر فى التاريخ الاسلامى تشير الى أن معاوية رضى الله عنه هو أول من أنشأ البريد فى الاسلام وهى فى هذا انما تنقل عن أبى هلال العسكرى الذى أشار

---

(١) انظر الكتانى - التراتيب الادارية - مرجع سابق ج ١ ص ١٩٠
(٢) انظر الطبرى - مصدر سابق ج ٣ ص ٤٣٥ وابن الأثير - الكامل فى التاريخ - مصدر سابق ج ٢ ص ٢٨٢
(٣) انظر ابن حجر - فتح البارى - مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٦
(٤) انظر الكتانى - التراتيب الادارية - مرجع سابق ج ١ ص ١٩٢
(٥) انظر ابن الجوزى - سيرة عمر بن الخطاب - مرجع سابق ص ٨٧

الى ذلك فى كتابه الأوائل . (١) ولكن الحقيقة هى أن معاوية قد نظم البريد وحدّد طرقه وقسمها الى مراحل وجعل له ادارة محدّدة . (٢)

واهتم عبد الملك بن مروان بأمر البريد وأحكم أمره ، كما أنه ظهر فى عهده العيون والمخبرين الذين استعان بهم الحجاج فى حفظ أمن الدولة فى العراق والمشرق . (٣)

كما اهتم كذلك الوليد بن عبد الملك بالبريد وطرقه ووضع له المنارات فى الطرق . (٤)

وفى عهد عمر بن عبد العزيز منع استخدام البريد فى الأشياء الشخصية وقصره على المهام الرسمية (٥) كما منع اصحاب البريد من استخدام الحديد فى أطراف أسواطهم لينخسوا بها الدواب . (٦)

وكان ديوان البريد فى الدولة الأموية يتشكل من رئيس للديوان يختار من بين كبار موظفى الدولة ويطلق عليه صاحب البريد والأخبار ويتبعه عامل فى كل اقليم من أقاليم الدولة ، يتبع كل منهم عدد من العمال أقل درجة من حيث المرتبة الوظيفية يتولون تصريف شئون البريد فى دوائر اختصاصهم فى الأقليم . (٧)

وتطورت اختصاصات البريد من الاقتصار على نقل الرسائل بين الخليفة وعماله

---

(١) انظر أبى هلال العسكرى - الأوائل - القسم الأول - تحقيق محمد المصرى ووليد قصاب - منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى - دمشق ١٩٧٥م ص ٣٤٤
(٢) انظر طلال جميل رفاعى - نظام البريد فى الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى - رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى ١٤٠٦ - ١٤٠٧هـ ص ٥٩
(٣) انظر نجيدة خماش - الادارة فى العصر الأموى - مرجع سابق ص ٢٣٥
(٤) انظر العيون والحدائق - مرجع سابق ج ٣ ص ١١
(٥) انظر ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - مرجع سابق ص ١٣٦
(٦) انظر أبى يوسف - كتاب الخراج - مرجع سابق ص ٣٦٢
(٧) انظر ندوة النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ٣١٢

فى الاقاليم التى تولى مراقبة جميع المؤسسات فى الدولة كما كانت أجهزته المختلفة تتولى " مراقبة ولاة العهد والأمراء والولاة والقضاة وعمال الخراج وكتاب الدواوين وأصحاب الشرطة والأحداث ، اضافة الى مسئوليتها الأساسية الأخرى فى الكشف عن الجواسيس الذين يدخلون حدود الدولة الاسلامية بهدف نقل معلومات عنها الى الأعداء وماكانت تلك الأجهزة تضطلع به فى مجال حفظ الأمن الداخلى ومراقبة الخارجيين على الدولة والكشف عن قوى المعارضة . ولا يقتصر عمل البريد على ذلك فقط، بل كان عليه اضافة الى ذلك أن يساهم فى ضمان الأمن ضد الخطر الخارجى ففى مجال الأمن الخارجى تقوم أجهزة البريد المختلفة بنقل أخبار الثغور ومراقبة تحركات العدو على حدود الدولة الاسلامية وابلاغها الى الجهات المختصة فى أسرع وقت ومن أقصر الطرق.هذا اضافة الى ماكان يضطلع به البريد فى ضمان الاستقرار الاقتصادى ومنع حصول الأزمات وضمان عدم التصرف غير المشروع فى واردات بيت المال اضافة الى نقل الأشخاص المطلوب نقلهم من والى العاصمة . كما كانت توكل اليه فى الحالات المستعجلة مهمة نقل الجنود وتدخل فى مهامه نقل الأراجيف والشائعات(١)

وعن أهمية الدور الرقابى لديوان البريد تحدث على بن خلف الكاتب فى كتاب موارد البيان عن مهام صاحب البريد قائلاً :-

" ... أن يعرف حال عمال الخراج والضياع ومايجرى عليه أمرهم ويتبع ذلك شافياً ويستشفه استشفافاً وينهيه على حقه ، وأن يعرف حال عمارة البلاد وماهى عليه من الكمال والاختلال ومايجرى فى أمور الرعية فيما يعاملون به من الانصاف والجور والرقة

---

(١) انظر طلال رفاعى - نظام البريد فى الدولة العباسية - مرجع سابق ص ٢٤٥-٢٤٦

والعنف ، فيكتب به مشروحاً . وأن يعرف ماعليه الحكام فى حكمهم وسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم ، وأن يعرف حال دار الضرب ومايضرب فيها من العين والورق ومايلزمه المورد ون من الكلف والمؤن ويكتب بذلك على حقه وصدقه ، وأن يوكل بمجلس عرض الأولياء وأعطياتهم من يراعيه ويطالع مايجرى فيه ويكتب بما تقف عليه الحال من وقته وأن يكون ماينهيه من الأخبار شيئاً يثق بصحته وأن يفرد بكل مايكتب فيه من أصناف الأخبار كتباً بأعيانها فيفرد لأخبار القضاء وعمال المعاون والأحداث والخراج والضياع وأرزاق الاولياء ونحو ذلك كتباً ، يجرى كل كتاب فى موضعه . "(١)

ومايشير الى استخدام البريد فى حمل ظلامات الناس أن عامل معاوية على المدينة كان اذا أراد أن يبرد بريداً أمر مناديه فينادى فى الناس أن من كانت له حاجة فليكتب الى أمير المؤمنين .(٢)

وكان زياد يقول لحاجيه : ياعجلان انى قد وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربع منها رسول صاحب الثغر لأن ابطاءه ساعة يفسد تدبير سنة حسب قوله .(٣)

وفى اشارة الى بعض مهام صاحب البريد نجد فى أوراق البردى العربية رسالة من الأمير قرة بن شريك الى أحد عماله يخبره فيها بأن صاحب البريد أبلغه عن وقوع غرامة مجحفة بالأهالى ويطلب من ذلك العامل رفع تلك الظلامة فورا .(٤)

---

(١) على بن خلف الكاتب - موارد البيان - تحقيق الدكتور حسين عبد اللطيف منشورات جامعة الفتح طرابلس ١٩٨٢م ص ٨٤

(٢) انظر الطبرى مصدر سابق ج ٥ ص ٣٣٥

(٣) انظر التذكرة الحمدونية - مرجع سابق ص ٣٤٣

(٤) انظر اوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية - مرجع سابق ج ٣ ص ٢٦ - ٢٧

ولكن بالرغم من هذه السلطة الواسعة التى منحها الخلفاء لعمال البريد الا أنهم لم يعطوهم الفرصة لاستغلال نفوذهم فى الاثراء على حساب الآخرين، بل كانوا يحاسبونهم حساباً شديداً ويتحرون الدقة فى أخبارهم ولا يأخذونها الا بعد تدقيق وفحص . (١)

ودور صاحب البريد فى عملية الرقابة ليس تنفيذياً بخلاف المشرف المباشر على أعمال الولاة فأن دوره تنفيذياً ولذا نجد أن كتب الأحكام السلطانية قد فرقت بين دوريهما يقول الماوردى : "ان حكم المشرف مخالف لحكم صاحب البريد من ثلاثة أوجه :-

أحدهما : أنه ليس للعامل أن ينفرد بالعمل دون المشرف وله أن ينفرد به دون صاحب البريد .

الثانى : أن للمشرف منع العامل مما أفسد فيه وليس ذلك لصاحب البريد .

الثالث : أن المشرف لا يلزمه الاخبار بما فعله العامل من صحيح وفاسد اذا انتهى عنه ويلزم صاحب البريد الاخبار بما فعله العامل من صحيح وفاسد لأن خير المشرف استعداء وخير صاحب البريد انهاء" (٢)

وفرق بين خير الانهاء وخير الاستعداء من وجهين :

١ - أن خير الانهاء يشتمل على الفاسد والصحيح وخير الاستعداء يختص بالفاسد دون الصحيح .

٢ - أن خير الانهاء فيما رجع عنه العامل وفيما لم يرجع عنه وخير الاستعداء يختص بما لم يرجع عنه دون مارجع عنه . (٣)

---

(١) انظر د . سعيد الحكيم - الرقابة على أعمال الادارة - مرجع سابق ص ٤٤٠

(٢) الماوردى - الأحكام السلطانية - مرجع سابق ص ٢١٢

(٣) انظر المصدر السابق ص ٢١٢ .

ويمكن أن نشير هنا الى أن اختصاصات ديوان البريد والأخبار وعمله المتعلق بالرقابة الادارية يتشابه الى حد كبير مع اختصاصات وعمل أجهزة الرقابة الادارية المتخصصة فى النظم الادارية المعاصرة . (١)

ونختم هذا المبحث بالحديث عن ديوان ليس له دور مباشر فى عملية الرقابة ولكنه يمثل وسيلة من وسائل الرقابة ذلكم هو ديوان الخاتم .

والخاتم كان معروفا فى الأمم التى سبقت الاسلام حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يكتب الى الملوك قيل له أن العجم لا يقبلون كتاباً الا اذا كان مختوماً فاتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة . (٢)

على أن المصادر مجمعة على أن معاوية رضى الله عنه كان أول من جعل ديواناً للخاتم يكون بمثابة ادارة للسجلات يرجع اليها عند الحاجة . (٣) وذلك حين اكتشف تزويراً قام به عمرو بن الزبير الذى كتب له معاوية كتاباً الى زياد ليعطيه مائة ألف درهم ففتح عمرو الكتاب وجعل المائة مائتين . فلما رفع زياد حسابه الى معاوية قال معاوية : ماكتبت له الا بمائة ألف وكتب الى زياد بذلك وأمره أن يأخذ المائة ألف منه فحبسه بها . فاتخذ معاوية ديوان الخاتم لمنع تكرار ذلك وقلده عبد الله ابن محمد الحميرى . (٤)

---

(١) انظر ندوة النظم الاسلامية - مرجع سابق ج ١ ص ٣١٩
(٢) انظر التراتيب الادارية - مرجع سابق ج ١ ص ١٧٩
(٣) انظر أبى هلال العسكرى - الأوائل - مصدر سابق ص ١٤٢
(٤) انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب - مصدر سابق ص ٢٤ - ٢٥

ولم يقتصر حفظ النسخ الادارية وختم الأوامر قبل اصدارها على الحكومة المركزية وحدها وانما اتبع الولاة نفس الطريقة . . فاعتاد زياد أن يحفظ نسخاً من أوامره (١) .

وفى عهد عبد الملك بن مروان صار ديوان الخاتم ادارة منظمة كما نشأت اذاك دار للمحفوظات الحكومية فى دمشق . (٢)

وهكذا فأن ادارة ديوان الخاتم تعمل على منع التزوير فى الأمور المالية والادارية الأمر الذى يساعد فى عملية الرقابة على أعمال الادارة .

---

(١) انظر اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٧٩
(٢) انظر س.أ.ق حسينى - الادارة العربية - مرجع سابق ص ١٦٩

الخـــاتمة

الخـــاتـــمـــــة

لقد بذلت فى بحثى هذا مافى استطاعتى من جهد ليخرج مشتملاً على مـــا أردت تناوله من موضوعات .

فقد عرضت الرقابة الادارية لغة وشرعاً ووجدت أن المعانى التى تطرقت اليهـــا الآيات والأحاديث ذات الصلة بالموضوع تقترب كثيراً من المعانى اللغوية والاصطلاحية للرقابـــــــة .

ثم تحدثت بعد ذلك عن مشروعية الرقابة فى الاسلام حيث تأكدت هذه المشروعيـة من خلال الآيات القرآنية والسنة النبوية وأقوال الفقهاء والعلماء المسلمين .

بعد ذلك تطرقت لأنواع الرقابة حيث ذكرت أنها تنقسم لقسمين هما الرقابـــــة الداخلية والرقابة الخارجية وكل قسم من هذين القسمين يشتمل على أنواع أخرى مـــن الرقابة . بعد ذلك تعرضت لنوعين من الرقابة انفرد بهما الاسلام وهما الرقابـــــة الذاتية والرقابة الشعبية .

ثم تحدثت عن اختيار الموظفين وتوجيههم ومحاسبتهم فى النظام الادارى الاسلامى حيث ذكرت الشروط التى يجب توفرها فيمن يختار للوظيفة العامة فى الاسلام وعززت ذلـك بالآيات والاحاديث وأقوال العلماء . وفعلت نفس الشىء بالنسبة للاشراف والتوجيـــه والمحاسبة .

وقبل الحديث عن الرقابة الادارية وتطبيقاتها فى عصر النبوة والراشدين تحدثت عن الادارة فى ذلك الوقت حيث شمل الحديث توسع الدولة الاسلامية والأقاليم الـــتى ضمتها والولاة الذين تولوا المسئولية الادارية فيها وأهم الأحداث التاريخيـــة ذات

الصلة بموضوعنـــــا .

بعد ذلك تحدثت عن الرقابة الادارية فى تلك الفترة وبدأت بالاختيار حيـــث تطرقت لكيفية اختيار النبى صلى الله عليه وسلم لولاته وعماله والصفات التى كان يطلبهـا فيمن يولى . بعدها تعرضت لكيفية اختيار الخلفاء الراشدين لموظفيهم وكيف أنهـــم كانوا يتحرون الدقة فى اختيار الأفضل .

بعد الحديث عن مرحلة الاختيار انتقلت الى المرحلة التى تليها وهى مرحلـــة الاشراف والتوجيه والغرض الأساسى منها هو تبصير العمال والموظفين بمهامهم وتدريبهم على الادارة وأساليبها حيث باشر الرسول صلى الله عليه وسلم الاشراف والتوجيـــه والتدريب لموظفيه واقتفى خلفاؤه الراشدون سنته من بعده فوجهوا ولاتهم وعمالهـــم وأشرفوا على سير اداراتهم ، وعملوا على تدريبهم . كما تناولت بالحديث الأساليب التى اتبعوها فى ذلك .

اما عن المرحلة الأخيرة من مراحل الرقابة الادارية وهى مرحلة المحاسبة وتوقيـــع الجزاءات فقد تعرضت للتطبيقات التى تمت فى عصر النبوة والراشدين حيث تناولـــت محاسبة النبى صلى الله عليه وسلم لعماله وولاته وكذلك محاسبة الخلفاء من بعـــده لعمالهم وآثار تلك المحاسبة على سير العملية الادارية .

وبعد الحديث عن الرقابة الادارية فى عصر النبوة والراشدين وقبل الحديث عنهـا فى الدولة الاموية تحدثت باختصار عن الادارة فى العصر الأموى .

بعدها تناولت مراحل الرقابة الادارية فى تلك الدولة حيث بدأت بالاختيار متعرضاً للأسس التى كان يختار الأمويون عن طريقها ولاتهم وقادتهم وعمالهم، وتناولت بشـــىء من الايجاز بعض منجزات أولئك القادة والولاة والموظفين بغرض ابراز بعض الجوانـــب

التى أوجبت اختيارهـــــم .

ثم تحدثت عن التوجيه والاشراف فى هذه الدولة وكيف أن اهمال هذا الجانب فى الفترة الأخيرة من عمر الدولة قد أدى الى فوضى ادارية كانت مع بعض العوامل الأخرى من أسباب ذهاب تلك الدولة .

تطرقت بعد ذلك لمرحلة المحاسبة فى الدولة الأموية وبينت كيف أن هذه المحاسبة كانت تختلف من مرحلة لأخرى الى أن غلب عليها الاهمال فى الطور الأخير من أطوار الدولة الأموية .

ثم تناولت بالحديث الأجهزة الرقابية فى الدولة الأموية مبتدئاً بالحسبة ودورها الرقابى ، ثم تحدثت عن ديوان المظالم وديوان البريد والخاتم .

من خلال العرض التفصيلى السابق يمكن لنا أن نستخلص فى هذه الخاتمة بعض النتائج الاجمالية والتفصيلية كما يلى :-

اولاً : النتائج الاجمالية :-

(١) أن الرقابة الادارية عرفتها الحضارات السابقة للاسلام ، وان لم تسمها بهذا المصطلح ، حيث أن الرقابة الادارية كانت ومازالت تعتبر واحدة من أهم عمليات الادارة ذاتها .

(٢) أن الادارة الاسلامية عرفت الرقابة الادارية وباشرتها قولاً وفعلاً منذ نشأة الدولة الاسلامية .

(٣) أن الفقه الادارى الاسلامى فى مجال الادارة عامة وفى مجال الرقابة الادارية خاصة يعتبر فقهاً فاعلاً ، يضاهى أحدث ماتوصل اليه الآخرون .

٤ - ان ذخائر هذا الفقه الادارى الذى أنتجته الادارة الاسلامية مازالت مجهولة لكثير من أبناء المسلمين وتحتاج الى جهود كبيرة لاخراجها للناس.

ثانياً : النتائج التفصيلية :-

أولاً : فى مجال الاختيار :-

أ - حددت نصوص الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء الشروط التى بمقتضاها يتم اختيار من يتولى الوظيفة العامة، وهذه الشروط تنحصر فى شرطى القوة والأمانة.

ب - فى الجانب التطبيقى لهذه الشروط نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين كانوا يختارون موظفيهم من أصحاب الكفاءة والخبرة وما كانوا يختارون من يطلب الوظيفة لنفسه.

جـ - فى بداية الدولة الأموية سار الخلفاء على منهاج يقارب المنهاج الراشدى فى الاختيار ولكن هذا المسار انحرف عن منهاج الراشدين وصارت الوظيفة العامة تهنح عصبية ومحاباة ثم أصبحت سلعاً تشترى وتباع الأمر الذى انعكس على الادارة بصفة عامة وكان هذا الأمر سبباً من أسباب انهيار الدولة .

ثانيا : فى مجال الاشراف :-

أ - يعتبر الاشراف والتوجيه نوعاً من التدريب والتأهيل لموظفى الدولة .

ب - باشر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون التوجيه والاشراف بصورة واسعة وذلك بغرض تثبيت النظام الادارى وترسيخه .

جـ - كان الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون يباشرون الاشراف والتوجيه من خلال الأحاديث المباشرة ومن خلال عهود التولية والكتب التى يرسلونها الى موظفيهم وهم فى مقار أعمالهم .

د - قل توجيه الخلفاء الأمويين لعمالهم وموظفيهم عما كان عليه الحال فى العهد

الراشدى فيما عدا فترة الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه حيث كان يرحمه الله يحاول اعادة الادارة الى منهاج الراشدين .

هـ - فى الفترة الأخيرة من عمر الدولة الأموية أهمل الخلفاء التوجيه والاشراف فى وقت كان فيه العمال والموظفين أكثر احتياجا للتدريب والتأهيل حيث أن تعيينهم ماكان يتم وفق الشروط المطلوبة فى الاختيار .

ثالثاً : فى مجال المحاسبة :-

أ - نظّر علماء الادارة الاسلامية وفقهاء الأحكام السلطانية وعدّدوا لولاة الأمر مشروعية محاسبة عمالهم وموظفيهم على مايرتكبونه من أخطاء تستدعى المحاسبة .

ب - فى التعزيز مجال واسع لولاة الأمر والمسئولين لتحديد العقوبة المناسبة للجرم الذى لم يرد فيه نص.

جـ - باشر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده محاسبة العمال والموظفين على أخطائهم ، وماكانوا يتركون خطأً يمر دون تنبيه أو مؤاخذة .

د - مارس الخلفاء فى الدولة الأموية محاسبة المسئولين على أخطائهم ولكن هذه المحاسبة ماكانت على منوال واحد ، فبعضهم كان يهتم بها ويباشرها وبعضهم لا يحفل بها . ولعل أكثر الخلفاء الأمويين محاسبة لعماله وموظفيه كان الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه وذلك استشعاراً منه بأهمية العدل وانصاف المظلومين .

تلك كانت النتائج التى استخلصتها من عرضى السابق لموضوع الرقابة الادارية والذى آمل أن أكون قد أوفيته حقه وعرضته بالصورة اللائقة التى تمكّن من الاستفادة منه وأسأله جلت قدرته وتبارك اسمه أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الملاحق

ملحق رقم (١)

عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا عهد من النبى رسول الله الى فلان . . وأمره أن يتقى الله فى أمره كله . فأن الله تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وأن يأخذ الحقوق كما افترضها الله تعالى ، وأن يؤديها كما أمره الله تعالى . . وأن ييسر للخير بعمله . وألا يماريه فيما بينهم . فأن هذا القرآن حبل الله فيه قسمة العدل ، وسابغ العلم ، وربيع القلوب . فاعملوا المحكمة وانتهوا الى حلاله وحرامه ، وآمنوا بمتشابهه فأنه حق على الله أن لا يعذب أحداً بعد أداء الفرائض ، وأن يقبل المعروف ممن جاء به ويحسنه له . وأن يرد المنكر على من جاء به ويقيمه عليه .

وأن يحجز الرعية عن التظالم . لا تهلكوا فأن الله تعالى انما جعل الراعى عضداً للضعفاء وحجازاً للأقوياء ، ليدافعوا القوى عن الظلم ويعينوا الضعيف على الحق .

والحج فريضة الله مرة واحدة على من استطاع اليه سبيلا . والعمرة الحج الأصغر وأنهاهم عن لباس الصماء والاختباء فى الثوب الواحد ، وعن صيامين الفطر والأضحى وعن صلاتين بعد الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغيب الشمس. وعن دعوى القبائل وعن زى الجاهلية الا ما حسنه الاسلام .

وخذهم بأخلاق الله واحملهم عليها . فأن الله تعالى يحب معالى الأخلاق ويبغض مذامها .

وأمرهم ليصلوا الصلوات لمواقيتها واسباغ الوضوء . والوضوء غسل الوجه والأيدى

الى المرافق والأرجل الى الكعاب، ومسح الرأس. واتمام الركوع والسجود والخشوع بالقراءة بما استيسر من القرآن .

وصلى كل صلاة فى أرفق الوقت بهم ، ان تعجيل فتعجيل وان تأخير فتأخير صلاة الفجر وقتها مع طلوع الفجر الى قبل أن تطلع الشمس والظهر مع الزوال الى مابينها وبين العصر. والعصر اذا كان الظل مثله مادامت الشمس حية . والمغرب الى مغيب الشفق . والعشاء اذا غاب الشفق الى أن يمضى كواهل الليل . وأن تأمرهم بأتيان الجمعات ولزوم الجماعات. وأن تأخذ من الناس ماعليهم من أموال الصدقة.

من العقار عشر ماسقى البغل والسماء . ونصف العشر فيما سقى بالرشا .
وفى كل خمس من الأبل شاة الى خمس وعشرين ، فأن زادت ففيها ابن مخاض الى خمسة وثلاثين . فأن زادت ففيها ابنة لبون ، الى خمس وأربعين فأن زادت واحدة ففيها حقة الى أن تبلغ ستين . فأن زادت واحدة ففيها ابنتا لبون ، الى أن تبلغ خمساً وسبعين . فأن زادت واحدة ففيها جذعة . فأن زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى أن تبلغ تسعين . فأن زادت واحدة ففيها حقتان الى أن تبلغ عشرين ومائة . ثم فى كل خمسين حقة.

وفى كل سائمة من الغنم أربعين شاة الى عشرين ومائة . وان زادت فشاتان الى مائتين . فأن زادت فثلاث . ثم فى كل مائة بعد شاة .

وفى كل خمس بقرات شاة الى ثلاثين . فأن بلغت ثلاثين ففيها تبيع. وفى كل أربعين مسنّة. وليس فى الأوقاص بينهما شيء .

وفى كل عشرين مثقالاً من الذهب نصف مثقال . وفى كل مائتين من الورق خمسة دراهم .

وفى كل خمسة أوسق نصف الوسق من البر والتمر والشعير والسلت وعفا الله عن سائر الأحبة الا أن يتطوع امرؤ .

ومن أجاب الى الاسلام فله مالنا وعليه ماعلينا . ومن ثبت على دينه من أهل الأديان فأنه لا يضيق عليه . وعلى كل حالم من الجزية على قدر طاقته ، الدينار فما فوق ذلك أو القيمة . فمن أدى ذلك فله الذمة والمنعة . ومن أبى فلا ذمة له .

وأن يأمرهم باجلال الكبير واجلال حامل القرآن ، وتوقير وتنزيه القرآن وأن يمسوه على ضوء . (١)

---

(١) انظر د . محمد حميد الله - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة دار الارشاد بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م - ص ١٦٦ - ١٦٩ نقلاً عن الامتاع للمقريزى .

ملحق رقم (٢)

عهد الامام على للأشتر

هذا ماأمر به عبدالله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر، فى عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله وايثار طاعته ، واتباع ماأمر به فى كتابه ، من فرائضه وسننه التى لا يسعد أحد الا باتباعها ، ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها ، وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، واعزاز من أعزه .

وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ، وينزعها عند الجمحات فأن النفس أمارة بالسوء الا مارحم الله .

ثم اعلم يامالك أنى قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك فى مثل ماكنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ماكنت تقوله فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح ، فأملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فأن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحبت وكرهت .

واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فأنهم صنفان : اما أخ لك فى الدين واما نظير لك فى الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم فى العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فأنك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم .

لا تنصبن نفسك لحرب الله ، فأنه لا يدى لك بنقمته ، ولا غنى عن عفوه ورحمته .

ولا تندمن على عفو ، ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة

ولا تقولن انى مؤمّر آمر فأطاع ، فأن ذلك ادغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير .

وذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة ، فانظر الى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على مالا تقدر عليه من نفسك ، فأن ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ، ويفىء اليك بما عزب عنك من عقلك .

وآياك ومساماة الله فى عظمته والتشبه به فى جبروته ، فأن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال .

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ، ومن لك هوى فيه من رعيتك ، فأنك الا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجته ، وكان لله حربا حتى ينزع أو يتوب .

وليس شىء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فأن الله يسمع دعوة المظلومين ، وهو للظالمين بالمرصاد .

وليكن أحب الأمور اليك أوسطها فى الحق ، وأعمها فى العدل وأجمعها لرضا الرعية ، فأن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة .

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مئونة فى الرخاء ، وأقل معونة له فى البلاء وأكره للانصاف ، وأسأل بالالحاف ، وأقل شكراً عند الأعطاء ، وأبطأ عذراً عند المنع

وأضعف صبرًا عند ملمات الدهر، من أهل الخاصة، وانما عمود الدين ، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء العامة من الأمة ،فليكن صغوك لهم وميلك معهم .

وليكن أبعد رعيتك منك ، وأشنأهم عندك ، أطلبهم لمعايب الناس ، فأن في الناس عيوباً ، الوالى أحق من سترها ، فلاتكشفن عما غاب عنك منها ، فأنما عليك تطهير ماظهر لك، والله يحكم على ماغاب عنك ، فاستر العورة مااستطعت، يستر الله منك ماتحب ستره من رعيتك .

اطلق عن الناس عقدة كل حقد ، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل مالا يضح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع ، فأن الساعى غاش وان تشبه بالناصحين .

ولا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصًا يزين لك الشرة بالجور ، فأن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيرًا ، ومن شركهم فى الآثام فلا يكونن لك بطانة فأنهم أعوان الأثمة وأخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم ، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على اثمه ، أولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك الفاً .

فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه ، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع.

والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله

فأن كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة .

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فأن فى ذلك تزهيداً لأهل الاحسان فى الاحسان ، وتدريباً لأهل الاساءة على الاساءة ، وألزم كلاًمنهم ماألزم نفسه .

واعلم أنه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المئونات عليهم ، وترك استكراهه اياهم على ماليس له قبلهم ، فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فأن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وان أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ، ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية .

ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضى تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء فى تثبيت ماصلح عليه أمر بلادك ، واقامة مااستقام به الناس قبلك .

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ، ولاغنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجات والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ، ووضع على حده وفريضته فى كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظا .

فالجنود بأذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل الأمن

وليس تقوم الرعية الا بهم ، ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب، لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ، ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوى الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة ، والذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر مايصلحه .

وليس يخرج الوالى من حقيقة ماألزمه الله تعالى من ذلك الا بالأهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل .

فول من جنودك أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولامامك وأطهرهم جيباً وأفضلهم حلماً ممن يبطىء عن الغضب ، ويستريح الى العذر ، ويرؤف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ، ممن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف .

ثم الصق بذوى المروءات والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة ، والسخاء والسماحة ، فأنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف .

ثم تفقد من أمورهم مايتفقده الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمن فى نفسك شىء قويتهم به ، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وان قل ، فأنه داعية لهم الى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك .

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها ، فأن لليسير من لطفك موضعاً

ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه ، وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم فى معونته ، وأفضل عليهم من جدته ، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم ، حتى يكون همهم هماً واحداً فى جهاد العدو ، فأن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة أمورهم ، وقلة استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم .

فافسح فى آمالهم ، وواصل من حسن الثناء عليهم ، وتعديد ماأبلى ذوو البلاء منهم ، فأن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع ، وتحرض الناكل ان شاء الله .

ثم اعرف لكل امرئ منهم ماأبلى ، ولا تضمّن بلاء امرئ الى غيره ، ولا تقصرن به دون غاية بلائه .

ولا يدعونك شرف امرئ الى أن تعظم من بلائه ماكان صغيراً ، ولا ضعة امرئ الى أن تستصغر من بلائه ماكان عظيماً ، واردد الى الله ورسوله مايضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور ، فقد قال الله سبحانه لقوم أحب ارشادهم : (يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فأن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول) ، فالرد الى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ، ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى فى الزلة ، ولا يحصر من الفئ الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم فى الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل .

ثم اكثر تعاهد قضائه ، وافسح له فى البذل مايزيح علته ، وتقل معه حاجته الى الناس، وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك . فانظر فى ذلك نظرًا بليغاً ، فأن هذا الدين قد كان أسيراً فى أيدى الأشرار، يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا .

ثم انظر فى أمور عمالك ، فاستعملهم اختيارًا ، ولا توليهم محاباة وأثرة ، فأنهما جماع من شعب الجور والخيانة . وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم فى الاسلام المتقدمة ، فأنهم أكرم أخلاقاً ، وأصح أعراضاً ، وأقل فى المطامع اشرافاً ، وأبلغ فى عواقب الأمور نظرًا .

ثم اسبغ عليهم الأرزاق ، فأن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ماتحت أيديهم ، وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك . ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فأن تعاهدك فى السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية .

وتحفظ من الأعوان ، فأن أحد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهدًا ، فبسطت عليه العقوبة فى بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة .

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فأن فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم . لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله .

وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك الا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره الا قليلاً ، فأن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو احالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم .

ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فأنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم . وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم ، بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم ، والثقة منهم ، بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم . فربما حدث من الأمور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به ، فأن العمران محتمل ما حملته ، وانما يؤتى خراب الأرض من اعواز أهلها وانما يعوز أهلها لاشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

ثم انظر في حال كتّابك ، فول على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ، ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ، ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك ، وفيما يأخذ لك ويعطي منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فأن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل .

ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فأن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً ، وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فأن ذلك دليل على نصيحتك للهّ ولمن وليت أمره .

وأجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ، ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته .

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم خيراً : المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه ، فأنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد

والمطارح ، فى برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فأنهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته .

وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك . واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع وتحكماً فى البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة .

فامنع من الاحتكار ، فأن رسول الله صلى الله عليه واله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب فى غير اسراف .

ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى ، فأن فى هذه الطبقة قانعاً ومعتراً .

واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافى الاسلام فى كل بلد ، فأن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى وكل قد استرعيت حقه .

فلا يشغلنك عنهم بطر ، فأنك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعّر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك أمورهم

ثم اعمل فيهم بالأعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فأن هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم وكل فأعذر الى الله فى تأدية حقه اليه .

وتعهد أهل اليتم وذوى الرقة فى السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً ، فتتواضع فيه لله الذى خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع ، فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فى غير موطن : " لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى ، غير متعتع " .

ثم احتمل الخرق منهم والعى ونح عنهم الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما أعطيت هنيئاً وامنع فى اجمال واعذار .

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها ، منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تحرج به صدور أعوانك وامض لكل يوم عمله فأن لكل يوم مافيه .

واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية .

وليكن فى خاصة ماتخلص لله به دينك اقامة فرائضه التى هى له خاصة فأعط الله من بدنك فى ليلك ونهارك ووف ماتقربت به الى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك مابلغ .

واذا أقمت فى صلاتك للناس فلاتكونن منفراً ولا مضيعاً ، فأن فى الناس من به العلة وله الحاجة ، وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهنى الى اليمن : كيف أصلى بهم ؟ فقال : " صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً " .

وأما بعد هذا ، فلاتطولن احتجابك عن رعيتك فأن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق

بالباطل ، وانما الوالى بشر لا يعرف ماتوارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما أنت أحد رجلين : اما امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق ، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك اذا أيسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس اليك ، مما لا مئونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب انصاف فى معاملة .

ثم ان للوالى خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فى معاملة فاحسم مئونه أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب أو عمل مشترك يحملون مئونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة .

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن فى ذلك صابرًا محتسبًا ، واقعًا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع . وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فأن مغبة ذلك محمودة .

وان ظنت الرعية بك حيفًا ، فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فأن فى ذلك اعذارًا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

ولا تدفعن صلحًا دعاك اليه عدوك لله فيه رضًا فأن فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنًا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فأن العدو ربما قارب ليتغفل .

فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ماأعطيت فأنه ليس من فرائض الله شىء الناس أشد عليه اجتماعًا مع تفرق أهوائهم وتشتت

آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود .

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فأنه لا يجترئ على الله الاجاهل شقى . وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره . فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فأن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك .

اياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فأنه ليس شئ أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فأن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله . ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لأن فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ أو افراط عليك سوطك أو يدك بعقوبة فأن فى الوكزة ومافوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى الى أولياء المقتول حقهم .

واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فأن ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق مايكون من احسان المحسنين .

واياك والمن على رعيتك باحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فأن المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه وتعالى : (كبر مقتاً عند الله

أن تقولوا مالا تفعلون".

واياك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التساقط فيها عند امكانها أو اللجاجة فيها اذا تنكرت أو الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه .

واياك والاستئثار بما الناس فيه والتغابى عما يغنى به مما قد وضح للعيون فأنه مأخوذ منك لغيرك . وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم .

أملك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك .

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله أو فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدته مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ماعهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها .

وأنا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقنى واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجميل الأثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لى ولك السعادة والشهادة انا الى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين . (١)

---

(١) انظر الشريف نهج البلاغة ـ مرجع سابق ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٦٥ .

ملحق رقم (٣)

اعتـــــذار الحجاج الى عبد الملك بسبب سوء معاملته لأنس بن مالك

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه وسهّـــل حظه وحاطه ولا أعد منا اياه . فأن اسماعيل بن أبى مهاجر رسول أمير المؤمنين أعزه اللهونصره - قدم على بكتاب أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه وجعلنى من كل مكـــروه فداءه - يذكر شتيمـــتى وتوبيخى بآبائى وتعييرى بما كان قبل نزول النعمة بى عنـــد أمير المؤمنين - أتم الله نعمته عليه واحسانه اليه - ويذكر أمير المؤمنين - جعلنى الله فداءه - استطالة منى على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأة منى على أمير المؤمنين وغـــرة منى بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطته . وأمير المؤمنين - أصلحه الله - فى قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الهدى وخاتم الأنبياء أحق من أقال عثرتى وعفا عـــن ذنبى فأمهلنى ولم يعجلنى عند هفوتى للذى جبـــل عليه من كريم طبائعه وما قلـــده اليه من أمور عباده ، فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - فى تسكين روعتى وافـــراج كربتى ، فقد ملئت رعبـــاً وفرقاً من سطوته وفجأة نقمتـــه .

وأمير المؤمنين - أقاله العثـــرات وتجاوز له عن السيئات وضاعف له الحسنات وأعلى له الدرجات - أحق من صفح وعفا وتغمـــد وأبقى ولم يشمت بى عدواً مكبـــاً ولا عـــدوا مضبّاً ولم يجـــرعنى غصصاً . والذى وصف أمير المؤمنين من صنيعه الىّ وتنويهه بمـــا أسند إلـــىّ من عمله وأوطانى من رقاب رعيته فصادق فيه مجزى بالشكر عليه والتوسل مـــنى اليه بالولاية والتقرب له بالكفاية .

وقد عاين اسماعيل بن أبى مهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه نزولى عنـــد

مسـرة أنس بن مالك وخضوعى لكتـاب أمير المؤمنين واقلاقـه اياى ودخولـه على بالمصيبة على ماسيعلمه أمير المؤمنين وينهيه اليه . فأن رأى أمير المؤمنين طـوقنى الله شكره وأعاننى على تأدية حقه وبلغنى الى مافيه موافقة مرضاته ومد لـى فى أجله - أمر لى بكتاب من رضاه وسلامة صدره يؤمننى بـه سفك دمى ويـرد ماشرد مـن نومى ويطمئن به قلبى . فقد ورد على أمر جليل خطيه عظيم أمـره شديد على كربه ..

أسأل الله ألا يسخط أمير المؤمنين علىّ وأن يبتليه فى حزمه وعزمه وسياستـه وفراسته ومـواليه وحشمه وصنائعه بما يحمد به حسن رأيه ويعد همته أنه ولى أمير المؤمنين والـذاب عن سلطانه والصانع له فى أمره والسلام .. (١)

---

(١) انظر العقد الفريد - مرجع سابق ج ٥ ص ٣٩-٤١

المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولاً :-

القرآن الكريم

ثانياً : -

المخطوطات :-

* الطبرى ، عبد القادر

- نشأة السلافة بمنشأة الخلافة - مخطوط بمكتبة جامعة أم القرى - مكه المكرمة - تحت الرقم ١٨١٨

ثالثاً :- المصادر والمراجع العربية :-

* الأبشيهى ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح - ت ٨٥٠ هـ

- المستطرف من كل فن مستظرف - تحقيق د . مفيد قميحة - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.

* ابن أبى الحديد ت ٦٥٥ هـ

- شرح نهج البلاغة - تحقيق الشيخ حسن تميم - دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٤م.

* ابن الأثير ، على بن محمد الشيبانى ت ٦٣٠ هـ

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة - دار الفكر - بيروت ، بدون تاريخ .

- الكامل فى التاريخ - دار صادر بيروت ١٩٦٥

* ابن الأخوة القرشى ، محمد بن محمد ت ٧٢٩ هـ

- معالم القربة فى أحكام الحسبة - عنى بنقله روبين ليوى - مطبعة دار الفنون بكمبيرج ١٩٣٧

* ابن الأزرق ، أبو عبدالله محمد ت ٨٩٦

- بدائع السلك فى طبائع الملك - تحقيق د . محمد عبدالكريم - الدار العربية للكتاب ليبيا .

* ابن أعثم ، أبو محمد أحمد ت ٣١٤هـ

- كتاب الفتوح - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٦ - ١٩٨٦م

* ابن الأعرج ، أبو الفضل محمد ت ٩٢٥هـ .

- تحرير السلوك فى تدبير الملوك - تحقيق د . فؤاد أحمد عبدالمنعم - مؤسسة شباب الجامعة . بالاسكندرية ١٤٠٢هـ

* ابن بسام ، محمد بن أحمد

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة - حققه وعلق عليه حسام السامرائى - مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ .

* ابن تيمية ، تقى الدين أحمد بن عبدالحليم ت ٧٢٨ هـ

- الحسبة فى الاسلام - نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالسعودية - مطابع دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

- السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية - دار الآفاق - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

- مجموع الفتاوى - جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه - أشرف على طبعه المكتب السعودى بالمغرب - مكتبة المعارف ، الرباط - المغرب .

- منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية - دار الكتب العلمية - بيروت

* ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧ هـ

- سيرة عمر بن عبد العزيز - دار الفكر - بدون تاريخ .

- الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء - تحقيق د . فؤاد أحمد عبد المنعم - دار الحرمين للنشر - الدوحة - الطبعة الثانية ١٤٠٢ - ١٩٨٢م

- مناقب عمر بن الخطاب - تحقيق د . زينب ابراهيم القاروط - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ

* ابن حمدون ، محمد بن الحسن بن محمد

- التذكرة الحمدونية - تحقيق د . احسان عباس - معهد الانماء العربى بيروت ١٩٨٣

* ابن حنبل ، الامام أحمد ت ٢٤١

- مسند الامام أحمد - دار الفكر - بدون تاريخ .

* ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن ت ٨٠٨

- مقدمة ابن خلدون - دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان - بدون تاريخ .

* ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨٨

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان حققه د . احسان عباس . دار صادر بيروت - بدون تاريخ .

* ابن زنجويه ، حميد ت ٢٥١

- الأموال - تحقيق د . شاكر ذيب فياض - منشورات مركز الملك فيصل - الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

* ابن سلام ، أبو عبيد القاسم ت ٢٢٤

- الأموال تحقيق محمد خليل هراس - الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

* ابن سعد ، ت ٢٣٠ هـ

- الطبقات الكبرى - دار صادر بيروت - بدون تاريخ

* ابن طباطبا ، محمد بن على ت ٧٠٩ هـ

- الفخرى فى الآداب السلطانية - دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٦ م.

* ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف عبد الله ت ٤٦٣ هـ

- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب - تحقيق على محمد البجاوى - مكتبة نهضة مصر

* ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧ هـ

- فتوح مصر وأخبارها - تحقيق محمد صبيح - مكتبة النهضة المصرية .

* ابن عبد الحكم ، أبو محمد عبد الله ت ٢١٤ هـ

- سيرة عمر بن عبد العزيز على مارواه الامام مالك بن أنس وأصحابه. صححها وعلق عليها أحمد عبيد - عالم الكتب - بيروت.

* ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ت ٣٢٨ هـ

- العقد الفريد - شرحه وعلق عليه أحمد أمين وآخرون - منشورات دار الكاتب العربى بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م

* ابن العربى ، القاضى أبو بكر ت ٥٤٣هـ

- العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه

وسلم .
حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب - طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٤ ١٩٨٤م .

* ابن عربي ، محي الدين ت ٦٣٨ هـ
- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار - دار اليقظة العربية - ١٩٦٨ .

* ابن فرحون ، برهان الدين ت ٧٩٠هـ
- درة الغواص في محاضرة الخواص - تقديم وتعليق وتحقيق محمد أبو الاجفان . وعثمان بطيخ - دار التراث بالقاهرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

* ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله مسلم ت ٢٧٦هـ
- الامامة والسياسة - تحقيق طه الزيني - مؤسسة الحلبي .
- عيون الأخبار - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م القاهرة
- المعارف - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ .

* ابن كثير - أبو الفداء الحافظ ت ٧٤٧ هـ .
- البداية والنهاية - دقق أصوله وحققه د . أحمد ملحم وآخرون - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- تفسير القرآن العظيم - تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرين - مطبعة دار الشعب القاهرة .
- السيرة النبوية - تحقيق مصطفى عبدالواحد - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

* ابن ماجة ، الحافظ أبي عبدالله ت ٢٧٣ هـ
سنن ابن ماجة - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - دار الفكر - بدون تاريخ .

* ابن منظور ، ت ٧١٧
- لسان العرب - اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى - دار لسان العرب بيروت.

* ابن هشام ، عبدالملك ت ٢١٨
- سيرة النبى صلى الله عليه وسلم - راجع أصولها محمد محى الدين عبدالحميد دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ .

* أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستانى ت ٢٧٥هـ
- سنن أبى داؤد - تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد - دار الفكر - بدون تاريخ .

* ابو يعلى ، محمد بن الحسين الفراء ت ٤٥٨
- الأحكام السلطانية - صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى - الطبعة الثانية ١٩٦٦م

* أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٢ هـ
- كتاب الخراج - تحقيق د . محمد ابراهيم البنا - دار الاصلاح للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

* الأتابكى ، جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى ت ٨٧٤ هـ
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

* أردشير بن بابك
- عهد أردشير - حققه وقدم له د . احسان عباس - دار صادر بيروت ١٩٦٧م

* الأزدى ، أبو زكريا يزيد بن اياس ت ٣٣٤ هـ .

- تاريخ الموصل - تحقيق د . على حبيبـــــة - طبعة دار التحرير ١٩٧٩م

* الأصبهانى ، أبو الفرج ت ٣٥٦هـ

- الأغانى . دار الفكر - بدون تاريخ .

* الأصبهانى ، الحافظ أبو نعيم ت ٤٣٠هـ

- تثبيت الامامة وترتيب الخلافة - دراسة وتحقيق ابراهيم على التهامى - دار الامام مسلم للنشر والتوزيع بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

* البخارى ، الامام أبى عبدالله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦

- صحيح البخارى - ضبطه ورقمه د . مصطفى ديب البغـــا - دار القلم دمشـــق ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

* البيهـــقى ، أبو بكر أحمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ

- السنن الكبرى - دار الفكر - بدون تاريخ .

* الترمذى ، أبو عيسى محمد بن عيسى ت ٢٩٧ هـ

سنن الترمذى - تحقيق أحمد شاكر - دار احياء التراث العربى - لبنـــان .

* الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥

- البيان والتبييـــن - تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - دار الفكر .

- التاج فى أخلاق الملوك - تحقيق الاستاذ أحمد زكى باشا - المطبعة الأميريـــة القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٣٢ هـ .

* الجزرى ، أبو السعادات ابن الاثير ت ٦٠٦هـ

- جامع الاصول فى أحاديث الرسول - حققه وعلق عليه عبدالقادر الأرناؤوط - مكتبـــة دار الفكر - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

* الجوهرى ، اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣
- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين بيروت - الطبعة الثالثة .

* الجهشيارى ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١
- الوزراء والكتاب - حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى - الطبعة الثانية ١٤٠١ - ١٩٨٠م

* الجيطالى ، أبوطاهر
- قناطر الخيرات - وزارة التراث القومى والثقافة - سلطنة عمان ١٩٨٣م .

* الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت ت ٦٢٦ هـ
- معجم البلدان - دار صادر بيروت . بدون تاريخ .

* الحميرى ، محمد عبد المنعم .
- الروض المعطار فى خبر الأقطار - تحقيق د . احسان عباس - مكتبة لبنان الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

* الحنبلى ، أبو الفلاح عبد الحى بن العماد ت ١٠٨٩
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - مكتبة القدس بالقاهرة ١٣٥٠هـ .

* الخزاعى ، أبو الحسن على بن محمد ت ٧٨٩ هـ
- تخريج الدلالات السمعية على ماكان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية - تحقيق الشيخ محمد أبو سلامة - القاهرة ١٤٠١ - ١٩٨١م

* الدينورى ، أبو حنيفة أحمد بن داؤد ت ٢٨٢
- الأخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر - مراجعة د . جمال الدين الشيال

دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٦٠م

* الذهبي ، شمس الدين ت ٧٤٨ هـ

ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ـ الناشر مكتبة القدس بالقاهرة مطبعة السعادة ١٣٦٩هـ.

ـ تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين ـ تحقيق د . عبد السلام تدمرى ـ دار الكاتب العربى بيروت ١٤٠٧هـ.

ـ سير أعلام النبلاء ـ حقق نصوصه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد مؤسسة الرسالة بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

* الرضى ، الشريف

ـ نهج البلاغة ـ تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار احياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٩٦٣م

* الزبيدى ، محمد مرتضى ت ١٢٠٥ هـ

ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ المطبعة الخيرية بجمالية مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ.

* الزجاجى ، أبو القاسم .

ـ امالى الزجاجى ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ المؤسسة العربية الحديثة الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ.

* الزمخشرى ، أبو القاسم جار الله محمود ت ٥٤٨

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ـ شركة مصطفى الحلبى بدون تاريخ .

* السبكى ، تاج الدين أبو نصر ت ٧٧١هـ

طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق عبد الفتاح محمود الحلو ومحمود الطناحى مطبعة عيسى الحلبى - الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

* السخاوى ، شمس الدين ت ٩٠٢ هـ

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

- المقاصد الحسنة فى كثير من الاحاديث المشهرة على الالسنة صححه وعلق على حواشيه عبد الله محمد الصديق - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

* السيوطى ، جلال الدين ت ٩١١ هـ

- تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

* السهيلى ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت ٥٨١ هـ

- الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام - قدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .

* الشافعى ، محمد بن ادريس ت ٢٠٤

- الأم - أشرف على طبعه وباشر تصحيحه محمد زهدى النجار - دار المعرفة بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

* الشوكانى ، محمد بن على ت ١٢٥٥ هـ

- البدر الطالع بمحاسن القرن السابع - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت الطبعة الاولى ١٣٤٨ هـ

- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى التفسير - شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده - الطبعة الثانية .

* الشيزرى ، عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩ هـ
- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة - تحقيق ومراجعة الدكتور السيد الباز العرينى دار الثقافة - بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٩٨١م .

* الطبرى ، أبو جعفر ت ٣١٠
- تاريخ الامم والملوك - تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم - دار سويدان - بيروت بدون تاريخ .

* الطرطوشى ، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد ت ٥٢٠هـ
- سراج الملوك - المطبعة الازهرية المصرية ١٣١٩ هـ .

* العاملى ، ابن سماك .
- الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة - تحقيق د . محمود على مكى - الناشر المعهد المصرى للدراسات الاسلامية - مدريد ١٤٠٤ هـ

* العجلونى ، اسماعيل بن محمد ت ١١٦٢ هـ
- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس تحقيق وتصحيح أحمد القلاش - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

* العسقلانى ، أحمد بن على بن حجر ت ٨٥٢
- الاصابة فى تمييز الصحابة - دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ
- تهذيب التهذيب - دار صادر بدون تاريخ .
- فتح البارى شرح صحيح البخارى - رقمه وبوبه محمد فؤاد عبد الباقى .

وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب - دار المعرفة لبنان .

* العسكرى ، أبو هلال ت ٣٩٥ هـ
- الأوائل - تحقيق محمد المصرى ووليد قصاب - منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى - دمشق ١٩٧٥م .

* العصامى ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت ١١١١ هـ
- سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى - المطبعة السلفية ومكتبتها .

* العصفرى ، خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ
- تاريخ خليفة بن خياط ، رواية بقى بن مخلد - حققه سهيل زكار - دمشق مطابع وزارة الثقافة ١٩٦٨م .

* العمادى ، قاضى القضاة أبى السعود محمد بن محمد
- تفسير أبى السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم دار المصحف ، بالقاهرة - بدون تاريخ .

* الغزالى ، أبو حامد ت ٥٠٥ هـ
- شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل - تحقيق د . أحمد الكبيس مطبعة الارشاد بغداد ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م .

* الفيروزآبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ .
- القاموس المحيط - المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت .

* الفيومى ، أحمد بن محمد المغربى ت ٧٧٠هـ
- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير - دار الكتب العلمية بيروت .

* القـــالى ، اسماعيل بن القاسم ن ٣٥٦

- كتاب الأمالى دار الشروق ١٣٩٥ هـ.

* القرطبى ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى ت ٦٧١

- الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٧ - ١٩٦٧م.

* القشيرى ، الامام مسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ

- صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى - دار احياء التراث العربى .

* القلعى ، أبو عبدالله

- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة - تحقيق ودراسة ابراهيم مصطفى عجو. مكتبـــة المنار ، الاردن - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

* القلقشـــندى ، أبو العباس ت ٨٢١

- صبح الاغشى فى صناعة الانشاء - دار الكتب المصرية طبعة ١٩٢٢م .

- مآثر الانافة فى معالم الخلافة - تحقيق عبدالستار - أحمد فراج - عالم الكـــتب القاهرة - بدون تاريخ .

* الكاتب ، على بن خلـــف

- موارد البيان - تحقيق د . حسين عبداللطيف - منشورات جامعة الفاتح - طرابلس ١٩٨٢م.

* الكتانى ، عبدالحى .

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية - دار الكاتب العربى - بيروت.

* الكندى ، أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠ هـ

- تاريخ ولاه مصر - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

* مالك بن أنس ، الامام ت ١٧٩

- الموطأ - ترتيب محمد فؤاد عبد الباقى - دار الفكر - بدون تاريخ .

* الماوردى ، أبو الحسن على بن حبيب ت ٤٥٠هـ

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- تسهيل النظر وتعجيل الظفر فى أخلاق الملك وسياسة الملك - تحقيق ودراسة رضوان السيد - دار العلوم العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٧م .

- قوانين الوزارة - تحقيق ودراسة د . محمد سليمان داؤد ود . فؤاد أحمد عبد المنعم . مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية - الطبعة الثانية ١٩٧٨م .

- نصيحة الملوك - تحقيق الشيخ خضر محمد خضر - مكتبة الفلاح - الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

* المبرد ، أبو العباس ت ٢٨٥

- الكامل فى اللغة والادب - مكتبة المعارف بيروت - بدون تاريخ .

* مجهول .

العيون والحدائق - مكتبة المثنى بغداد - بدون تاريخ .

* مخلوف ، محمد بن محمد

- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية - دار الفكر بيروت . بدون تاريخ .

* المراكشى ، ابن عذارى توفى فى القرن الثامن

- البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب - تحقيق ومراجعة ج . س كولان دار الثقافة بيروت - لبنان .

* المسعودى ، ابو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦

- مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - دار المعرفة بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

- مروج الذهب ومعادن الجوهر - شرحه وقدم له د . مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٩٨٦م

** المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ

- امتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والأموال والحفدة والمتاع - صححه وشرحه محمود محمد شاكر - طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر الطبعة الثانية - الخطط - مؤسسة دار التحرير للنشر - بدون تاريخ .

* النباهى ، الشيخ ابى الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقى .

- تاريخ قضاة الاندلس - تحقيق لجنة احياء التراث العربى بدار الافاق الجديدة منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت لبنان ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

* النمرى ، عمر بن شبه ت ٢٦٢

- تاريخ المدينة المنورة - تحقيق فهيم شلتوت - دار الاصفهانى للطباعة بجدة

* النووى ، أبو زكريا يحى بن شرف ت ٦٧٦ هـ

- رياض الصالحين - تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى - المكتب الاسلامى بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

- صحيح مسلم بشرح النووى - دار احياء التراث العربى بيروت .

* النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت ٧٣٧ هـ
- نهاية الأرب فى فنون الأدب - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر القاهرة .

* الهندى ، علاء الدين على المتقى بن حسام الدين ت ٩٧٥ هـ
- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال - ضبطه الشيخ بكرى حيانى وصححه صفوت السقا - مطبعة البلاغة - حلب ١٩٧١م .

* الهيثمى ، نور الدين على بن أبى بكر ت ٨٠٧ هـ
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - حرره الحافظ العراقى وابن حجر - دار الكاتب العربى - بيروت لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م

* اليعقوبى ، أحمد بن ابى يعقوب بن وهب ت ٢٨٤ هـ
- تاريخ اليعقوبى - دار بيروت للطباعة بيروت لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م

رابعاً : المراجع العربية الحديثة والمترجمة :-

* أئمة المستشرقين .
- دائرة المعارف الاسلامية - اعداد وتحرير ابراهيم زكى خورشيد وآخرون كتاب الشعب - دار الشعب - القاهرة .

* أبو رخية ، د . ماجد
- حكم التعزيز بأخذ المال فى الاسلام - مكتبة الأقصى - عمان - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

* أبو سن ، د . أحمد ابراهيم .

- الادارة فى الاسلام - الدار السودانية للكتب - الطبعة الثالثة ١٩٨٤م

* الأغيش ، د . محمد الرضا عبدالرحمن .

- السياسة الادارية للدولة فى صدر الاسلام بين النظرية والتطبيق - مكتبة الزهراء ، القاهرة - الطبعة الاولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م .

* الهى ، د . فضل .

- الحسبة فى العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين - ادارة ترجمان الاسلام - باكستان - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

* البطاينة ، د . محمد ضيف الله .

- تاريخ الحضارة العربية الاسلامية - منشورات دار الفرقان - عمان - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م

* بسيرة ، أبوبكر مصطفى .

- الرقابة الأدارية فى المنظمات ، مفاهيم أساسية - المنظمة العربية للعلوم الأدارية عمان الاردن .

* بك ، محمد الخضرى .

- محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية ، الدولة الامويـة - المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

- مهذب الاغانى - مطبعة مصر - بدون تاريخ .

* الترمانينى ، د . عبد السلام .

- أزمنة التاريخ الاسلامى - مراجعة وتحقيق د . شاكر مصطفى ود . أحمد مختار

العبادى ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

* جروهمان ، أدولف .

ـ أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية . ترجمة الى العربية حسن ابراهيم حسن وراجعه عبد الحميد حسن ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.

* الجواهرى ، محسن .

ـ الفرائد العوالى على شواهد الأمالى ـ مطبعة الاداب بالنجف ١٣٨٧هـ

* الجومرد ، محمد .

ـ الحجاج رجل الدولة المفترى عليه ـ منشورات شركة مطبعة الأديب ـ بغداد الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

* حسين ، طه

ـ الفتنة الكبرى ، على ونبوه ، دار المعارف بمصر ـ الطبعة السابعة .

* حسينى ، س.أ. ق

ـ الادارة العربية ـ ترجمة ابراهيم أحمد العدوى ومراجعة عبد العزيز عبد الحق مكتبة الآداب ومطبعتها بالقاهرة .

* الحكيم ، د . سعيد عبد المنعم .

ـ الرقابة على أعمال الادارة فى الشريعة والنظم المعاصرة ـ دار الفكر العربى ١٩٧٦م.

* الحلو ، د . ماجد راغب .

ـ علم الادارة العامة ـ مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية .

* حمادة ، د . محمد ماهر .

- الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر الأموى- مؤسسة الرسالة ١٩٧٤م

* حميد الله ، محمـــــــد .

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة - دار الارشاد بيروت الطبعة الثالثة ١٩٦٩م .

* الخطيب ، عبد الله مهدى .

- الحكم الأموى فى خراسان - منشورات مؤسسة الأعلمى بيروت ودار التربية بغداد الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

* الخليفى ، عبد الله محمد .

- فضل الاسلام وتعاليمه السمحة - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ - ١٩٨٣م — دار الأصفهانى بجدة .

* خليل ، د . عماد الدين .

- ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز - الدار العلمية للطباعة والنشر بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٩م

* خماش ، نجدة .

- الادارة فى العصر الأموى - دار الفكر ، دمشق - الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

* خميس ، محمد عبد المنعم .

- الادارة فى صدر الاسلام ، دراسة مقارنة - مطابع الاهرام التجارية - القاهرة ١٩٧٤م .

* درويش ، عبدالكريم وليلى تكـــلا .

- أصول الادارة العامة - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٧م .

* ديرانيـــــة ، د . أكرم رســلان .

- الحكم والادارة فى الاسلام ، دراسة تحليلية - دار الشروق جدة - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

* الراوى ، ثابت اسماعيل .

- العراق فى العصر الأموى من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية الطبعـــة الثانية ١٩٧٠م - مكتبة الأندلس بغداد .

* ربيع ، د . منيب محمد .

- ضمانات الحرية فى النظام الاسلامى وتطبيقاتها - مجمع البحوث الاسلاميـــــة ١٤٠٤هـ .

- ضمانات الحرية بين واقعية الاسلام وفلسفة الديمقراطية - مكتبة المعارف - الريـاض الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

* رفاعى ، طلال جميـــل .

- نظام البريد فى الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى - رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ .

* الريس ، د . محمد ضياء الدين .

- عبدالملك بن مروان والدولة الأموية - الطبعة الثانية ١٩٦٩م - مطابع سجل العرب

* سليمان ، د . حسين محمد .

- رجـــــال الادارة فى الدولة العربية الاسلامية - دار الاصلاح - الدمـــام

١٤٠٤ هـ.

* سيد الأهل ، عبد العزيز .
- الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز - دار العلم للملايين - بيروت الطبعة التاسعة ١٩٧٥م.

* شاكر ، محمود .
- التاريخ الاسلامى ، العهد الأموى - المكتب الاسلامى - الطبعة الأولى ١٩٨٩م

* الشيبانى ، محمد عبد الله .
- الخدمة المدنية على ضوء الشريعة الاسلامية ، مدخل لنظرية - عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
- نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية منذ صدر الاسلام الى سقوط الدولة العباسية - دار عالم الكتب للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثانية ١٩٨٤م

* الشريف ، د . أحمد ابراهيم .
- دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة الطبعة الثانية ١٩٧٧م - دار الفكر العربى .

* الضحيان ، د . عبد الرحمن .
- الادارة فى الاسلام ، الفكر والتطبيق - دار الشروق جدة الطبعة الأولى ١٤٠٧ ١٩٨٦م.

* الطماوى ، د . سليمان .
- عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة ، دراسه مقارنة - دار الفكر العربى - الطبعة الثانية ١٩٧٦م.

* الطنطاوى ، على وناجى

- أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر - دار الفكر بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٧٣م

* طـه ، عبد الواحد ذنـون .

- العراق فى عهد الحجاج بن يوسف - منشورات مكتبة بسام الموصل - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

* عامـر ، د . عبد العزيز .

- التعزير فى الشريعة الاسلامية - دار الفكر العربى - الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م .

* عبد المنعم ، د . حمدى

- ديوان المظالم نشأته وتطوره واختصاصه مقارناً النظم القضائية الحديثة - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

* العدوى ، د . ابراهيم أحمـد

- مصر الاسلامية ، مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م .

- موسى بن نصير مؤسس المغرب العربى - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧م .

- النظم الاسلامية ، مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية فى صدر الاسلام والعصر الأموى - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢م .

* العريفى ، سعد بن عبد الله .

- الحسبة والنيابة العامة ، دراسة مقارنة - دار الرشد - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

* العقاد ، عباس محمـــــود

- ذو النورين عثمان بن عفـــان - مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

* العقيلى ، د . عمر سليمان .

- خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه - الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

* العلى ، الرائد محمد مهنا .

- الادارة فى الاسلام - الدار السعودية للنشر - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

* على ، محمد كـــــــرد .

- الادارة الاسلامية فى عز العرب - القاهرة - مطبعة مصر ١٩٣٤

- الاسلام والحضارة العربية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهـــــرة الطبعة الثالثة ١٩٦٨م .

* فرغلى ، محمد محمود .

- البيئة الادارية فى الجاهلية والاسلام - سلسلة دعوة الحق - دار الأصفهانى جدة

* فضل الله ، السيد عبد المحسن .

- نظرية الحكم والادارة فى عهد الامام على للأشتر - دار التعارف للمطبوعات لبنان الطبعة الثانية ١٩٨٣م .

* الفكيكـــى ، توفيـــق

- الراعى والرعية ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

* الفنجرى ، أحمد شوقى .

- الحرية السياسية فى الاسلام - الكويت دار العلم ١٩٧٣م

* الفهد ، صالح بن محمد .

- كسب الموظفين وأثره فى سلوكهم - الطبعة الثانية - شركة العبيكان للطباعة والنشر - الرياض .

* قادرى ، د . عبدالله أحمد .

- الكفاءة الادارية فى السياسة الشرعية - دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

* القاسمى ، ظافر .

- نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الاسلامى ، الكتاب الأول - الحياة الدستورية دار النفائس بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ .

* القناوى ، الشريف حسن .

- - ادارة الفاروق عمر رضى الله عنه - مطابع الصفا بمكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .

* كحالة ، عمر رضا .

- أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام - مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

* الكردى ، د . ابراهيم سليمان ود . عبدالوهاب شرف الدين .

- المرجع فى الحضارة العربية الاسلامية - منشورات دار السلاسل - الكويت ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

* الكفراوى ، د . عوف .

- الرقابة المالية فى الاسلام - مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية ١٩٨٣م .

* ليلة ، د . محمد كامل .

- الرقابة على أعمال الادارة ، الرقابة القضائية - دراسة مقارنة - القاهرة ١٩٦٥م .

* مدكور ، د . محمد سليمان .

- معالم الدولة الاسلامية - مكتبة الفلاح الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

* المعاضيدى ، عبدالقادر

- واسط فى العصر الأموى ٨١ - ١٣٢ هـ - دار الحرية بغداد ١٩٧٦م

* مكتب التربية العربية لدول الخليج .

- وقائع ندوة النظم الاسلامية - مطبعة مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض ١٤٠٧ هـ

* مؤنس ، د . حسين .

- عالم الاسلام ، دراسة فى تكوين العالم الاسلامى وخصائص الجماعات الاسلامية دار المعارف بمصر ١٩٧٣م

* النجار ، عبدالوهاب .

- الخلفاء الراشدون - دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

* النجار ، د . محمد الطيب .

- الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء - دار العلوم للطباعة القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٧٧م

* النفيسى ، عبدالله فهد .

- فى السياسة الشرعية - دار الدعوة الكويت - الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

* وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت .

- الموسوعة الفقهية - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م - مطبعة الموسوعة الفقهية .

* وصفي ، د . مصطفى كمال .

- النظم الاسلامية الأساسية - عالم الكتب.

* اليوزيكي ، توفيق سلطان

- دراسات في النظم العربية الاسلامية - جامعة الموصل ١٩٧٩م .

خامساً : الدوريات

* أبو دياك ، د . صالح فياض

- السياسة المالية للدولة الأموية في الشرق - مجلة الباحث - السنة العاشرة العدد ١٥ أيلول ١٩٨٨م بيروت لبنان .

* خليل ، د . عماد الدين .

- مقارنة في سياسة يزيد بن عبد الملك - مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي جامعة أم القرى العدد الرابع - طباعة دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠١ / ١٩٨١م .

* عبد الوهاب ، د . محمد طاهر.

- الرقابة الادارية في النظام الاداري الاسلامي - رسالة الخليج العربي عدد ١٩ - الرياض ١٤٠٦هـ.

الفهارس

الفهـــرس العـــام

كلمـــة الشـــكر ١

المـقدمـــة ٣ - ٦

البـــاب الاول

الرقابة الادارية فى الشريعة الاسلاميـــة

٧ - ٥٦

الفصـــل الاول : مفهوم الرقابة الادارية فى الاسلام وانواعها ٩ - ٣٦

المبحـــث الاول : الرقابة فى اللغة والاصطلاح ٩

المبحـــث الثانى : مشروعية الرقابـــة فى الاسلام ١٧

المبحـــث الثالث : انـــواع الرقابـــة ٢٦

الفصـــل الثانى : اختيار الموظفين وتوجيههم ومحاسبتهم فى النظام الاســلامى .. .. .. ٣٧ - ٤٧

المبحـــث الأول : اختيار الموظفين والعمال فى النظام الاسلامى ٣٧

المبحـــث الثانى : التوجيه والاشـــراف ٤٧

المبحـــث الثالث : المحاسبة فى النظام الاسلامى ٥١

البـــاب الثانى

الرقابة الادارية فى عصر النبوة والراشديـــن

٥٧ - ٢٢٨

الفصـــل الأول : الادارة فى عصر النبوة والراشدين . . . ٥٩ - ٨٨
المبحـــث الأول : الادارة فى عصر النبـــــوة . . . ٦١
المبحـــث الثانى : الادارة فى عهد ابى بكر الصديق . . . ٦٥
المبحـــث الثالث : الادارة فى عهد عمر بن الخطاب . . . ٦٩
المبحـــث الثالث : الادارة فى عهد عثمان بن عفان . . . ٧٨
المبحـــث الرابع : الادارة فى عهد على بن ابى طالب . . ٨٤

الفصـــل الثانى : الاختيار فى عصر النبوة والراشدين . . . ٨٩ - ١١٩
المبحـــث الأول : الاختيار فى عهد النبى صلى الله عليـــه
وسلم وابى بكر الصديق ٩٠
المبحـــث الثانى : الاختيار فى عهد الفاروق ٩٩
المبحـــث الثالث : الاختيار فى عهد عثمان وعلى ١١٠

الفصـــل الثالث : التوجيه والاشراف فى عصر النبوة والراشدين ١٢- ١٦٩
المبحـــث الأول : اشرافه صلى الله عليه وسلم على ولاتـــه
وعمالـــه ١٢٢
المبحـــث الثانى : الاشراف والتوجيه فى عهد ابى بكر . . ١٣٢
المبحـــث الثالث : الاشراف والتوجيه فى عهد عمر ١٤٤
المبحـــث الرابع : توجيه عثمان لولاته وعماله ١٥٧
المبحـــث الخامس : توجيه على لولاته وعمالـــه ١٦١

الفصـــل الرابع : المحاسبة فى عصر النبوة والراشدين . ١٧٠- ٢٢٨
المبحـــث الأول : محاسبة النبى صلى الله عليه وسلم لعماله
وموظفيه ١٧١

المبحث الثانى : محاسبة ابى بكر الصديق لعماله وولاته . ١٧٩
المبحث الثالث : المحاسبة فى عهد عمر رضى الله عنه .. ١٨٨
المبحث الرابع : محاسبة عثمان رضى الله عنه لعماله وولاته ٢١٥
المبحث الخامس : محاسبة على رضى الله عنه لعماله .. ٢٢٠

الباب الثالث

الرقابة الادارية فى الدولة الاموية

٢٢٩ - ٣٦٥

الفصل الأول : الاختيار للوظيفة فى الدولة الاموية .. ٢٣٩ - ٢٨٢
المبحث الأول : الاختيار فى عهد معاوية وولده يزيد .. ٢٤٠
المبحث الثانى : الاختيار من عهد مروان وحتى نهاية
عهد سليمان ٢٥٠
المبحث الثالث : الاختيار فى عهد عمر بن عبد العزيز .. ٢٦٤
المبحث الرابع : الاختيار من عهد يزيد وحتى نهاية الدولة ٢٥٧

الفصل الثانى : التوجيه فى الدولة الاموية . .. .. ٢٨٣ - ٣١١
المبحث الأول : التوجيه فى عهد معاوية وولده يزيد .. ٢٨٤
المبحث الثانى : التوجيه من عهد مروان وحتى نهاية
عهد سليمان ٢٩١
المبحث الثالث: التوجيه فى عهد عمر بن عبد العزيز .. ٢٩٧
المبحث الرابع : التوجيه من عهد يزيد وحتى نهاية الدولة ٣٠٩

الفصل الثالث :المحاسبة فى الدولة الاموية .. .. ٣١٢ - ٣٤٠

المبحث الأول : المحاسبة فى عهد معاوية وولده يزيد .. ٣١٣

المبحث الثانى : المحاسبة من عهد مروان وحتى عهد سليمان ٣٢٣

المبحث الثالث : المحاسبة من عهد عمر بن عبد العزيز
وحتى نهاية الدولة ٣٢٩

الفصل الرابع : أجهزة الرقابة وتطورها .. .. ٣٤١ - ٣٦٤

المبحث الأول : الحسبة ودورها الرقابى ٣٤٢

المبحث الثانى : قضاء المظالم ودوره فى الرقابة ٣٥٠

المبحث الثالث : ديوان البريد ودوره فى الرقابة . .. ٣٥٨

الخاتمة : ٣٦٦

الملاحق : .. .. ٣٧٢ - ٣٩٠

الملحق الأول : ٣٧٣

الملحق الثانى : ٣٧٦

الملحق الثالث : ٣٨٩

المصادر والمراجع : ٣٩١

الفهرس : ٤١٨